تاريخ المستبصر

ابن المجاور

To PDF: http://www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع السماء عبرةً للناظرين و بسط الأرض و جعل فيها آيات للموقنين و أودع في اختلاف الألسن و الألوان باختلاف الأقاليم و البلدان بصائر المستبصرين شواهد عموم رحمته و سبوغ نعمته المعالمين و صلى الله على سيدنا المصطفى من خلقه في السموات و الأرضين و على آله الطيبين و أصحابه أجمعين. و بعد فإن التأريخ و لا سيما ما يتعلق بمعمورة الأرض. و عروض بلادها و أطوالها و أوضاع مبانيها و مسافات مغانيها و تصوير أقطارها و تبيين أحوال أمصارها من أبدع الفنون و أغربها و أبعدها غوراً و أعجبها يجدد لك أوراقه البالية المدائن الدراسة برصاصها و قصورها و يحيي أموات فصولها و أبوابها القرون الطامسة في طي حروفها و سطورها.

هذا و لا مرية لذوي العقول و الأديان في أن مكة زادها الله شرفاً أم القرى و سرة الأرض المعمورة و أحب بلاد الله إلى الله و رسوله في السنن المشهورة. ثم إن أيمن ما حولها من البلدان و أبركها مملكة اليمن المخصوص بالبركات الثلث النبوية في جواهر السنن منبع الحكمة و معدن الفقه و الأيمان من سالف الزمن. فخصصت هذين القطرين في هذا الكتاب بذكره ما يتعلق بهما في هذا الفن من بيان البقاع و البلاد و المدن و الجبال و البحار و شرح المنازل و المغاني و المقادير و المسافات في المفاوز و المقار ثم تصوير كل بقعة منه حتى كأنك تراها رأى العين و توقف بها على أرجائها فيغنيك ذلك عن ألاين في البين. و لا يعدم كل بقعة من نادرة جرت فيها الأخبار و شعر نظم في سلكها قديما من الأشعار. و هذا أوان الشروع في مقصود الكتاب و تسهيل الحجاب و فتح الباب و الله ميسر الأسباب إنه كريم وهاب.

ذكر أسماء مكة و صفاتها

سماها الله بأربعة أسماء: مكة و البلد و القرية و أم القرى. قال الله تعالى: "و هو الذي كف أيديهم عنكم و أيديكم عنهم ببطن مكة". فإذا الكلام على هذا الاسم قال الزجاج: مكة لا تنصرف لأنها مؤنثة و هي معرفة. و يصلح أن يكون اشتقاقها بكة لأن الميم تبدل من الباء كما يقال ضربة لازب و لازم، و يصلح أن يكون اشتقاقها من قولهم مككت العظم إذا مصصته مصاً شديداً حتى لا يبقى فيه شيء شبهت بذلك لشدة ازدحام الناس فيها، و قال أبن فارس: مككت العظم إذا أخرجت مخه و الملك الاستقصاء. و في الحديث: لا تمككوا على غرمائكم. و في تسمية مكة بهذا الاسم أربعة أقوال: أحدها أنها مسافة يأتوها الناس من كل فج عميق فكأنها هي التي تجذبهم إليها، من قول العرب أمتك الفصيل ما في ضرع أمه، و الثاني من قولهم مككت الرجل إذا أردت تخوفه فكأنها تمكك من ظلم فيها أي تهلكه، كما قال:

يا مكة الفاجر مكي مكا و لا تمكي مذحجا و عكا

و الثالث إنها سميت بذلك لجهد أهلها، و الرابع لقلة الماء بها. و قد اتفق العلماء أن مكة اسم لجميع البلدة، و اختلفوا في بكة على أربعة أقوال: أحدها أنه اسم للبقعة التي فيها الكعبة قاله أبن عباس رضي الله عنهما، و الثاني إنها ما حول البيت و مكة ما وراء ذلك قاله عكرمة، و الثالث إنها اسم للمسجد و البيت و مكة اسم للحرم كما قاله الهروي، و الرابع أن بكة هي مكة قاله الضحاك و احتج لتصحيحه أبن قتيبة و قال بأن الباء تبدل من الميم و يقال ضربة لازم و لازب. و أما اشتقاق بكة فمن البك: يقال بك الناس بعضهم بعضاً أي دفعه. و في تسميتها بكة ثلثة أقوال: أحدها لازدحام الناس بها قاله أبن عباس، و الثاني تبك أعناق الجبابرة أي تدفها فما قصدها جبار إلا أهلكه الله قال ابن الزبير و أما تسميتها بالبلد فقد قال عز و جل: "لا أقسم بهذا البلد" يعني مكة و البلد في اللغة صدر القرى. و أما تسميتها بالقرية فقال الله عز و جل: " ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة"، أي ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى انتقال عنها لخوف أو ضيق، يأتيها رزقها من كل مكان، الرزق الواسع الكثير يقال أرغد فلان إذا أصاب خصباً و سعة، فكفرت بأنعم الله، أي كذبت محمداً "، فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف، و أصل الرزق بالنعم و أكثر اشتقاقه منه و ذلك أن الله تعالى عذب كفار مكة بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجيف و العظام المحرقة و كانوا يخافون من رسول الله " و من سراياه. و القرية اسم لما يجتمع فيها جماعة كثيرة من الناس و هذا اسم مأخوذ من الجميع يقال: قريت الماء في الحوض إذا جمعته فيه و يسمى ذلك الحوض مقراة.

و أما تسميتها بأم القرى فقد قال الله عز و جل: و لتنذر أم القرى و من حولها يعني مكة، و في تسميتها بذلك أربعة أقوال: أحدها أن الأرض دحيت من تحتها قاله أبن عباس و قال أبن قتيبة لأنها أقدمها، و الثاني لأنها قبلة يزورها الناس، و الثالث لأنها أعظم القرى شأناً، و الرابع فيها بيت الله عز و جل .

قال أبن المجاور: و مما قرأت في كتب الفاكهي قال: قال لي رجل من أهل مكة قال أعطاه كتابا بعض أشياخه فإذا فيه أسماء مكة فإذا فيه مكتوب: بكة و مكة و برة و بساسة و أم القرى و الحرم و المسجد الحرام و البلد الأمين: و قالوا و من أسمائها صلاح، و قال القائل في ذلك صلاح، و قال كانت تسمى في الجاهلية النشاشة لأنها تنش من فيها أي تخرجه منها. قال أبن المجاور: و حدثني هندي بالهند إنها تسمى عند الهنود مكي مسير. و قال بعض الفضلاء: اسمها كوسا، و احتج بقول الشاعر:

سألت عمراً عن فتى اسمه يحيى و ثاني اسمه عيسى

فقال :يحيى أبصرته جالساً بالفج يحلق رأسه موسى

و أبصرت عيسى داخلاً قرية هي التي قد سميت كوسا

و يسمونها التجار عروق الذهب و يسمونها البغاددة مربية الأيتام. و قد ذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب أن مكة من الإقليم الثاني تنسب إلى المريخ و بناها إبراهيم الخليل عليه السلام. و هواها صحيح و جوها طيب و ليلها أطيب من نهارها لأنها تنزل في لياليها الرحمة من بها. و ماؤها من الآبار و أطيبها ماء الشبيكة و الوردية و الواسعة و هي بئر و راء جبل أبي قيس، فيها يربح الفقير. و جميع ذلك بنته أم العزيز زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور.

و أهلها عرب أشراف من نسل علي بن أبي طالب و ما بقي من أهلها قرشيين على مذهب الأمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. و هم رجال سمر لأن جلة مناكحهم الجوار السود من الحبش و النوبة، و طوال الجثث صحيحين اللغة قليلين المال كثيرين العشائر و القبائل ذوو قناعة. و قد قال النبي ": " القناعة غنى"، و قال عليه السلام: " القناعة كنز لا ينفذ"، و كان أحدهم يبقى على قرص و قيل سمن ثلاثة أيام بلياليها. و في ذلك أنشد الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي يقول:

أمت مطامعي و أرحت نفسي فإن النفس ما طمعت تهون

و أحييت القنوع و كان ميتاً و في إحيائه عرض مصون

إذا طمع أحل بقلب عبد علته مذلة و علاه هون

و ملبسهم النصافي النيسابوري الرفيع و يتحزم بنصفه الثاني و يرمى بما فضل منها. لبس نسائهم القنوع و قد تقدم ذكر القنوع في أعمال صنعاء و البراقع. و مأكلهم اللحم و السمن و الخبز. و أساميهم سالم و مسلم و غانم و غنام و فراح و فارح و قاسم و هياب و نهاب و وثاب و مطاعم و مطاعن و مفرج و فارج و قاسم و قائم و ضاحك و ضحكان و سلاسل و فلال و سيار و هبار و راشد و شاكر و مشكر و فاضل و فضائل و طالب و ظالب و واصل و حاصل و راجي و مترجي و راجح و ناجح و فاتك و مالك و مهيوب و هياب و وهلس و رعاش و حواس و كناس و قادم و مقدم و مشمر و هانئ و مهنا و زاكي و طائب و ظافر و ناجي و منجي و جابر و لاحق و سيار و صابر و جابر و عارس.

ذكر زواج أهل مكة

في العشر من ذي الحجة يخطب زيد بنت عمرو و في العاشر من المحرم يدخل كل واحد منهم على عرسه بالنظرة و التظهير. قلنا: و لم ذلك؟ قالوا: لآن كلا منا يعيش مع الحاج في كل فن من الفنون من إحرام و

حلال فإذا رحل الحاج دار الخطب و النكاح و الأفراح و الأعراس بين الناس. فإذا تزوج رجل من أهل مكة و قطع المهر و أراد الدخول على المرأة يخضب الرجال أيديهم و أرجلهم تزين و كذلك جميع أهل اليمن و حضرموت. و يحضر كل أصدقائه من الأهل و الأقارب و بيده قرطاس مشرور مكتوب عليه اسم الآتي مع وزن المبلغ و عدده يقدمه قدام العروس كل على حاله و سعة ماله و كذلك يفعل النساء. و يخرج العروس إلى الحرم و يطوف سبعاً ويصلي وقام إبراهيم ركعتين و يقبل الحجر الأسود و يخرج بالشمع إلى بيت العروس فتجلى عليه و يدخل عليها و يبقى عندها سبعة أيام. ففي اليوم السابع يخرج يضم الطرح الذي طرح له و يدبره رأس مال في يده و عند ذلك يفتح له دكاناً يعيش به. و يكون ذلك الطرح دينا عليه و كل من تزوج من القوم الذين حضورا العرس يدر إليهم الذي اخذ إلى كل واحد من القوم مثل الذي جاء به إليه أو أزيد منه، و كذلك يفعلون في سائر أقاليم اليمن.

و كانت أهل مكة في سالف الدهر يشترون العبيد و يقطعون عليهم قطعة تعطى لسيده كل يوم بيومه، و كذلك النساء تقطع المرأة قطعة على جوارها في تحصيل الذهب فترجع الجارية ترجو الفرج أو تبذل الفرج للرجل و الحرج في هرج و مرج. و إلى الآن هذا موجود في عدن من الغريب و أهلها و ليس هذا الفن عندهم عار بل يفتخر النساء بذلك. و كذلك كان في أيام الجاهلية كل جارية لا تبذل فرجها ينكر عليها إلى أن نزلت هذه الآية: " و لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا فهي من ذلك العهد و عم على ذلك العهد باقون". و إذا خرج السيد و العبد الجارية إلى أشغالهم خليت المرأة في الدار وحدها حتى إنها تبرك على أربع إذ ليس لها شغل تشتغل به فيرجع بروكها على وركها عادة و ألفوه إلفاً. و يقال إذا تخاصم رجل و امرأته و اغتاظت المرأة منه غاية الغيظ تقول المرأة لزوجها: لا شك أنك على أني أكسره، و المعنى أنك تريد أن اقعد على عجزي، فيقول لها زوجها: بالله عليك لا تفعلي ذلك.

فصل

دخل سيف الدولة بن عبد الله بن حمدان على بنت عمه و يقال بنت خاله و هي باركة على أربع و هي تنظم لها حب عقد لؤلؤ فقال لها سيف الدولة: بكم هذا؟ قالت له: بالموصل. قال لها: اشتريت. فقالت له: و أنا بعتك. و قضى منها شغله فلما أصبح من الغد جاء الخادم يتقاضى ثمن ما اشتراه فقال سيف الدولة للوزير: اكتب لها منشوراً بتسليم الموصل! فما أعجب الوزير هذا القول و امسك عن الكتب. فقال له سيف الدولة: أكتب لها فو الله لقد أخذت منها فرداً يسوي جملاً احمراً أو يقال جمل عراقي. كما قال: نعم أقول لو أن القول مقبول. ظل الهوى و تمادى القال و القيل ليس السلام بشافي القلب من

دنف. ما لم يكن فيه تخميش و تقبيل و ليس يرضى محب عن أحبته. حتى يفوز بما ضم السراويل. و لأجل ذلك تكبر أعجاز نساء الحجاز لأنهم يربونه قاصداً. و يطلع بها من جميع الخضر مثل البطيخ و الخيار و القثاء و الباذنجان و الكراث و يأكلونه بالتمر و الفجل و ما أشبه ذلك و بها الرطب الطيب من البرني و المكتوم. و يقال إنه كان في قديم الأيام يجتمع بها من جميع الأزهار و الفواكه و الثمار و الرياحين و من جملة ذلك أنه كان يزرع في زهران الزعفران. و كان يرفع ذلك إلى بغداد كل عام بعد الخرج و المون ثمانون ألف دينار و قيل ثمانية عشر ألف دينار و هو الأصح. و جميع ذلك كان من الزرع و الضرع و دخل الأشجار و جني الثمار و سقي الأنهار و مراعي الإبل و دخل النخيل. فلما دار الدهر نقص جميع ما ذكرناه لاختلاف النيات مع قلة الأمانات. و كل من بها يستعمل الطيب من الرجل و المرأة. و في يد كل واحد من القوم سيف و لم يرموا العدة من أيديهم إلا في شهر الله الأصم رجب عظم الله حرمته. و بناه البلد بالحجر و الجص و بناء الطبقة الثانية بالشكل، و هذا في زمان معاوية بن أبي سفيان. و صارت بعده في أيام أبي عبد الله محمد المهدي بالله أمير المؤمنين لما بني الحرم الشريف كل دار تشابه حصنا من الحصون لأجل أحكامها. و بني الأمير هاشم مدينة ظاهر مكة بين درب الثنية و المسفل تسمى مربعة الأمير فكان يسكن بها جنده و خدمه و حشمه و بقي البلد عامراً. و خربت في دولة الأمير عيسى بن فليته و بقي خراب إلى دولة الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعم بن عبد الكريم و جدد فيها آثاراً و مواضع شتى و أراد أن يسكن فيه الغرباء و قريش و يسكن هو و جميع أهل الشرف مكة فمات على غفلة و بطل جميع العمل من طول الأمل. و أدار الأمير قتادة بن إدريس على مكة سوراً من الحجر و الطين و ذلك على رءوس الجبال و بطون الأودية و ركب عليه أربعة أبواب: باب درب المعلى ينفد إلى عرفات، و باب درب الثنية ينفذ إلى مدينة الرسول " و يسمى باب جدة و باب العمرة، و باب المسفلة ينفذ إلى اليمن، و باب الصغير ينفذ إلى الصفا المصافي و الصحيفة، و هو واد ليس عليه طريق على هذا الوضع و الترتيب و الله تعالى اعلم بالصواب.

ذكر ولاة مكة من آل الحسن بن علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه. الأمير منصور بن يكثر بن عيسى بن مكثر بن قاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبد الله ب موسى الجون بن عبد الله ديباجة بني هاشم بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب. و الأمير حسن بن قتادة بن إدريس بن مطاعم بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سلمان بن علي بن عبد الله بن موسى الجون، و هاهنا يرجع النسبيين إلى فرد نسب. فهؤلاء الذين نزلوا مكة من أيام دولة الأمام عبد الله الخليفة أبي جعفر بن هارون الرشيد

إلى سنة تسع عشر و ستمائة. و في هذا التأريخ ملكها السلطان الملك المسعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان بن محمد.
و نقد البلد ذهب مصري و بها يضرب على عيار المصري يستوي الدينار أربعة و عشري علوي يحسب كل علويّ أربعة دراهم كل درهم ستة فلوس.

فلما رجعت الدولة لآل أيوب ضربوا الدراهم الكبار و يقال أول من ضرب هذا الدرهم الكبير بها المعز إسماعيل بن طغنكين في اليمن. و أول من ضرب الدراهم الكبار بمكة الملك المسعود يوسف بن محمد على قوانين اليمن يسوى الدينار المصري أربعة دنانير و نصف ملكي يصبح ثمان عشرة درهما يحسب كل أربعة دراهم دنانير دينار مكي، و كل درهم ثلث جوز كل جائز ثمان فلوس و كل فلس أربع درس. قال أبن مجاور: و كل ما كان يصح في أول العهد بعلوي رجع ذلك الشيء بدرهم كبير. و الرطل مائة و ثلاثون درهما و هو ستة أواق يحسب كل أوقية أحد و عشرون درهما و ثلث و به يباع جميع الحاوئج و العطر. و من اليمن ثلاثمائة و عشرين درهما و به يباع الثياب و السكر و العسل و جميع الحوائج الحلوة، و من اللحم أربعمائة درهما و به يباع اللحم و الشحم و الهريسة و المجبنة و الألية، و من السمن ثمانمائة درهما و به يباع السمن و الزيت و الخل و الشيرج. و الذراع اليد في أيام الموسم و أيام الصدقة و إذا كان بعد الموسم بمدة شهر كامل زيد في الذراع و في سنة أثنين و عشرين و ستمائة زيد في الذراع و رجع الذراع على ذراع مصر. و كانت صنجة مكة في بغداد تصح المائة خمسة و تسعين ديناراً، فلما تولى ملك الحجاز طغتكين الكاملي نقص المائة الدينار فصار الآن تصح المائة المكية ببغداد أربعة و تسعين ديناراً. و جميع ما يباع بمكة مقايضة كج بكج. و يباع الحنطة و سائر الحبوب بالصاع و يحسب الصاع أربعة إمداد و كل مد أربعة أرباع الرطل. و يباع الادم بالبيعة كل بيعة مائة من يصح الحمل بيعتين و نصف. و يحسب العوار ثلاثة أضعاف: عوار الذي يكون في أوسط الطاق خدش سكين في رقبة الطاق، و الثاني الشعراني و هو الذي يكون في الشعر، و المقفع يكون قد تقفح الكيمخت من على الجلد، و كذلك اليابس من الدهن و الخفيف و الأسود. و الأديم الجيد و هو الثقيل النقي الطاهر عتابي الوجه مشتبك بعضه ببعض مبرأ من العيوب التي ذكرناها.
قال أبن المجاور: هذا في اليمن و نواحيها يكون يسوي كل مائة من بخوارزم على الصفة التي ذكرنا سبعين دينارا. و يدبغ الأديم في جميع أقاليم اليمن و الحجاز و نواحيها و يبيعوه طاقاتٍ بالعدد و كذلك الحبشة و أعمالها و يسموه العجم أديم خوش و في كشك من أعمال الهند كذلك. و ما تدبغ الأديم إلا بالقرظ، و يدبغ في مكة جلود الجمال و البقر و الغزلان و كان مسافرو خراسان يشترون جلود البغال الفحولة

من رستاق الموصل و سواد إربل و تدبغ في مكة، و قد بطل جميع ذلك من سنة عشر و ستمائة لظهور الكافر بخرسان و الري. و الأديم الخفيف يصلح للعراق و الشام لأنهم ينشرون الطاق حتى يجعلوه على الكيمخت، و ما يريدون في خوارزم و خرسان إلا الأديم الثقيل لأنهم يبطنون به الخف. و يقال في الأثمان يسوي الخوارزمي و ألفا أربع دوانيق ربكبه و خفه عشر دنانير و كذلك الروم. و يقال إن الصديق بمنزلة الرأس و العدو بمنزلة الرجل و لأجل ذلك لبست أهل هذه النواحي أرجلهم أجود ما يكون من الملابس. حدثني محمد بن رزق الله قال لي: هل ترون في خراسان كوكب سهيل؟ قالت: لا و الله! قال: لهذا لم يصح لهم دباغة الأديم. قالت: و كيف ذاك؟ قال: كل إقليم يطلع عليه و فيه سهيل يصح فيه دباغة الأديم لأنه يحمره و يصيره إلى ما ترى من الليونة و النعومة.

من مكة إلى المدينة

على طريق بني عصية و هم الرو. من مكة إلى بطن مر أربع فراسخ و هو واد طيب و بنى فيه بعض أمراء مكة من الشرق قصراً و هو الآن خراب. و إلى الهدى أربع فراسخ و إلى برزة أربع فراسخ و إلى شابة أربع فراسخ و إلى المدينة قدر أربع فراسخ. و إلى هجر سبع فراسخ أرض عزة و هي أرض بني سليم التي فتحها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

ذكر فتح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هذه الجبال

حدثني عيسى بن أبي البركات بن مظفر البغدادي بمكة قال: إني قرأت في بعض الكتب أنه كان لبني سليم في الجاهلية نحل عظيم فكان إذا جاءهم عدو دخنوا في الأكوارات يعني النحل فكان يطير و يعلو الجو يبان لناظره شبه غمامة من كثرته فإذا تعلى انحدر و نزل على خيل العدو و نكد عليهم فعند ذلك تنهزم خيل العدو من بين أيديهم. و كان بنو سليم قد قهروا جميع أعدائهم بهذا الفن و بقوا على حالهم إلى أن أظهر الله عز وجل الإسلام و خرج النبي " و من معه من الصحابة إلى هذه الأعمال، ففعلت بنو سليم ما تقدم ذكره فلما صعد النحل الجو و انحدر على عساكر الإسلام نادى النبي "فقال: أين يعسوب الدين؟ فلم يجبه أحد فقال: أين أمير النحل؟ فلم يجبه أحد فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فلما سمع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ذلك من لفظ النبي "جذب ذا الفقار و حمل على النحل فأدبرت النحل على أثرها راجعين على بني سليم و لدغتهم فهربت بنو سليم بين أيدي النحل إلى الجبال و بطون الأودية و فتح الله جبال بني سليم على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. فلما إستتم الفتح و استقام النصر قال بعض

الصحابة للنبي ": يا رسول الله شبهت علي بن أبي طالب باليعسوب و هو النحلة؟ فقال النبي ": المؤمن كالنحلة لا تأكل إلا طيباً و لا يخرج منها إلا طيب فمن ذلك الحين و الواقعة لقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بيعسوب الدين أمير النحل. و إلى الآن من هذه الجبال نحل أي عسل يشتري منه الحاج و الحجاز و بعض أهل اليمن.

ذكر وادي أنظر

قال ابن المجاوز: رأيت في المنام ليلة السبت سادس شعبان سنة أربع و عشرين و ستمائة كأن إنسان يقول لي: إن في أعمال المدينة يثرب وادٍ مسروق و جبال و شعاب لم يفتهم لأحد كيف دخوله. قلت له: ما يسمى؟ قال: وادي أنظر. قلت: و ما المعنى فيه؟ قال: إنه سأل إنسان شيخاً من أهل هذا الوادي فقال له: من أين الشيخ؟ فقال: من وادي أنظر. قلت: و ما المعنى في هذا الاسم؟ قال: لأنه وادٍ للإسلام به عز. قات: و من أين سكانه؟ قال: هم قوم من أولاد حام بن نوح علية السلام و هم مع ذلك قوم لا عرب و لا عجم و لا هند و لا حبش و لا ترك و لا نبط بل لهم لغة منهم و فيهم. قلت: فكم يصح دوره؟ قال: فرسخين أو مسيرة يومين. و لا يزل الأمير قاسم أبن المهنا بن جماز الحسيني يرعى إبله و نعمه فيه و أرضه ذات مزارع و عيون و أمن و سكون، و قد خلت من السبب في خلوها؟ قال: إن الله عز و جل قلب عاليها سافلها. قال ابن المجاور: و في هذه الأيام قتل الأمير قاسم بن المهنا جماز ابن عمه شيحة و تولى يعد قتله الأمير هاشم بن قاسم على ملك مكة. و مع ذلك يمكن أن يكون هذا الوادي في هذه الأودية و الجبال و الشعب مسروقة لم يعلمه أحد من الأعراب سوى سكانه و العلم عند الله.

و إلى الخضراء من يثرب أبع فراسخ و به أعين و نجيل و يسكن أهلها في أحدار الشعر إلى الآن. و إلى عين النبي "أربع فراسخ و هي عين جارية و عليها نخيل و هي أواخر الجبال و الأودية و أول الفلاة و الرمال و إلى عمق أربع فراسخ و به أعين و نخيل، و أحرق نخلها الأمير عز الدين أبو عزيز قتادة بن إدريس سنة خمس عشرة و ستمائة. و إلى نجد أربع فراسخ و تسمى مرك و هي أرض قفر و بها بركة عظيمة خلقها الرحمن، و يقال أغتسل بها و من مائها النبي "فلا يزال الماء طول الدهر من بركات النبي ".

و تمر على ثلثه جبال تسمى البرانين فإذا كنت طالب المدينة أترك جبلان منا على يسارك و إن كنت طالب مكة فأتركهما عن يمينك و أمش بالقرب من الجبال لكي لا تضل لأنه وادٍ فيه رمل أبيض يشابه دقيق السميد و لا شك أنه إلا في هذا المكان. و إلى بئر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أربع فراسخ و هي بئر عظيم البناء يروى الحاج منها و من حولها من الأعراب ما عندهم من المواشي و غيرهم. و إلى قباء أربع فراسخ و كانت مدينة قبل المدينة و قيل بني في زمن النبي " و في مسجدها قبتان إحداهما إلى

المشرق و الثانية إلى الكعبة لما أمر الله سبحانه النبي " أن يوجه وجهه نحو الكعبة لما قال: "فول وجهك شطر المسجد الحرام و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره" ثم إلى المدينة فرسخ بين نخل باسقات شامخات.

و من مكة إلى الطائف

من مكة إلى منى فرسخ. و إلى المشعر الحرام فرسخ. و إلى جبل عرفات فرسخ، مبتدئ وادي نعمن و فيه أراك و نخل.

ألا هل لأيام المحصب أوبة و هل لي بهاتيك القباب و حلول
و هل لليالي الخفيف بالخفيف مرجع و هل لمبيت بالجمار سبيل
و هل لي بأعلام المعرف وقفة و بالسرح من وادي الأراك مقبل

و إلى برقة ثلاث فراسخ و به قبر الأمير شكر بن أبي الفتوح الذي أستفتح جدة. و إلى المرزة أربع فراسخ و الأصل ستة فراسخ. و إلى الحجر فرسخين و يكون جوازك على جبل عالٍ يسمى عفر، قال أبن المجاور: و لا شك أنه يسمى غزوان و به قال الشاعر:

إذا خفت يوماً من أمير عقوبة فلي باللوى من رأس غزوان منزل

بناء الطائف

قرأت في كتاب الفاكهي قال: حدثني الحسين قال حدثني على بن الصباح قال حدثني أبن الكلبي عن إياد بن نزار و يقال عن أبيه عن أبي صالح عن أبن عباس قال: كان بالنخع و ثقيف رجلان من إياد بن نزار يقال لأحدهما ثقيف و هو قسي بن منبه أبن بنت أفصى بن دعمي بن إياد بن نزار و الآخر النخع بت عمرو بت طهمان بن عبد مناة بن يقدم بن أفصي بن دعي بن إياد بن نزار. فخرجا و معهما غنيمات لهما فيها عتر لبون و هما يشربان من لبنها، فعرض لهما مصدق ملك من ملوك اليمن فأراد أن يأخذ من غنمها الصدقة. فقالا: خذ من أيتهن شئت! فقال: آخذ صاحبة اللبن. فقالوا: إنما معيشتنا و معيشة هذا الجدي من لبنها. فأبى إلا أخذها فقتله أحدهما. فقال له صاحبه: لا يجمعني و إياك بلد و لا تحوينا أرض فإما أن تصعد و أنحدر و إما أن تنحدر و أصعد. فقال النخع: أنا اصعد، فأتى النخع بيشة فنزلها. و مضى ثقيف إلى وادي القرى فكان يأوى إلى عجوز يهودية يكمن عندها بالليل و يعمل بالنهار فعند ذلك

اتخذته ولداً و اتخذها أماً. فلما حضرها الموت فقالت: يا بني إذا مت فخذ هذه الدنانير و هي قضبان من الكرم فإذا نزلت بلدا فأغرس هذه القضبان فأنك لا تعدم منها رزقا. ففعل ثقيف ذلك ثم أقبل حتى نزل موضعا قريباً من الطائف، فإذا هو بجارية حبشية على ظهر ترعى مائة شاة لمولاها. فأسر طمعاً فيها و قال: أقتلها و آخذ الغنم! فألقى في نفسها ما أراد بها فقالت له: يا هذا كأنك طمعت نفسك أن تقتلني و تأخذ غنمي؟ قال: نعم. قالت له: لقد عدلت و لو قتلتني و أخذت الغنم ما نجوت فأنا جارية عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو أبن قيس بن عيلان بن مضر و هو سيد أهل الوادي و أنا أظنك غريباً خائفاً. قال: نعم. قلت: أفلا أدليتك على خير مما أردت؟ قال: بلى! قالت: إن مولاي إذا طلعت الشمس ليأتي إلى هذه الصخرة فيضع ثيابه و قوسه و جفيرته عندها و ينحدر في هذا الوادي يقضي حاجته و يتوضأ من العين التي في الوادي ثم يرجع و يأخذ ما ترك و ينصرف إلى رحله و يأمر منادياً ينادي: ألا من أراد العيش و التجمع فليأت دار عامر بن الضرب! فيقبل جميع من أراد ذلك، فأكمن له تحت الصخرة و خذ ثوبه و قوسه و جفيرته فإذا رآك و قال: من أنت؟ فقل: غريب فأنزلني و خائف فأجرني و كفيء فزوجني إن كنت براً شريفاً! فقال: أنا افعل جميع ما ذكرت. فال فخرج عامربن الضرب كعادته فاستخفى له ثقيف فلما دخل الوادي فعل ثقيف ما أمرته به الجارية فقال عامر بن الضرب: انطلق فانطلق معه فانحدر إلى قومه. و نادى مناديه فأقبلت الناس يهرعون إليه فأكلوا و تجمعوا. فقال لهم عامر: ألست سيدكم؟ قالوا بلى! قال: و قد أجرتم من أجرت و آمنتم من آمنت و زوجتم من زوجت؟ قالوا: بلى! فقال عامر: هذا قسي بن منبه، فزوجوه في الحال ابنته فولدت لثقيف عوف و دارس و سلامة، ثم تزوج بأختها بعدها فولدت له قاسم. و أقام بالطائف و غرس تلك القضبان من الكروم فنبتت و أطعمت. و بنى المكان فسمي الطائف لأنه طاف البلاد و سكن بها. و قيل ما سمي ثقيفاً لأن أباه ما ثقف حتى ثقف عامراً حين آمنه و زوجه، و ثقف الكرم حين غرسه فسمي ثقيفاً. حدثنا محمد بن أبي عمرو قال: حدثنا شعبان بن جريح عن مجاهد في قوله عز و جل: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، قبل القريتين مكة و الطائف، فأما الرجل فقيل هو عيبة بن ربيعة و كان ريحانة قريش يومئذ و قالوا بل هو مسعود بن معتب.

ذكر حصن الهجوم

حدثني أبو علي أحمد بن علي بن آدم البزلي قال: كان حصن الهجوم جبل مدور في وسط قاع صفصف فجاء الأنباط و هم من نسل اليونانيين النصارى و يقال الروم و قد بقى من تذاكيرهم طي القنوات و

مجاري الأعين و حجر الطواحين التي يطحن عليها القرظ لأجل دباغة الأديم. قال الراوي: و دور كل حجر منها ثمانية أذرع في الارتفاع إلى سبعة أذرع. و ليس هذا من عمل العرب لأنهم لا يتدبر لهم فيه عمل و لا يستدبر لهم في أيديهم و لا يتصور في خواطرهم بل هذا و ما أشبهه من عمل الجبابرة و حكمة الأوائل. و ما ذكرت ذلك الأحكام إلا لما نذكره من بناء الحصن و ذلك أن الأنباط جاءوا و بنوا حول الجبل الحجر المنقوش المربع طول كل حجر منه سبعة أذرع في عرض ثلاثة أذرع و لا زال القوم في بنائه إلى أن حاذى البناء ذروة الجبل، فلما استتم البناء به على حسب المراد بما أراد الفكر بنوا بعده الأسوار و الأبراج و هو على وضع ما تقدم ذكره. و ركب عليه باب واحد و حفر في داخل القلعة بئر عظيم فظهر في البئر مع تمام الحصن الوافر ماء يحاكي الشهد في حلاوته و الماء ورد في رائحته و عين الحيوة في صفاته. فلما دار الدهور بالسنين و الشهور ارتدم ما بين الأمة من التقارب و الاتصال تقاربت بهم الآجل و تباعدت عنهم الأحوال إلى أن أظهر الله عز و جل الإسلام ففتحها النبي " بالسيف. و بقى الحصن على حاله إلى أن وصل ملك الحجاز إلى الأمير عز الدين أبي قتادة بن إدريس فأمر بهدم الحصن فهدم خوف أن لا يعصيه فيه أحد من الأعراب و يبقى الحصن خراب إلى الآن خراب إلى الآن و يسمى عند أهلها حصن الغراب.

ذكر الوهط

حدثنا معبد بن عبد الرحمن المخزومي قال حدثنا شعيب عن عمرو بن دينار قال: كتب عمرو بن العاص في وصيته و ذلك في الوهط و جعلها صدقة لاتباع و لا توهب و لا تورث: و هي للأكبر من أولادي المتبع فيها عهدي و أمري فان لم يقم بعهدي و لا أمري فليس له ولاء، يعني بذلك الوهط، حتى يرثه الله تعالى قائماً على أصوله. حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار قال: عرش عمرو بن العاص في الوهط مائة ألف عود كل بدرهم. و الوهط قرية من أعمال الطائف بينهما ثلاثة أميال فكان كل فاكهة الطائف و مكة من ذلك الوهط. حدثنا محمد بن موسى القطان قال حدثنا محمد بن الحجاج الثقفي قال حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد عم عطاء عن أبن عباس قال: كان الطائف من أرض فلسطين فلما قال إبراهيم: ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم قال فرفع الله تعالى له موضعاً إلى الطائف في موضعها. قال حدثني محمد أبن فارس القرشي قال لي: ما بقى في الوهط من الشجر سوى شجرة توت و هي إلى الآن وقف عليهم.

ذكر سليمان بن عبد الملك

أبن مروان و خروجه إلى الطائف. حدثني محمد بن صالح البخلي قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال: كنا مع عبد العزيز بن أبي رواد في المسجد الحرام فأصابنا مطر شديد و ريح شديدة فقال عبد العزيز: خرج سليمان نب عبد الملك إلى الطائف فأصابهم نحو من هذا ببعض الطريق فهالهم ذلك و خافوا فأرسل إلى عمر بن عبد العزيز، و كانوا إذا خافوا شيئاً أرسلوا عمر فقال له سليمان بن عبد الملك: ألا ترى ما نحن فيه؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا صمت رحمته فكيف بصوت عذابه! فخرج سليمان إلى الطائف قال فلما قدم إليها لقيه أبو زهير بني ثقيف فقال: يا أمير المؤمنين أجعل مترلك عندي! فقال: إني أخاف من الصداع. فقال: كلا إن الله قد رزقني خيراً كثيراً. قال فترل ورمى بنفسه على البطحاء فقيل له: الوطاء! فقال: لا! البطحاء أحب إلي. فلزمه بطنه فأتى بخمس رمانات فأكلهن و أتوه بخمس. أخرى فأكلهن ثم قال: أ عندكم غيرها؟ قالوا: نعم. فجعلوا يأتون بخمسة خمسة حتى أكل سبعين رمانة ثم أتى بخروف و ست دجاجات فأكلهن و آتوه نصيب من الزبيب يكون فيه مكوك على نطع فأكله جميعاً ثم نام. و انتبه فدعا بالغداء فأكل مع أصحابه فلما فرغ دعا بالمناديل فكان فيها قلة من كثرة الناس فلم يكن عندهم من المناديل ما يسعهم، فقال: كيف الحيلة يا أبا زهير؟ فقال أبو زهير: أنا أحتال. فأمر بالصرح و الخزامى و ما أشبههما من الشجر فأتي له بما يمسح به سليمان يده، ثم شمه فقال: يا أبا زهير دعنا و هذا الشجر و خذ هذه المناديل أعطها العامة! ثم قال سليمان: يا أبا زهير هذا الشجر الذي ينبت عندكم أ شجر الكافور هو؟ قال: لا فأخبره بخبره فأعجب سليمان. و قد قال امرأ القيس الكندي:

كأن المدام و صوب الغمام ... وريح الخزامي و نشر القطر

يعل به برد أنيابها ... إذا طرب الطائر المستحر

فلما فرغ قال أبو زهير: افتحوا الأبواب! ففتحت و دخل سليمان مع الناس فأصابوا بستاناً ذات أكمام و إتمام من الخير و الفواكه فأصابوا الفاكهة. فأقام سليمان يومه و من الغد ثم قال لعمر: ألا ترى أنا قد أضرينا بهذا الرجل! فرحل و نظر إلى الوادي و خضرته مع طيب رائحته فقال: لله در قيس أي وادٍ نترل! و نظر إلى عناقيد عنب يظنها الحرار فقال له عمر: يا أمير المؤمنين هذه عناقيد العنب! فأقام سبعاً ثم رجع إلى مكة.

و وصف بعضهم النارنج فأنشأ يقول:

و روضةٍ يتركني زهرها ... بالحسن و النضرة مبهوتا

أنعت منه حسن نارنجها ... و لم يكن من قبل منعوتها

و صحت في الناس: ألا من يرى زبرجداً يحمل ياقوتاً

و قال في السوسن:

سقيا لأرض إذا ما نمت ينبهني قبل الهجوع بها صوت النواقيس

كأن سوسنها في كل ساقبة على المبادين أذناب الطواويس

و قال في المنثور:

و منثور حططت إليه رحلى و قد طلعت لنا شمس النهار

كشبة دراهم من كل فن يخالطه كبار مع صغار

و قال في الياسمين:

و الياسمين أتاك في طبقة قد أكسر الناس من عقبة

قد نفض العاشقون ما صنع الس بين بألوانهم على ورقة

و قال في اللينوفر:

و لازوردية تاهت بزرقتها بين الرياض على زرق اليواقيت

كأنها فوق طاقات لها صبغت ذبائل النار في أطراف كبريت

و قال في النرجس:

و أحداقٍ مسهدة عواني سرفن السحر من حدق الغواني

على قضب الزبرجد شاخصات حوين صفات نور الأقحوان

بأحداق من الكافور صبغت مكحلة الجفون بزعفران

صفة الطائف

الطائف سامية باردة الماء و الهوى صحيح كثيرة الفواكه زراعتهم الحنطة اللقيمة التي تشابه اللؤلؤ، و أهلها من ثقيف و قريش على زي أهل مكة في الأكل و اللبس. و أهلها يرثوا البنت عند الموت و لم يورث أحدهم بنته الدراهم، و كذلك بنو هذل و مضر و بجيلة و جميع أهل السراة و جميع العرب الذين هم سكان بأرض الحجاز و ما حول مكة. و للقوم عصبية عظيمة إذا مات بها أحد لم يحمل جنازته إلا الشبان و مع ذلك يقولون: سلم سلمك الله هذا ما وعد الله نعم القاضي! و هم يتداولون بالنعش إلى

الجبانة و هم الذين يحفرون القبر. حدثنا الزبير بن أبي بكر قال حدثنا عمر بن أبي بكر الرملي قال: اخبرني بعض أهل العلم من قريش قال: ما استن للنوائح و أحرباه إلا من بعد موت حرب بن أمية فناحت نوائحه و أحرباه فجعلن النواح للناس كلهم يقلن: و أحرباه! من ذلك العهد.و به قبر عبد الله بن العباس رضي الله عنهما. و جميع عملهم دباغ الأديم و يدبغ بها الأديم المليح الثقيل المعروف بها و هو الذي يصلح لخوارزم. و كل فريق يغرس في هذه البلاد يطلع مكتسبي و به يطعن السدر و هو سويق النبق من نبق العراق ليس له شوك و كذلك شجرة في زبيد مما يلي القرنب.

من الطائف إلى جبل بدر

من الطائف إلى المعى ستة فراسخ و به تنحت قدور البرم التي يفخر حجرها على سائر الأحجار. حدثني شيخ قدوري بهذا قال: إن احجر الأملس يعمل فيه الحديد إلا الفولاذ و إلى خبت عنتر خمس فراسخ و هو عنتر بن زبيبة العبسي، و هي ارض ذات شعاب و مكسّرات و بها بئر عذب فرات. و إلى حدان ستة فراسخ. و إلى بحرى خمس فراسخ و به تزرع الحنطة في العام مرّتين بعد كل ستة اشهر مرّة و هذا خلاف كلّ العالم في الزروع. و إلى الدرب فرسخين. و إلى ارض ليلى العامريّة و قيس بن الملوّح و يقال أنّ ليلى العامريّة و قيس بن الملوح كانوا في هذه الأرض و ماتوا بها. و في قبيلها يقول الشاعر:

ألا لَيتَ أتى بالما عامريّةٌ إذا صابها ضيمٌ دَعت يالَ عامرِ

و إلى نوا فرسخ، أول معاملة بجيلة و هم الذين يسمون السرو.

ذكر السرو

فأما السرو فإنهم قبائل و فخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشائخ منهم و فيهم و هم بطون متفرقون. فإذا خرج أحدهم إلى سفر أتت المرأة إلى عند المخلف أي عشيق تلك المرأة يحاضنها إلى أن يرجع زوجها. فإذا قرب المسافر من مترله نادى بأعلى صوته: أيها المخلف اللجوج، فقد حان وقت الخروج! و يدخل المسكن غفلة فإن وجده في المسكن قتله و إن كان قد خرج فقد عفا الله عما سلف. و سألت رجلاً منهم في مكة فقلت له: أيها الرجل و التريل ماذا يصنع المخلف؟ فرد أسوئ جواب فقال: يسحق الخبز و يمحق المرأة. و غاية حج القوم عمرة أول رجب و قد ضمن لهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضه تلك العمرة بحجة كاملة مقبولة. فإذا دخلوا مكة ملئوها خبزا من الحنطة الشعير و السويق و السمن و العسل و الدخن و اللوز و الزبيب و ما يشبه ذلك، و لذلك يقول أهل مكة: حاج العراق أبونا نكسب منه الذهب و السرو امناً نكسب منهم القوت. يقال أن معاملة نوا مائتي قرية أو اكثر و من

جملة القرى المائتين المسلم و عقدة و اليفوع و حدا و الراهن و سعمون و بريف. و بها وقعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الأفعى فقتله، و به جبل إبراهيم الخليل عليه السلام. و منهور و الفروات و الشعبين و اللقاع و حرف و الرجعين و هي قرى جماعةٌ. و بهذه الأعمال كانت وقعة بني تميم و بكر بن وائل و في حرب منها هلك لقيط بن زرارة أخو حاجب بن زرارة و حسن. و إلى الرداء ستة فراسخ. و إلى الملحاء ستة فراسخ و هو جبل عظيم و الله اعلم.

ذكر جبل الملحاء

حدثني أبو علي احمد بن محمد بن آدم اليزني قال: لما ملك تبع جزيرة اليمن و أرض حضرموت و بلاد الأحقاف و الحجاز و أراد أن يخرج إلى ناحية العراق فجاء إلى هذا الجبل و أراد أن يحفر فيه سربا عظيماً فجهّز تحت الأرض مسيرة ثلاثة فراسخ أو اكثر من ذلك مستفل منحدر. فلما حفر هذا القدر أمر أن يحفر في أواخر السرب بلدا عظيما و الأصح سوقاً عظيما بدكاكين متقابلة مصطفة على خيط واحد ما مقداره ألف دكان و نفر من وراء الدكاكين و الدور و الأملاك. فلما تم عمله ملأ كل دكان من الدكاكين صنفاً من الأمتعة و الأطعمة و من الحوائج و العقاقير و ما يحتاج إليه من ثقيل و خفيف ذخيرة له. و حفر في وسط السوق بئراً واسعا عميقا في الطول و العرض و جمع جميع الأموال التي كانت معه و كترها في البئر و جعل الذهب بيان له لأنه قد نصب على خرزة البئر عمودا معرضا و فيه طلسم إذا انزل إنسان رجله على العود المعارض دار العود و في العود سيف مصنوع قاطع يضرب الإنسان نصفين يرميه في البئر. قال ابن المجاور: و ما اضن السيف اصله إلا من الصاعفة التي ضرب بها يافث بن نوح عليه السلام.

ذكر سيوف الصواعق

حدثني عيسى ابن أبي البركات بن مظفر البغدادي قال: أما سيوف الصواعق فثلاثة و قيل سبعة. و قال آخرون: بل أربعة عشر سيفاً ضربة في أيام يافث بن نوح عليه السلام. و ذلك انه لما مات نوح عليه السلام و قع الخلف بين أولاده في طلب الرئاسة فتفرقوا. فطلب يافث المغرب و بنى بها مدينة جابلقاه و طلب أخوه حام المشرق و بنى بها مدينة جابرسا. و أمّا ما كان من أمر يافث فانه جمع الأموال أموال الربع المسكون و عباها خزين و عمل عليها طلسما و ركب السيوف على الطلسمات. و بقيت الكنوز على حالها إلى أيام ذي القرنين فحينئذ ابطل عمل الطلسمات و اخذ ذو القرنين تلك الكنوز. قال ابن

المجاور: و إحدى تلك السيوف في جبل الملحاء في البئر التي فيها الكنز الذي أودعه تبع. تبع. و يقال انه يسبك من الصاعفة وزن حبة خردل على الفولاذ و يضرب منه سيف لم يحمل لغمد بل يوضع في جراب خزف.و قيل إذا وقعة الصاعقة لم تسكن إلا إذا افلت عليها الخل و إنما إذا وصلت الماء وقفت و إذا لم يفلت الخل عليه فانه يخرق تخوم الأرض. و الأصل فيه انه عمود من حديد جهنم نعوذ بالله منها.

فصل

قال الله عز و جل: لابثين فيها أحقابا. قال بعضهم الحقب أربعة آلاف سنة و السنة أربعة عشر ألف شهر و الشهر أربعة آلاف يوم و اليوم أربعة آلاف ساعة و الساعة مقدار سبعين ألف سنة من سني الدنيا. قال ابن سلام: مساكين أهلها نسأل الله أن يعيذنا من شرها، و يؤخذ قياس نارها و حديدها من قياس أيامها و ساعاتها. و يقال إنّ السيوف المذكورة أربعة أصناف: الصنعاني يضرب في صنعاء متقدم قصير لأنّه سيف الرجالة يقطع اليابس و الرطب و علامته أن يكون في وسطه مرازب و يقال مرازب واحد، و كثير ما توجد هذه السيوف في جبال اليمن عند العرب. و الكرماني قديم ضرب في أيام دولة ملوك العجم بكرمان و هو قضيب ماد ما بين القصير و الطويل، و أصل هذه السيوف من الفولاذ هرات، و قيل بل كان عندهم معدن يستخرج منه الحديد، و غاية ما توجد هذه السيوف عند الأكراد الشارونية و البلوج و الكوشان و الاوغان و السرهدية من أعمال غزنة و الإفرنجي سيف طويل ماد بالمرة و ما يطولونه إلا لأجل الفرسان و اصله من تكاسير نعال الخيل و يسقى من نداوة زرع بلادهم، لين المرة و يقطع في اللين دون اليابس و لربما قطع اللحم في البدن و سلم العظم. و غاية ما تجلب هذه السيوف المعروفة عندهم في علب الخشب، و علامته أن يكون به كف إنسان فهو الجيد. و يقال أن الذي نقش على سيوفه ذلك ضرب أربعمائة سيف لم يضرب مثلها في الربع المسكون. فلما رأى ملك الروم هذه الصنعة الشريفة أمر بقطع يده اليمنى فلما فعل به ذلك ارتحل من المدينة التي كان يسكنها و نزل بمدينة أخرى فضرب بيده اليسرى أربعمائة سيف أخر و نقش عليها الكفوف. فما حرب سيف من تلك السيوف إلا تراه و هو حديد ابيض و في وسطه مرازب. و الهندي أصناف شتى فمن جملتها الباخرى يضرب في السند و اصله من حديد و بولاد هرات و علامته اخضر اللون كأنه السلق و شيء منه احمر يشبه لون النار يرفع الدرهم و يبرى مرسخ الجمل و صنف ثاني من الروهينيا يضرب في بعض الأقاليم يتلوى و هو قضيب ماد فيه جوهر شبه الغبار و هو ما بين ذلك قواما، و الصنف الثالث فيه أهلة يضرب في خور فوفل و يقال بحار بيدها سيوف طوال عراض بالمرة ذات جوهر عال لا غليظ و لا دقيق إلا وسط و هو يقطع في اللين لا

غير، و منه فلالك الشاهي يضرب في الكوز و يقال في برهب سيوف طوال عراض بالمرة الواحد خفيف مرهف و علامته أن يكون جوهره أربع أصابع و هو غليظ خشن كخشونة خضرة الكراث أوّل ما ينبت قد اشتبك بعضه في بعض شبه ثعابين ملتفين، و أربع أصابع منه شبه جمع الذر على الشيء حلو. و يبان الجوهر في أرض السيف شبه فضة شبكت مع الحديد يبان جوهره ابيض صافي و الأرض منه زرقاء سماوي. و يقال إنّه أهدى إلى الملك قطب الدين أبيك الأبثل من هذه السيوف سبعين بنداً إلى سبعين سلسلة. و يرى فيها مائية نداوة شبه الماء الزلال، إذا رفعته أنحدر و إذا حططته صعد، يابس يقطع فيما يرطب و به يضرب أعناق الجاوميس قدام البيوت في يوم عيد لهم. و خاصيته إذا معص فؤاد إنسان يغسل سيفا من هذه السيوف و يشرب و يشرب ماءه و يزول عنه ما يشكي من المعص. و إما السيوف في العالم فكثيرة الأصناف و تضرب في كل بلد و إقليم إلا هذه الأربعة الأصناف الذين ارتفعوا دون غيرهم و عرفوا من بين جنسهم و رفعنا بعضهم فوق بعض درجاتٍ.

و لنرجع إلى الحديث الأول

فصارت أهل هذا الزمان يدخلون كبب غزل الوبر و يصحبون معهم سراج و مقدحة و خطاف و فتل وبر يشد خيط الوبر في رأس باب الغار و كلما مشى أحدهم نشر الغزل و الخطاف. فإذا وصلوا إلى الدكاكين رأوا فيها جميع الأمتعة و الأقمشة و قد تهرأت من طول المدا و الحديد قد علاه الصدأ و الصفار قد تزنجر فيأخذ الجميع ما يرى فيه رمق و يجد بعض القوم ذهباً و فضةً و دراهم. و إذا رجع القوم لا يزالون يكببون غزل وبرهم و هم راجعون إلى فم السرب فلذلك العمل دأب القوم. و يقال إنّ بها ثلاث طرق إحداها تنفذ إلى سوق عكاظ و الثانية إلى جبل الملحاء و الثالثة تنفذ إلى بريقة فيد و هي أقربهن مسافة. حدثني أبو علي بن آدم اليزني قال: كثير من الرعاة ممن يحمل الذهب على غنمه فيقوم الراعي يطارد الذئب يريد قتله فيقع على المطلب. و هو طريق تنفذ إلى وسط البئر التي تقدم ذكرها، و طريق وسطى و هي التي بجبل الملحاء، و البعيدة التي تلي سوق عكاظ. و المكان إلى الآن باق يتزله من أراد على تقدم ذكره. و إلى أبيدة فرسخ و هي قرية حصينة في واد نزه. و إلى العقيق ستة فراسخ و هو يدبغ فيه الأدم و منه يجلب القرظ إلى مكة. و بها الأمير أبو الحسن بن المعلم يقول:

قل يا رفيق المستها ... م متى يفيق المستهام

هذى المنازل و العق ... يق فأين ليلى و الخيام؟

و قال أيضاً:

قف بالخيام المشرفات على الحما و أمزج دموعك في مغانيها دما

و إذا مررت على العذيب فقل له هل شربة تروي من الظمأ

إني ندمت على الذين ترحلوا يوم الغوير و حق لي أن اندما

فوددت لو سمحوا على بعودة يبرا بها الطرف القريح من العما

يا عين لا يذهب بناظرك العما فلربما دنت الديار و ربما

إن بات جسمي في سهام فإن لي قلباً يتيماً بالعقيق متيما

و إلى تبالة ثمانية فراسخ. و إلى الجبل ثمان فراسخ، و هو جبل بني بدر و جميع من بها يهود و الحصن حصن مكين في طرف جبل عالٍ و الله أعلم.

ذكر نهر السبت

قالت أهل الذمة: إنه في أرض التيه. و حدثني يهودي صائغ بعدن قال: إنّ نهر السبت في أرض يقال لها صيون و الأصح أنه في الحجاز و هو نهر رمل سيال يجري من ليلة الجمعة إلى غداة يوم السبت لم يقدر الإنسان أن يعبره من شدة جريانه في ذلك اليوم و يسكن باقي الأسبوع. و وراء هذا النهر من اليهود مائه ألف ألف رجل و امرأة و هم يزيدون على العد خارجون عن الحد، و القوم عرب يعقدون القاف الألف في لغتهم، و هي جملة القوم أولاد موسى بن عمران عليه السلام. و يقال إنما حصلوا هؤلاء اليهود في هذه الأرض و الأعمال إلا من غزوة بخت نصر البابلي لليهود بأرض الشام و ديار مصر و الأصح لإظهار الله عز و جل محمداً " فخرجوا هاربين من خيبر و وادي القرى و سكنوا هذه الأراضي. إلى الآن إذا تاه بعض الحجاج بطريق مكة و وصل إلى القوم فبعضهم يقتله و آخرون يقبلونه و يردونه على احسن حال.

فصل

مما ذكره الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي في كتاب معرفة الأديان: مسلة شرعية، قال إنّ لليهود يوماً إذا عمل فيه إنسان شغلا حل دمه فإن لم يعمل فيه الشغل حل دمه. و ما ذاك؟ قال: إذا ولد لليهودي طفل ففي سابع يوم الطفل يطهر أي يختن فإذا اتفق سابع الطفل يوم السبت و ختن الطفل

حل دمه لكسر سنته و إنّ لم يختن حل سفك دم والده مخالفة والده الشرع، و ذلك شرعهم لأنه قال بترك الأوامر.

فصل

قال بعض النصارى: إنّ الإسلام عجيب! قلت: و ما رأيت من العجب؟ قال: إنّ تنصر الإنسان حل قتله يعني لامتناعه في دخول الدين الحنيفي و إنّ أسلم قطع أي ختن فجريان الدم في الحالتين حاصل. و كذلك اليهود قتله في الحالتين حاصل على الخبر الأول و الله اعلم.

ذكر شهور اليهود

قمرية و أواسط المسير: تشري و مرحشون و كسليو و طيبث و شفط و آذار و نيسن و إير و سيون و تمز و أوب و إيلل، و يعمل على هذه الشهور جميع يهود الرابع المسكون. و ما الفسح؟ في أعياد اليهود خرج فيه بنو إسرائيل من مصر هاربين من بعد أن تخلصوا من العبودية و قربوا القرابين كما مثل لهم و هي سبعة أيام تسمى الفطير لا يجوز لهم أكل اللحم و لا إمساكه في الرحل، و في اليوم الآخر منها غرق فرعون في بحر سوف و هو قلزم و يعرف هذا اليوم بالكس. ما العنصرة؟ هو السادس من سبون يسمى عشر مشتق من الاجتماع و هو حج من الحجوج لإدراك الغلال. ما الكفور؟ هو اليوم العاشر من تشري و هذا ربما يسمى العاشوراء، و أما الكفور فهو من تكفير الذنوب و هذا اليوم فقط هو الذي فرض على اليهود صومه و القتل على من لا يصومه، و مدة الصوم خمسة و عشرون ساعة يبتدئ بها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع و يختم بمضي ساعة بعد غروبها في اليوم العاشر، و لا يجوز أن يقع الكفور في يوم الأحد و لا في يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة. ما المظلة؟ هي في لغتهم مصلى و هي سبعة أيام أولها الخامس عشر من تشري و كلها أعياد يجلسون فيها تحت الظلال من الأغصان و الخلاف و العنب و الزيتون، و قد أمروا أن يسكنوا فيها تذكراً لأظلال الله إياهم في أرض التبه بالغمام. ما العربا؟ تفسيره ما الخلاف و هو آخر عيد المصلى أعني بذلك الحادي و العشرين من تشري و هو أيضاً حج لهم. ما التبرك؟ هو عيد مشتق من البركة و هو بعد عربا بيومين. ما الحنكة؟ هو عيد مشتق الاسم من التنظيف و هو ثمانية أيام أولها الخامس و العشرين من كسليو يسرجون فيها على أبواب دورهم في الليلة الأولى سراجاً واحداً و في الثانية أثنين إلى أن تتم الثمانية الأيام ثمانية سرج، و ذلك تذكر لهم من أصغر ثمانية إخوة قتلوهم بمتغلب عليهم كان يفرغ من عذاريهم و تطوف بيت المقدس على بغلة. ما البوري؟ اسم مشتق من

الاقتراع و الفال و هو الرابع و العشرين من آذار يتلو نيسن و يعرف أيضاً بعيد المجلة أي مغلاً و سببه أن هيمون وزير أحشويرش أي أبرويز بن أنوشروان كان يكايدهم أيام كانوا ببابل فدبر عليهم و أستأذن في صلبهم فانقلب الأمر عليه في هذا اليوم فصلب، و لهذا يعملون تماثيل مصلوبة و يحرقونها و يفرحون بذلك. و لليهود في شهره صيام و نوافل و أسبابها أمور حدثت فحرمته و أوجبت الامتناع عن الطعام. و كذلك إذا حاضت المرأة عندهم يسكنونها وحدها و تعزل لها آنية تأكل فيها و تشرب منها و لا يقربها أحد حتى تخرج من طمثها أي حيضها، فإذا خرجت منه غدت إلى الحمام فغسلت و إمتشطت و تجيء بعد ذلك إلى بيت بئر تسمى طوى. قال ابن المجازي و لهم ببغداد بئر تسمى بئر طوى في محلة خرابة بين خرزة و هو بئر مدرج و قد عرض في وسط البئر عود على خرزة و قد ضرب في الخشبة سلسلة طويلة إلى أن يصل إلى آخر السلسلة ثم إلى قرار الماء. فتخلع المأة ما عليها من الأثواب و تلزم السلسلة و لا تزل تسقط في الماء أي تغوص و تنبع إلى أن تقول لها امرأة من أعلى البئر: نظفت أي تطهرت. فإذا سمعت المرأة ذلك علمت أنها طهرت من نجس الحيض. فحينئذ تلبس ثيابها و جميع اليهوديات يلقونها حين تطهر المرأة. و يقال في الأمثال: شاور المسلمين و نام عند النصارى و تعشى عند اليهود. و يقال: إنّ للمسلم فرجة و للنصراني ماله و للمجوسي رئاسته و لليهودي بطنه.

من الطائف إلى صعدة

حدثني محمد بن زنكل بن الحسين الكرماني قال: إنّ من الطائف إلى المعدن أربع فراسخ. و إلى الران ثمان فراسخ. و إلى مجرى ثمان فراسخ. و إلى الدورب أربع فراسخ. و إلى يافع ثمان فراسخ. و إلى عدا ثمان فراسخ. و إلى ران كسه أربع فراسخ و هو جبل ذو طول و عرض و عليه مجاز الخلق. و إلى صفى أربع فراسخ و هو سوق يقوم يوم الجمعة. و إلى خفن أربع فراسخ و إلى مدر أربع فراسخ و هو سوق يلتام فيه الخلق ليلة الجمعة. و إلى عضة عرين أربع فراسخ و إلى بلاد بني قرن أربع فراسخ و إلى بلاد بني عبد الدار عشرين فرسخاً. و إلى ذهبان سبع فراسخ.

صفة هذه الأعمال

و حدثني الراوي قال: جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر و الصغر و كل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب و بطن من بطون البدو في قرية و من جورهم يشاركهم في نزلها و سكنها أحد سواهم. و قد بنى في كل قصر من حجر و جص و كل من هؤلاء ساكن في

القرية له مخزن في القصر يخزن جميع ما يكون من حوزة و ملكه و ما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم. و يكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه. و يحكم على كل قرية شيخ من مشايخها كبير القدر و السن ذو عقل و فطنة فإذا حكم بأمر لم يشاركه و لا يخالفه أحد فيما يشيره عليهم و يحكمه فيهم. و جميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان و لا يؤدون خراجاً و لا يسلمون قطعة إلا كل واحد منهم مع هوى نفسه. بهذا لا يزال القتال دأبهم و يتغلب بعضهم على مال بعض و يضرب قرابة زيد على أموال عمرو و هم طول الدهر على هذا الفن. و جميع زرعهم الحنطة و الشعير و شجرهم الكروم و الرمان و اللوز و يوجد عندهم من جميع الفواكه و الخيرات و أكلهم السمن و العسل. و هم في دعة الله و أمانه و هم فخوذ يرجعون إلى قحطان و غيرهم من الأنساب.

و أما ذهبان

فهي أم القرى بلاد عز و يقال إنّ دور أعمالها أربعون فرسخاً و هي نجد اليمن و الأصح أطراف أعمال نجد اليمن من شرقي تهاما و هي قليلة الجبال مستوية البقاع. و نجد اليمن غير نجد الحجاز غير أن جنوب نجد الحجاز يتصل بشمال نجد اليمن. و إلى بلاد قحطان أربع فراسخ و إلى راحة بني شريف فرسخين وادٍ فيه وضعت مدينة البصرة و يسمى درب العقيق. و إلى صعدة عشرين فرسخاً و هي مدينة ذات عمارة و أرض نزة و درب آمن. قال ابن المجاوز: و في هذا الطريق من الأمم و البلاد و المدن و القرى ما لا يعد و لا يحصى و ل تحويه أقلام الدواوين أي في صنعة الحساب. و شرب أهل البلاد من أنهر سائحة و بعضهم يشرب من آبار ماؤها خفيف على افؤاد ذات هضم و لذة.

من الطائف إلى مكة

راجع من الطائف إلى حدب الرنج فرسخان و هو كهف جبل، و إلى الطود الأعظم ثلاث فراسخ جبل طويل و هو الذي يسمى الحجاز.

ذكر الحجاز

قال الأصمعي: سميت بذلك الحجاز لأنها احتجزت بالحرار الخمس منها حرة بني سليم و حرة واقم, و يقال احتجز الرجل بإزار أي شده على وسطه و منه قيل حجزة السراويل و قول العامة حزة خطأ. و قال الخليل: لأنه فصل ما بين الغور و الشام و بين البادية. و قال الجوهري: إنها حجزت بين نجد و الغور. و قال أهل اليمن: مكة يمانية، و الدليل على برهانه قول النبي " وقف على المتكا و قال: هذا شام و هذا

يمن. و قال أهل الطائف: مكة تهامية لأن ما بين نجد و تهامة جبل يسمى الطود الأعظم فكل ما غرب منه فهو تهامة و ما شرق فهو نجد. و قال أهل العراق: مكة أرض الحجاز. قال ابن المجاور: إنّ الطود الأعظم على هذا الوجه هو الحجاز بعينه لأنه حجز ما بين نجد و تهامة، و يقال إنه جبل متصل إلى اليمن. و ديار العرب هي الحجاز التي تشتمل على مكة و المدينة و اليمامة و مخاليفها و نجد الحجاز المتصل بالبحرين. و ليس في سائر الأقاليم أطيب منه و لا من جوه و هواه، كما قال:

إسكندرية داري لو قر قراري

لكن ليلى بنجد و بالحجاز نهاري

و بادية الشام و اليمن المشتملة على تهامة و نجد اليمن و عمان و مهرة و حضرموت و بلاد صنعاء و عدن وسائر مخاليف اليمن. فما كان من حد السرين فهي تنتهي إلى ناحية يلملم حتى تنتهي إلى ظاهر الطائف ممتداً إلى بحر اليمن إلى بحر فارس شرقاً من اليمن فكيف ذلك نحو من ثلثي بلاد العرب. و ما كان من السرين على بحر فارس إلى قرب مدين راجعاً إلى حد الشرق على هجر إلى جبل طيء ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس من الحجاز و مدين و ما كان من حد اليمامة إلى قرب المدينة راجعاً على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين إلى البحر فمن نجد. و ما كان من عبادان إلى الأنبار و نواحيها لنجد و الحجاز على طيء و أسد و تميم و سائر قبائل مضر بادية العراق. و ما كان من حد الأنبار إلى بالس و نواحيها لبادية الشام على أرض تسمى برية حسان إلى قرب وادي القرى و الحجاز من بادية الجزيرة. و ما كان من بالس إلى أيلة موجها للحجاز على بحر فارس إلى ناحية مدين معارضاً لأرض تبوك حتى يتصل بديار طيء من بادية الشام و على إنّ من العلماء من يقسم هذه الديار و زعم إنّ المدينة من نجد لقربها منها و إنّ مكة من تهامة اليمن لقربها منها.

من مكة إلى جدة

من مكة إلى عين أبي سليمن فرسخ، و هي عين جارية و قد غريس عليه نخل و شجر السدر. و إلى مقتلة الكلاب فرسخ. و كان السبب فيه أن لرجل من الأعراب كلباً فحمل الكلب على رجل من أهل الحلة فنيبه و عوره فقتل المنيوب الكلب، فجمع صاحب الكلب بني عمه و جمع المنيوب أهله و قام الحرب بين الفريقين و لا زالوا على قتالهم إلى أن قتل الجميع فعرف المكان بمقتلة الكلاب. و إلى الركابية فرسخ، و هي بئر حول جبلين على يسار الدرب تسمى رشان، و فيه بعض الأعراب يقول:

أيا جبلي رشان ياالله خبراً متى جازكم بدر الحجاز معرضا

و إلى وحدة فرسخ، و كانت أرض مزروعة لبني البدرية فباعوها فاشتراها منهم سليمان بن علي بن عبد الله بن موسى و استخرج العين و قيل كانت العين على حالها فبقيت في أيدي القوم مدة زمان يستعملونها في إدراك الغلال فاشتراها منهم الشريف الحسين بن ثابت السديدي و غرس في جميع البلاد نخلا مقدار عشرين ألف نخلة و القوم ملاكها إلى سنة اثنين و عشرين و ستمائة. و في هذا التأريخ ملك الأمير طنبغا الملك الكامل ولاية الحجاز و ملك نخل الأشراف مستهلكاً لها و أخذ هذا النخل في جملة ما أخذه و النخل رجع الآن سلطاني. و يقال إنما عرف حدة بهذا الاسم لأنه آخر حدود وادي نخلة و الأصح أنه من وادي الصفراء. إلى القرين فرسخ، بناية الأمير هاشم و كان يوقف في الموضع رتبة الخيل يجيرون القوافل في الطرق و كان لهم على كل جمل دينار علوية، وهو حصن صغير مربع مبني على أكمة بالحجر و الجص و قد بنى على دوره ثلاثة عشر برجا صغار تحتها بئر طيبة الماء عذبة، و إذا قل لماه في حدة فمنها يستسقي الماء أهل حدة. و يقال سمى القرنين و قرنين إلا أنه اقرن نصف الطريق ما بين مكة و جدة، و يقال أقرن ببنائه العدل و الأمن. و إلى كتانة فرسخ، يقال إنّ الله عز و جل اهلك الحبشة الواردين بالفيل من صنعاء بهذا المكان. و إلى الثدين ميل و هو بين جبال عوالي آخر الوطأة و أول الأودية و قد كان قصر بني بالجص و الحجر و الآن خراب. و إلى وادي السدرة فرسخ و هي شجرة سدر صغيرة على أيمن المحجة و منها رجع النبي "، و كل من يجوز الوادي يأخذ من أوراقها لأجل البركة و لم تبرح السدرة على حالها لم ينقص منها شيء إلى الآن. و إلى الغار نصف فرسخ. و إلى الفج الأخضر نصف فرسخ. إلى الفرع نصف فرسخ. و إلى مثوب نصف فرسخ. و إلى أبو الرحم ميل و هو جبل صغير على ايسر الدرب. و إلى النهود ميل و هم اثنا عشر رجلاً متفرقين شبه الهنود. و إلى المينة نصف فرسخ و تسمى الحديبية، و يقال أن النبي " وصل إلى هذا فصار كلما سار تبعد عليه الطريق فرجع منها و قال: ما أبعدك لا قربك الله! و الموضع سبخة طويلة في أرض وطيئة مثل الكف. و إلى جدة نصف فرسخ.

بناء جدة

حدثني موسى بن مسعود النساج الشيرازي قال: لما أسلم سلمان الفارسي رضه تسامعت أهلوه بالخبر فقصدوه و أسلموا على يد رسول الله " و سكنوا جدة لأنهم كانوا تجاراً، و قال بعضهم: بل هي بناء حرد بن وبربر بن يزدجرد بن شهريار بن بهرام. و مما ذكره أبو عبد الله محمد بن أسحق بن عباس في

كتاب الفاكهي قال: أوّل من أتخذ جدة ساحلاً عثمان بن عفان و كان قبل ذلك بموضع يسمى الشعيبة. قال ابن مجاور: و الشعيبة هو خور عظيم و مرسى قديم مقابل وادي المحرم لا شك أنه كان قبل جدة لأن ما في تلك النواحي مرسى أدنى منه و لا أمن عاقبة. قالت العجم: فلما خربت سيراف انتقلت أهل سيراف إلى سائر سواحل البحر كما تقدم ذكره فوصل قوم منهم اثنان أحدهما يسمى سيار و الثاني مياس فسكنوا جدة و أداروا على البلد سوراً من الحجر انضم بالجص. فلما ابتدءوا في المقام بها بنوا هذا السور و جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار فبقي السور على حاله حتى تمكنوا من المقام بنوا على وجه السور سوراً ثانياً من الحجر الكاشور منقوش أي منحوت مربع بالجص و جعلوا عرض الحائط خمسة أشبار فصار عرض الحائطين الملتصقين بعضهما إلى بعض خمسة عشر شبراً. و ركب عليه أربعة أبواب: باب الرومة، و باب المدبغة و كان عليه حجر حفر فيه طلسم إذا سرق في بلد سارق وجد بالغداة اسم السارق مكتوب في الحجر، و باب مكة، و باب الفرضة مما يلي البحر. و حفر حوله خندق عظيم في الوسع و العمق. فكان يدور ماء البحر حول البلد و يرجع ما فضل منه إلى البحر و البلد فيصير شبة جزيرة في وسط لجج البحر. فلما حصنوا الفرس البلد غاية التحصين خافت القوم من ضيعة الماء فبنوا ثمانية و ستين صهريجاً داخل البلد و بنوا بظاهر البلد مثلها و الأصح أنه بنى بباطن البلد خمسمائة صهريج و بظاهر البلد مثلها و الله أعلم.

ذكر بعض الصهاريج

أبو الطبن عامر و المرباني و الحفيرة و النخيلات و صهريج بكر و الحجري و الصرحي و صهريج السدرة و الحوار و الفرحي و صهريج يحيى الشريف و الودية و المبادر و صهريج البيضة و البركة و صهريج أم ضرار و صهريج بركات و صهريج سليمان العطار و الطولاني و العرضاني. فكان إذا وقع الغيث و امتلأت منه الصهاريج التي بظاهر البلد كانت العبيد تنقل ماء الصهاريج على الدواب فتقلبه في الصهاريج التي عندهم في الدور. و كذلك صهريج الأخميني وصهريج الأبنوس و صهريج ردرية و صهريج محمد بن القسم. و كان يبقى الماء عندهم من العام إلى العام و هم في أكل و شرب و غسل و هزل و جد و هرج و مرج.

ذكر خراب جدة

انفذ أصحاب مكة إلى شيخ التجار بجدة و طلب منه حملاً حديداً، فقال الشيخ للغلام و هو واقف عنده: أعطه حملاً حديداً! فجاء الغلام فأعطى الرسول حملاً حديدا. فلما فتح الحمل الحديد قدام الأمير بمكة

وجده قضبان ذهب، فرد الرسول راجعاً و قال: قل للشيخ يتفضل و ينعم و ينفذ إلي بحمل ثاني من حديد هذا العين. فلما علم التاجر بقصة الحال نادى الغلام و قال له: ما أعطيت الرجل؟ قال: حمل حديد اصفر من طول الخبأ و قد علاه الصدى من طول المدى. نتحقق الشيخ عند ذلك إنّ الحمل كان قضبان ذهب و عرف أن قد طمع فيهم، فقصد الشيخ إلى شيخ كبير كان عندهم في السن فشاوره في أمره و ما يصنع. فقال له الشيخ: الذي عندي أنكم قوم موسرون فخذوا جميع ما تحتاجون إليه و يركب كل مركبه و ينطلق في هذا البحر الواسع و أي موضع أعجب الرجل منكم نزله و سكنه بعد أن تخلون البلد جوف حمار أو كرأس ليس في حمار. فعند ذلك عبوا أمتعتهم في المراكب و رفع كل قلعه و دخلوا البحر و ذلك في سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة. و يقال برواية أخرى إنّ العرب جاءوا و حاصروا القوم فلما قل عليهم الماء ركبوا مراكبهم و عدوا في البحر فسكن قوم منهم السرين و الراحة و عثر و الجرعة و الدرعة و دهلك و بيلول و جدة من الجزيرة فرسان و المخاء و غلافقة و الأهواب و الثميد و جزيرة ذهبان و كسران و بندر موسى و باب موسى. فلما خلت الأرض من الأحباب ملكها الأعراب في دولة الأمير داود بن هاشم. قال أبن المجاور: و رأيت في المنام كأن قائلا يقول لي: ما استفتح جدة من الفرس إلا مضر بن هاشم و الأصح شكر ابن أبي الفتوح. و من عهدهم خربت و اندرست و بقيت الآثار خاوية على عروشها كما قال الشاعر:

لا بلغ الله نفسي فيك منيتها ... إنّ كان بعدك بعد الدار غيرني

جعلت دمعي على ذكراك محتسباً ... و الدمع عنوان ما يخفي من الخزن

و أقسمت مقلتي ما لا تظن به ... فالذكر يجري و يجري الدمع في سنني

و قال لي قد بانوا فقلت له ... قد فرق الله بين الجفن و الوسن

و لأبي بكر أحمد العبدي:

يا راقد الليل بالإسكندرية لي ... من يسهر الليل وجداً ثم أسهره

ألاحظ النجم تذكاراً لرؤيته ... و إنّ جرى دمع أجفاني تذكره

و أنظر البدر مرتاحا لرؤيته ... لعل عين الذي أهواه تنظره

و قال ابن الدمينة:

ألا يا صبا نجدٍ متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك و جداً على و جدي

لئن هتفت ورقاء في رونق الضحى ... على فنني غصن من البان و الرندِ

بكيت كما يبكي الوليد و لم يكن جليداً و أبديت الذي لم يكن يبدي
و قد زعموا أن المحب إذا دنا يمل و أنّ النأى يشفي من البعد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعدِ

و قال آخر:

ليالينا بذي الأثلاث عودي لتورق في ربا الأثلاث عودي
فإن حديثكم في القلب أحلى و أطيب نغمة من صوت عودِ

ذكر فضيلة جدة

مما ذكره أبو عبد الله بن محمد بن اسحق بن عباس في كتاب الفاكهي قال حدثنا محمد بن علي الصائغ قال حدثنا خليل بن رجاء قال ثنأ مسلم بن يونس قال حدثنا محمد بن عمرو عن ضوء بن فخر قال: كنت جالساً مع عباد بن كثير في المسجد الحرام فقلت له: الحمد لله الذي جعلنا في أفضل المجالس و أشرفها! فقال: أنت في جدة الصلاة فيها بتسعة عشر ألف صلاة و الدرهم فيها بمائة ألف و أعمالها بقدر ذلك يغفر الله للناظر فيها مد بصره. قال ابن المجاور: و ما أظن هذه البركة إلا من جهة أم البشر حوى صلوات الله عليها لأنها مدفونة بظاهر جدة. و كان الفرس قد بنوا عليها ضريحاً بالآجر و الجص محكماً فبقي إلى سنة إحدى و عشرين و ستمائة فبعد هذا التاريخ تهدم و أرتدم بعضها على بعض و لم يعاد بناءه و رأيته عامراً قائماً و قد رأيته خراباً و قد ارتدم بعضه على بعض. و هو موضع مبارك مستجاب فيه الدعوة.

ذكر أخذ الجزية من المغاربة

حدثني إسماعيل بن عبد السيد بن السبع البغدادي قال: إنّ الأمير علي ابن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم كان يأخذ من المغاربة جزية في جدة إذا قدموا للحج، كان يأخذ من كل رأس سبعة يوسفية وزن كل يوسفي ثلاثة عشر قيراطاً و حبة بوزن مكة. و كان القواد يوزنون المغاربة أيضاً على كل رأس يوسفي في دية الكلب. و المجب لذلك أن جاء في جدة كاب فأخذ رغيف خبز فالتامت المغاربة فقتلوه فقامت القواد ليقتلوا المغاربة. فلما رأت المغاربة عين الهلاك أقروا على أنفسهم أن يزن كل واحد منهم يوسفي في دية الكلب. فتقرر ذلك عليهم فكانوا يزنون لأمير سبعة يوسفية و يوسفي للقواد و صار المبلغ ثمانية يوسفية على كل رأس. و من لم يزن كانوا يأخذونه و يدلوه في صهريج من صهاريج جدة و

الأصح في صهريج مسجد الأبنوس و يقال أنهم كانوا يصيرونهم إلى جزيرة صندلة و قيل إلى جزيرة أبي سعيد و يعلقون أحدهم بحقوة و قد عرش بها أخشاب لهذا الفن. فإذا حج الناس و قضوا مناسكهم و أفاض كل راجعاً إلى مقصده فحينئذ يخرجوا المغاربة من الصهاريج و الجور و قسطوهم على المراكب الراجعة إلى مصر و الراجعة إلى عيذاب و القلزم.

سئل قائد من القواد: لم تأخذون منهم هذا اليوسفي و هم أشد الناس بخلاً و أنزق الناس في الخلق؟ قال: لقول الشاعر:

و خذ القليل من البخيل و ذمه إنّ القليل من البخيل كثيرُ

قال الحسن بن محمد بن الحوت: ليس هو كذلك و إنما كان يزن أحدهم سبعة يوسفية و نصف كل يوسفي ستة و عشرين قيراطاً و حبتين بوزن مكة، و في دية الكلب نصف يوسفي صار المبلغ ثمانية يعقوبية، أسس ذلك في دولة الأمير عيسى بن فليتة و بقى يجي على حله إلى أواخر دولة الأمير مكثر. فلما كثرت الأقاويل و وصل هذا الخبر إلى مسامع العالم أنفذ صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب إلى الأمير مكثر بأربعة آلاف إردب حنطة و الأصح ستة آلاف أردب إلى جدة و إلى مكة و قال له: خذ هذا القدر و أترك عن المغاربة الجزية مع دية الكلب! فأزال الأمير مكثر ذلك كله سنة ست و ثمانين و خمسمائة. و بقى الأمر على حاله في أيام الأمير قتادة بن إدريس بن مطاعم بن الكريم و أراد أن يرد الشيء إلى أصله يعني أخذ الجزية من المغاربة فأدركه الموت و ارتفع عنهم. حدثني أبو الربيع سليمن بن الريع الطرابلسي قال: و كانوا ملوك الفاطميين يوزنون المغاربة جزية على كل رأس دينارين و قيراطين.

فصل

قال ابن المجاز: رأيت في المنام ليلة الثلاثاء ثالث عشرة ذي القعدة سنة أربع وعشرين و ستمائة كأني حدثني الأمير ناصر الدين فاروت والي عدن و في هذا التاريخ تولى إمرة الحج إضافة إلى ولايته الأولى و كان الحاج قد رجع من مكة إلى اليمن و كأنه يقول من حج و رجع إلى الهند يوزنه عبد الغفور بن أحمد بن محمد بن الصناديفي البصري جزية عن كل رأس أثنين و تسعين فيلي و لو أن الحاج عقال لما سافروا إلى الهند إلا في مركبي حتى كنت أعطيهم مقرعتي فيأمن فيامن القوم من شر عبد الغفور في أخذ الجزية منهم و بنو مهدي ولاة زبيد ما كانوا يستحلون أخذ المكوسات من ما خلا الحاج و إنهم كانوا يأخذون منهم مقام الدرهم ثلاثة دراهم.

ذكر الجار

و هو موسى قريب من جدة ترسي فيه المراكب الواردة من الديار المصرية و هو بحر أسود جيفة و موج هائل تبطل فيه حيلة السابح.

فصل

سمعت من ألفاظ جماعة بمكة و غيرها أنه وقع من يد بعض السراملة قدوم بهذا المكان فشد في وسطه جراب و نزل ليأخذ الفأس فلما غور في النزول سمع هاتفاً يقول له: إلى أين أنت نازل يا عبد الله؟ فقال: نزلت لأخذ ما أنفلت من يدي. فرد عليه الهاتف: انفلت من مركب بهذا المكان أنجر فهو في النزول إلى قيام الساعة. و الله اعلم و احكم.

ذكر جزر الخيل

يقال أنه كان في قديم العهد لم يكن هذا بحر و إنما كان عرصة إلا إنه لا فرق بين بر العرب و بر السودان. فلأجل ذلك إن السودان كانت تملك إقليم اليمن جميعاً دئماً في زمن الجاهلية و الإسلام. و لما كثر الماء في البحر و ظهرت صعوبته من قريب صاروا يعدونه في المراكب، فلما عرق البحر هذه الأرض و كل موضع كان عليها رجع جزيرة في البحر يقال لها جزر المطارد أي مطاردة الخيل. و يقال إنّ العرب غي قديم الزمان كانوا يطاردون الخيل في قعر هذا البحر لم كان ناشفاً. و يقال مربط الخيل بهذه الأمكنة و العلف و الشجر موجود.

صفة جدة

هي مدينة صغيرة على ساحل البحر و هي فضة مكة، و ليس يمكن بها السكن لازدحام الخلق بها في أيام الموسم الحاج لأنه يلتام إليها من جميع أطراف بلاد العالم و الربع المسكون و البحر المعمور من ديار مصر و المغرب و الهند و اليمن. و إذا قل الماء على أهلها نقلوه من القرين من نصف الطريق ما بين مكة و جدة. و أهلها من نسل العجم و بناءهم من الحجر الكاشور و خوص و كلها خانات. و الخان المعروف بها خان البصر و هما خانان متقابلان بمخازن كبار. و يقال أنه بني بظاهرها الأمير شمس الدين طنبغا خان كبير عظيم ينة ثلاث و عشرين و ستمائة. و كل من بنى بها بيت خوص يزن للسلطان في كل بيت في السنة ثلاث دراهم ملية. و أما الدور التي هي بالحجر و الجص فليس عليها شيء لأنها ملك لأصحابها و

في تصرب أربابها. و يقال إنّها سميت جدة إلا إنّها دفن بها أم البشر حوى عليها السلام فهي جدة جميع العالم فلما بني هذا البلد عرف باسم جدة أي حوى زوج أبي البشر عليه السلام. و يقال إنّها سميت بلاد العرب جزيرة لأحاطة البحار و الأنهار من أقطارها و أرجائها فصارت بلاد العرب جزيرة من جزائر العرب.

و من مكة إلى الرحالب

من مكة إلى القرين فرسخ، بناء الأمير هاشم. و إلى البيضاء فرسخين، و إلى أيدام ثلاث فراسخ، بئر حفره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و جدده القائد الحسين بن سلامة. و إلى وادي المحرم ثلاث فراسخ و منه يحرم حاج اليمن. و إلى فرع خمس فراسخ، أرض بني شعبة. ليس يلبس نسائهم إلا الأدم و ذلك إنّ المرأة تأخذ طاقين من أدم تخيط بعضة إلى بعض و تقور فيه قوارة و تكتسيه فإذا مشت بان جميع بدنها من فوق و من تحت، و إذا رأى غريب المرأة على ذلك الزي يقول لها: استري فيقول زوجها أكسها و إنّ كانت الورأة عريانة و هي لابسة فيقول له زوجها: اكسها فان كساها و إلا قتله لأنهم يقولون: من ستر غيره. و لم يكن في جميع العالم أصل من هؤلاء القوم و لا أسرف و لا أجرم و لا أخسر منهم في أخذ مال الحاج لأنهم يسمون الحاج جفنة الله، فإذا قيل لهم في ذلك يقولون: إذا حضر جفنة الله لخلقه أكل منه الصادر و الوارد. و إذا قلت لأحدهم: قطع الله رزقك من الحرام يقول: لا بل قطع الله رزقك من الحلال! ما ترى عندنا من خير سوى هذه الجبال السود لا لنا زرع و لا ضرع و لا أخذ و لا عطاء، و جميع ما تعملوه انتم الحاج آخر جاء مقابل الكعبة من الفضائح و الغنائم فسلطنا الله عليكم حتى نستقضي للحاج منكم الحق و ثلث الباطل. و لذلك تقول العجم في أشعارها:

ازسيم عرابي نه بل آيد نه رباطي زيراكه همه توشه حجاج ريابند

و إلى السرين ثلاث فراسخ، بناية الفرس على ساحل البحر. و إلى وادي الأثلاث ثلاث فراسخ. و إلى حصارة خمس فراسخ. و إلى حلى سبع فراسخ، بلد فيه جامع و منارة. و أول من أخربها غازي بن متكلان من بني حارث الكردي في أيام دولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، و بقى المكان على حاله إلى أن أعاد بناءه موسى بن علي بن عطية و هو إلى الآن مالكها، و جميع هذه الأعمال لبني كنانة. و إنما أشتق اسم حلى من الحلي الذي جمعه السامري من بني إسرائيل في أيام هرون بن عمران عليهما السلام و جعل صورة عجل كما قال الله تعالى: "فأخرجَ لهم عجلاً جسداً له خوارٌ." و في مشارق هذه الأعمال

قوم يقال لهم البهيمية و هم يرجعون في الأصل إلى آل عامر و يرجع آل عامر إلى سنحان. فإذا نزل بهم ضيف يقول له: بما تعشى؟ يقول: بكذا! و بم تغدى؟ و ما يقدم له إلا ما طلب و إشتهى عليهم. فإذا تعشى يقول الرجل لزوجته: روحي أكرمي الضيف! فتجيء المرأة فتنام في حضن الضيف إلى الصباح بلا خوف و لا حذر و يقوم الصبح كل يغدو إلى شغله. فإذا خطب زيد بنت عمرو و أنعم له عمرو بإجاب القول دخل زيد إلى بنت عمرو و إستفضها و بات معها طول ليلته، فإذا أصبح خرج و ترك نعلاه في بيت بنت عمرو فيعلم إنّه رضى بها فحينئذ يعقد عقد النكاح. و إن لبس حذائه و غدا علم عمرو أن زيداً لم يرض ببنته. و هذا من أجاويد هؤلاء القوم. و مصاغهم الصفر و الحديد و الرصاص و لبسهم الجلود المدبوغة و جواهرهم الودع و مهرهم قطع الطريق و منع السبل. و إلى الدبساء خمس فراسخ. و ثغر وادي عمق و هو سخل و يعرف بشرم الجارية، خور من البحر يخاض فيه مخاضة. و ما عرف بها إلا إنّه خاضته الحجاج فلما توسطوه زلق جمل و عليه جارية وقعت الجارية في البحر فأخذها المد و راحت فعرف الشرم أي الخور بالجارية. و إلى ذهبان أربع فراسخ و سكانه عرب مجمعة من بني أسد و بني ريح و بني معاصم و بني رفدة إذا نزل بهم نزيل يقولون له: بؤس و ساحق و عض و عانق، يعني صاحبة البيت، و لا تدخل معها أي لا تطأها فإذا أدخلت معها أدخلنا معك هذا الخنجر. و يسمى وادي الدوم و ما سمى بذلك إلا لكثرة نخل الدرم بها و هو شجر المقل. و في وادي الدوم يقول الشاعر:

و آخر عهدي منك يوم لقيتني بأسف وادي الدوم و اثوب يغسلُ

و يرى جبل كدمل مما يلي البحر.

ذكر جبل كدمل

و هو نصف الطريق ما بين الحجاز و اليمن و أول بطن عثر و يقال خبث عثر و يقال: كدمل و امرأته و حماره، و هم ثلاثة أجبال:جبل كدمل في البحر و في لحفه جبل صغير يسمى الحمار و يقابله في البر جبل يسمى الكليتان و الكليتان هي التي تسمى المأءة، فيقال: كدمل و زوجته و حماره. و لا شك إنّ هؤلاء كانوا جناً أو بني آدم مسخوا جالاً و احجاراً. و جبل كدمل هو في الأصل معدن الحديد. قال ابن المجاور: و كم سألت على إنّ أقع لهم على علم تحقيق فلم يحصل ذلك. و إلى بيض أربع فراسخ و هو وادي. و إلى الراحة أربع فراسخ، و تسمى محل أبي تراب و تسمى راحة المؤيد و هو المؤيد أحمد بن غنم بن قاسم بن غانم و هي قديمة بنتها الأشراف.

فصل

قال ابن المجاور: رأيت في المنام ليلة الخميس غرة رمضان سنة عشرين و ستمائة كأني أقرأ كتابة على الحجر منقوش و كان الحجر بني في جملة أحجار محراب الجامع و إذا فيه مكتوب: إنّ الراحة و الحوى بناء العجم. حدثني عبد الله بن محمد الراحي بزبيد سنة تسع عشرة و ستمائة إنّه وجد على باب الراحة مكتوب: رب لا تذرني فرداً و أنت خير الوارثين. فخرج من المدينة هذه غشية يوم الجمعة ألف جرير يتبعها ألف بعير عليها ألف عذراء و اصبح صباح يوم السبت فلا يدري أ سماء رفعتهم أم أرض بلعتهم و لا علم لهم خبر، فاعتبروا يا أولي الأبصار و وجدنا أيضاً سطر مكتوب: بدلنا حمل دره بحمل بر و ما مسنا ضر و الله المستعان. و وجد مكتوب أيضاً في مدينة أبي سيار من أعمال حران: طلبنا البر بالدر فما وجدناه. و في المدينة ثلاثمائة و ستين بئراً على كل بئر صخرة عليها مكتوب: لا اله إلا الله موسى كليم الله، مع التالي لها: كلهن ينبشن و تحفر بيدك تشرب الماء. و إلى هجر أربع فراسخ. و من هنا إلى حران يعرف بالدرب. و من هذه الحدود إلى ربيد يسمون أهلها الشمة لأن هذه الأعمال تسمى في زبيد الشام و تسمى الساعد. و ليل هذه الأعمال طيب و نهارها كرب فيقال: حرض ليلها طابة و نهارها مصلابة و الله اعلم.

صفة زواج أهل هذه الأعمال

من يوم تدرك البنت إلى يوم تعرس لم يمكنوها من النتف بل تطول الشعرة مع طول الأيام و تربيتها إلى أن تضفرها دبوقة، و يقال إنّه يدهن و يسرح و يغسل بالسدر و الطين أي الشعرة. فإذا كان ليلة عرسها ضفرت شعرتها دبوقتان و تشد كل دبوقة منهما في إحدى فخذيها و تجلى على زوجها. فإذا خلا بها و قعد منها مقعد الرجل مع المرأة فحينئذ يمسك الرجل تلك الدبوقتين و لا يزال يمدهما إلى أن يقلعهما من الأصل فإذا قلعهما استفضها بعد ذلك. فإذا أصبحت من الغد يزورونها قرابتها و مع كل واحدة منهن صحن زبد فيقولون لها: كيف حالك مع الرفة فتقول: بخير كبياع الدبية. و تداوي الموضع بالزبد ليرد عنها الألم لأنه يقلع الشعر مع الجلد و هذا زي القوم. و إلى الهاية ثمانية فراسخ، و منها يجلب الزنجيل الطرى. و إلى المحالب فرسخين، و هي أرض عنترة العبسي و قومه و لها واد يسمى متور.

ذكر هبت الإمام أبي موسى

الأمين بالله هذه الأعمال. حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى المهجمي قال: لما كثرت الأشراف بأرض الحجاز خرج منهم قوم إلى العراق في خلافة الإمام أبي موسى محمد الأمين بالله أمير المؤمنين ابن هارون الرشيد و استوهبوا منه أرض يقيمون فيها و يأكلونها فأقطعهم من مكة إلى الهلية طولا و من صعدة إلى ساحل البر عرضا. فبقيت هذه الأعمال في أيدي القوم و هم في عيش هنئ يأتيهم رزقهم رغدا من كل جهة. و بقى يحيى بأساميهم إلى سنة خمس عشرة و ستمائة، فضعفت القوم و دخلت عليهم يد الغزو فخرجوا من البلاد و خرجت البلاد من أيديهم و صارت في حوز الغز و في قبضتهم. و أحد من تولى بهم من القوم الشريف المؤيد بن أحمد بن قاسم بن غانم و انقرضوا و لم يبق لهم في البلاد خبر، كم قيل:

عنا العقيق و أقوى منه معهده و حال ما فيه عما كنت اعهده

فما الوقوف بربع لا محاسنه نجلى و لا يومه يرجى و لا غده

من المحالب إلى صعدة

من المحالب إلى حردة ثلاث فراسخ. و إلى المدارة ثلاث فراسخ و هو واد الصما و به الوحش الكبير. و إلى شمر فرسخين. و إلى قلحاح فرسخ. و إلى الأفور ثلاث فراسخ. و إلى الظهيرة فرسخين، و يعرف بوادي اليماني. و ما سمى هذا الموضع بالظهيرة إلا إنّه ظهر في فم واديين في وادي مور و له من وادي حوث و وادي حرف أوّله و له من الجبال الشرقية. فإذا سال الوادي وصل جريانهما إلى الظهر في ساعة واحدة يحبس كلٌ صاحبه فكل من قوى على الآخر سده و رد جريانه و يبقى الآخر في السيل إلى أن يزول حدته فحينئذ يقوى العتاجز على القوي لقطع حدته و يخرب و لا يزالا على حالهما إلى أن يفرغ الواديين من جري السيول، و هذا دائم إذا صادف حد الواديين في ساعة واحدة. و إلى شطب خمس فراسخ، بناها آل برمك و قيل أواخر البرامكة الذين كانوا سكنوا هذه المدينة و يقال إنّ نسلهم باقون و لكن ضعفت بهم الحال و قلّ فيهم المال. و إلى حوث عشرة فراسخ، سرير ملك الشرف من آل الحسن ابن علي بن أبي طالب. و إلى صعدة أربعة عشر فرسخا و هو سرير ملك بن عبد الله ابن حمزة الحسيني.

من المحالب إلى زبيدة

من المحالب إلى المهجم ثلاثة فراسخ، و يقال إنما سميت المهجم بالمهجم إلا إنّ الأشراف كانت تهجم عليهم كل حين فكان القوم إذا رجعوا إلى أوطانهم سألوهم: أين سرتم؟ فيقولون: المهاجم. و اسمها سردد

و عليها سور و قد خرب و اندثر و يشرف عليها جبل يحاكي عنان الأفق يسمى ملحان يغطي ذروته الغيم و قد بنى على أعلى ذروته مسجد يسمى الشاهر لأنه اشتهر برفعه على ما حوله من الأعمال. و يقال إنّه مسكن الخضر عليه السلام و هو جبل عالي عاصي على الملوك باليمن. و بها من الحصون ما شاء الله شبه قطع الشطرنج يبان لناظره علوها من ابعد مكان، يعنى من تهامة. و أهلها قوم من آل الحمير و منهم الذي يقول:

ستذكر قومي نجدتي و مكارمي و ما فعلت قومي بقيس افاعلا
بنيت لهم مجدا من النجم و العلى و صاروا خيار الناس ثم الأقاولا
فحمير أرباب الملوك و خيرها فهم في قديم الدهر كانوا الأفاضلا

و في هذا الجبل تنبت الشتمة. و إلى الكدراء خمس فراسخ بناها الملك دقيانوس على جاحف الوادي ما بين ارك و شجر. و حدثني عمر بن علي ابن مصبح قال حدثني يوسف بن الهمدان قال: إني قفزت حصاني جاحف الوادي فقفز قعره و كان عرضه يومئذ في ذلك العهد ثلاثة اذرع و غمقه مثل عرضه في أواخر دولة الحبشة و أوائل دولة بن مهدي و الآن صار واديا عظيما يكون عرضه اكثر من ثلاثة آلاف ذراع لأن السيل أكله. و لم يكن في قديم الأيام واديا بل كان الوادي وسط المدينة و كان على البلد سور و خندق و أبواب. قال: و أهلها يشربون الماء من جاحف الوادي و للاستعمال يسقون من آبار عندهم لان مياه آبارهم مالحة و لم يبنوا دورهم إلا من اجر يخرجونه من الأرض من الردوم و طول كل اجرة نصف ذراع في العرض مثلها من بناء الأوائل. و حدثني عمر بن علي بن مصبح قال: جاء بعض الأيام سيل عظيم في بعض السنين و جاء السيل مع جريانه برجل ميت قد مصته الأرض و قد صار شبه الفد طوله سبعة اذرع و قيل خمسة اذرع مقلدا بسيف فقصوا الآثار فوجدوا إنّه كان دفن قائما في أيام دقيانوس الملك، و استدل على ذلك إنما كان القوم يدفنون موتاهم إلا قياما و يقال كذلك دفن إبراهيم الخليل عليه السلام، و دفن عبد المؤمن بن علي الكوفي و محمد بن الحسين بن تومرت البربري في حصن الغار و يسمى حصن المهدية. و إنما يفعلون ذلك ليكون الملك قائما فيهم إلى يوم الدين و هذا هو الجنون بعينه.

و مما ذكره

عمارة بن محمد بن عمارة في كتاب المفيد في أخبار زبيد إنّ القائد الحسين ابن سلامة اختط مدينة الكدراء على وادي سهام و اختط مدينة المعقر على وادي ذؤال. و يقال معاملة الكدراء من الدومتين إلى

قرب المزحف طول إلى المسجد الذي بناه ابن وهب قريبا من القحمة و في الجبل إلى البحر طول و دخلها كل يوم ألف دينار. و يسمى سهام كما قال:

أرى الشأم يدنو كل يوم و ليلة و يبعد منى سردد و سهام
فروحي و قلبي في دمشق و مهجتي و جسمي منئ قد هواه سهام

و قال آخر:

مالي و صحبة سكان العقيق و هم إن عاهدوا غدروا أو ذكروا جحدوا
يا حبذا جاحف الوادي إذا لعبت فيه الغصون و غنى طيره الغرد

فصل

تولى أعمال الكدراء القائد بلال في دولة الأمير فاتك بن محمد و نشأ في عهده القائد فرج بن اسحق فكان يأكل و يشرب إلى أن عبر أكله الحد فضجر منه خاله بلال، فلما رأى ذلك خرج فرج بن اسحق و معه عبد اسود و كانوا يقطعون الطرق ما بين حرض و المحالب مدة عامين و نصف. بيناهم في حالهم عاملوا إذا قال العبد الأسود لفرج: يا مولاي أخاف إذا وصلت مع بلال تنساني. فأنشد فرج قول الشاعر:

إنّ الكرام إذا ما ايسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

فلا زال العبد يردد البيت إلى أن حفظه. فمات القائد بلال و طلب فرج ابن اسحق فلما حضر ولوه أعمال الكدراء فرجع في الأمر و النهي و الأخذ و العطا. فلما طال البعد على العبد طلب سيده و دخل الكدراء فكتب البيت المقدم ذكره في رقعة و عرضها على فرج بن اسحق. فلما وقف على الرقعة طلب العبد و ادخله و أحسن إليه غاية الإحسان و ولاه موضعا يعيش فيه باقي عمره. و فيه يقول:

ظباء في الفلا سنحوا هم منحوا و ما منحوا
و صادروا ثم ما صيدوا هم اخذوا و ما صفحوا
هم قتلوا فتى وجدا و قالوا انهم مزحوا
ألا شلت رماتهم ألا يريدوا من جرحوا
فتيلا من سهامهم على دمه قد اصطلحوا
سقى الصهباء ممتزجا فمعتبق و مصطبح

ألا يا أيّها الركبا ن و الركب الذي انتزحوا
بكم قد ضاقت الدنيا و ضاق الأمر فأفسحوا
إلى الكدراء فأرتحلو و قائد جيشهم أمتدحوا
عليهم بابن اسحق ففي فرج لكم فرج

و فتح باب العطا على نفسه لكل قاصد و وافد و لكل داني و ناءى فلامه الناس على ما يفعل في إتلاف الموال و المحصول، فأمر أن يكتب على داره:

من عز بز و لم تؤمن بوائقه و من تضعضع مأكول و مذمومُ
لا بارك الله في مالٍ أخلفه للوارثين و عرضي فيه مشتومُ

و إلى القحمة فرسخ و نصف و تسمى ذؤال، و ذؤال كل ما هو بين البحر و الجبل من مقابله. و يوجد بها الموز الطيب و الرمان المليح و يقال انه يجلب من جبال اللوي و إنّه فيها غير مملوك. و يقال إنّ المفاليس و الفحمة على طالع و ذلك إنّه إذا طهر في غرب البلاد فساد و بدا منهم خلاف نهب الأشعوب المفاليس و نهب المعازبة الفحمة في لمح الطرف لان هذه القبائل مقاومين لهاتين المدينتين و هم عصاه طغاة، و قد بنى جمال الدين علي بن الحسن بن وهب مقابل الفحمة على جبل حصن الأضوح في غرة سنة أثنين و عشرين و ستمائة، و كان قديماً خربة ملك من ملوك العرب و جدد ابن وهب بناءه و أحكمه غاية الأحكام. و من الفحمة إلى محل إبراهيم ثلاث فراسخ. و إلى سفاكا ثلاث فراسخ، و هو حصن بني على أعلى قلة جبل عاص على ملوك اليمن و منه يجلب الحمر و هو التمر هندي إلى كل بلد. و في هذه البلاد عقد لم نسلك لكثرة شجرها و وعرها و يقع من هذه العقد خشب يسمى الرقع يعمل منه النشاب و يسلف منه على النجارين من الديوان كل ألف فردة بدينارين ملكية. و يكون بهذه العقد النارنج و الأترج و الليمون و الموز ضائع لا مالك له و هذه الأشجار بين انهار و عيون. و يوجد في مياهها الحيات العظام. و إلى زهران ربع فرسخ، حصن بنوه العرب في وطأة مثل الكف فاستفتحه الملك المسعود يوسف بن محمد سنة عشرين و ستمائة.

ذكر الأودية التي يقطع منها الخشب

لأجل العمارات. من معاملة ذؤال وادي نبع و وادي ريمان و وادي عرم و وادي جباية و المداواة و في وادي زبيد سخمل و الفائشي و غابة شجره الإسحل و السيسان و بطحوات اليمن وادي نخلة خلاف

وادي مكو و واسط، و في أودية الشام و وادي الكدراء و وادي سردد و وادي مور و جميع هذه الأودية يقطع منه الخشب لأجل العمارة. و إلى فشال أربع فراسخ، و يعد سبعة تلول رمل و سبعة أودية. و أما فشال ففيه نحو ثمان مائة قرية ما يزرع أهلها إلا على المطر الدخن و الذرة. و زرع الشيخ محمد بن معبد بها الحنطة و الشعير و طلع سنة ثلاث و عشرين و ستمائة و زرع أولاد أخيه العجل و معبد الأرز فلما زرع بها و أحصد قلعه القوم من الأصول سنة أربع و عشرون و ستمائة. و إلى وادي رمع نصف فرسخ، و هو وادٍ عظيم. و قد ذكر في الكتب: لا يزال السيل يأكل في الوادي إلى أن يصل الأكل إلى الخيف جبل ببرع فإذا وصله ظهر على القوم كتر ذهباً يستغني منه جميع أهل اليمن. و إلى قوفص نصف فرسخ، و يسمى وادي العرق و به قتل الملك المسعود إسماعيل بن طغتكين بن أيوب. و إلى زبيد أربع فراسخ و الله اعلم بالصواب. على ذروة جبل عالٍ مشرف على تهامة فكان يقعد في القصر و بنظر الأرض تحته شبه زمردة خضراء مع جري السواقي و الأنهار. لأنه كان يقال: بها ستمائة ألف عين و قيل ستين ألف عين و قيل ستة آلاف عين و الأصح ستمائة عين و يقال ستين عيناً سائحة على وجه الأرض كلها عذب فرات فمن نداوة الأرض رجعت الأرض مخضرة دائما ذات رياض و أشجار و وحش. فبقي الحمى على حاله إلى أن وقعت الحرب بين القوم أربعين خريفا و القصة مشهورة و لا حاجة إلى ذكرها. فجاء ملك بعد القوم ردم الأعين و سدد أعيتها و لا شك أنه معن بن زائدة الشيباني. على صحة مقالتها أن الحجريين الطاحونين الملقين على باب غلافة من زبيد كانت تدور على تلك المياه و الأعين، و كان بها وخم من كثرة نداوة الأرض و المياه و كل أرض تكون على هذه الصفة تكون وخمة من كل بد. حدثني جعفر بن عبد الملك بن عبد الله ابن يونس الخزرجي الجرجاني قال: قدمت اليمن في دولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب و كنا نستقي الماء من الآبار بأيدينا و نشرب. فغار الماء في زماننا هذا سنة خمس و عشرين و ستمائة إلى أن بلغ غمق البئر خمس عشرة قامة فزال الوخم و أعتدل الماء و الهواء، و الآبار التي في سكة المدينة طولها ستة عشر قامة و ما حول البلد أثنى عشر قامة تزيد لا تنقص. و إما حدود حمى كليب و مهلهل فكان من الحجف إلى انف قونص إلى رأس رمع، و جميع جواز زبيد و أوديتها إلى حد النوبتين و قوارير طولاً في عرض مثله. فلما سدد الأعين و قل الماء طلع في الخبث شجر الأراك و الطرفاء إلى أن رجعت عقدة عظيمة.

بناء زبيد

حدثني عبد الرحمن بن أحمد بن الراحي قال: كان في أرض زبيد عقدة طرفاء و أراك و كان حول العقدة

قصور و قرى جماعة إحداها المتانة و النفير من غربي البلد مدينتين عظيمتين و من جملة عظمهما أنه كان يخرج منهما في كل ليلة جمعة و خميس خمسمائة رقيص لزيارة الصالحين. و جنيجر شرقي البلد بناه دقيانوس. و واسط ما بين الغرب و اليمن فكان يخرج من هذه البلد كل يوم ستمائة فارس يتلاقون في أرض زبيد التي هي الآن عامرة فبقوا على حالهم زمانا طويلا إلى أن مل بعضهم بعضا. و خرج مشايخ القوم إلى العراق في دولة الإمام أمير المؤمنين الأمين بن هارون الرشيد و عرفوه حالهم و خبرهم و قالوا له: نحن قوم من الأشاعر و جميعنا بنو عم و يجري بيننا قتال. فقال الأمين: من منكم الكبير؟ فأشاروا إلى رجل. قال: و من بعده؟ فأشاروا إلى آخر. و لا زال يسألهم و يخبروه حتى عدد القوم خمسة جماعة. فولى الشيخ الكبير عليهم و قال للحاضرين: إذا مات هذا فيتولى من بعده الثاني و إذا تولى الثاني ثم مات فيتولى الثالث و إذا مات فلتولى الرابع فإذا مات الرابع فليتولى الخامس، و عقد للشيخ على أصحابه و بني عمه. و خرج القوم من مدين السلام بغداد راجعين فمات الشيخ الذي عقد له الأمين البيعة و تولى بعده الثاني فمات ثم تولى الثالث فمات فتولى الرابع فلما قرب من البلد مات الرابع فأبى الخامس أن يتولى فعزل نفسه خوفا من الموت فولاها رجلا من بني عمه، فلما دخل البلاد جباها و أنفذ بمال من خرج البلد إلى مدينة السلام. فلما كان ما كان من قصة الأمين و قتله و تولي المأمون الخلافة عصى الرجل المتولي في اليمن و تغلب على البلاد و قطعها و صار يرفع الدخل إلى خزانته. فلما كان سنة تسع و تسعين و مائة أتى إلى المأمون بقوم فيهم رجل من ولد عبيد الله بن زياد فانتسب أحدهم فقال اسمه محمد بن فلان بن عبيد الله ابن زياد إلى عبيد الله بن زياد و انتسب منهم رجل إلى سليمان بن هشام ابن عبد الملك، و من هذا الرجل الوزير جلف بن أبي الطاهر وزير جياش ابن نجاح. فقال المأمون لهذا الأموي: إنّ الإمام أبو جعفر المنصور عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ضرب عنق سليمان بن هشام و ولديه في يوم واحد. فقال الأموي: أنا من ولده الأصغر سليمان و منا قوم بالبصرة. و أنتسب رجل إلى تغلب و اسمه محمد بن هارون فبكى المأمون و قال: أني لي بمحمد بن هارون؟ يعني وافق اسمه اسم أخيه محمد الأمين بن هارون الرشيد. فقال المأمون: أما الأمويان فيقتلان و أما التغلبي فيعفى عنه رعاية لاسمه و اسم أبيه. قال ابن زياد: و ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين يزعمون أنك حليم كثير العفو متورع عن سفك الدماء بغير حق، فإن كنت تقتلنا بذنب فلم نترع يداً من الطاعة و لم نفارق في بيعتك رأي الجماعة، و إن كنت تقتلنا يا أمير المؤمنين بجنايات بني أمية فيكم فالله تعالى يقول"و لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أُخرى." فاحتسب المأمون كلامه فعفى عنهم جميعا وكانوا اكثر من مائة رجل. ثم أضافهم إلى أبي العباس الفضل بن سهيل ذي الرئاستين و يقال إلى أخيه الحسن بن سهل.

فلما بويع لإبراهيم بن المهدي ببغداد في المحرم سنة اثنتين و مائتين وافق ذلك ورود علم اليمن بخروج الأشاعر عن الطاعة، فأثنى الحسن بن سهل على محمد بن زياد و على المرواني و على التغلبي عند المأمون و إنهم من اعيان الرجال و أفراد الكفاءة و أشار بتسييرهم إلى اليمن يعني أن ابن زياد يكون أميرا و ابن هشام وزيرا و التغلبي حاكما مفتيا. فمن ولد التغلبي محمد بن هارون قضاة زبيد وهم بنو أبي عقامة، و لم يزل الحكم فيهم يتوارث حتى أزالهم علي بن المهدي حين أزال دولة الحبشة. فخرج الجيش الذي جهزه المأمون إلى بغداد لمحاربة إبراهيم بن المهدي. و حج ابن زياد و من معه سنة ثلاث و مائتين و سار إلى اليمن و فتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب و إختط زبيد في شعبان سنة أربع و مائتين، و في هذا التاريخ مات الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي بمصر. و حج من اليمن جعفر مولى ابن زياد بمال و هدايا سنة خمس و سافر إلى العراق فصار المأمون بها فعاد جعفر هذا في سنة ست إلى زبيد و معه ألف فارس من مسودة خراسان و سبعمائة فارس. فعظم أمر ابن زياد و ملك إقليم اليمن بأسره الجبال و التهائم و تقلد جعفر هذا أمر الجبال و أختط بها مدينة المذيخرة و هي ذات أنهار، و البلاد التي كانت لجعفر تسمى إلى الآن مخلف جعفر. و كان جعفر هذا أحد الكفاة الدهات و به تمت دولة ابن زياد، و هذا الذي أشترط على العرب بتهامة أن لا يركبوا الخيل. و ملك ابن زياد حضرموت و ديار كندة و الشحر و المرباط و أبين و لحج و عدن و التهائم إلى حلى، و ملك من الجبال الجند و أعماله و مخالف جعفر و مخالف المعافر و صنعاء و صعدة و نجران و بيحان. و واصل ابن زياد الخطبة لبني العباس و حمل الأموال و الهدايا السنية هو و أولاده من بعده و هم أبراهيم بن محمد هذا الذي هو الملك و أقام في الملك بعده زياد بن إبراهيم فلم تطل مدته ثم ملك بعده أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم و طالت مدته، فلما أسن و بلغ الثمانين في الملك تشعب عليه من دولته بعضها فممن أظهر ما يكره ملك صنعاء و هو من أولاد التبابعة من حمير و اسمه يوسف بن أسعد بن يعفر و لكنه كان يخطب لأبي الجيش و لأبنيه و كانت ترفع أموال هذا أسعد بن يعفر لا تزيد على أربعمائة ألف دينار في السنة يصرف بعضها في المروءة و لقاصديه. و أما صاحب بيجان و نجران و جرش فهم أيضاً بأن يخرج من طاعة ابن زياد و هم صاحب صعدة فثار بها الشريف الحسني المعروف بالرسي.

و يقال في رواية أخرى: إنّ أمير المؤمنين محمد الأمين ولى محمد بن زياد بن محمود بن منصور اليمن فجاء محمد بن زياد إلى أرض الخصيب فوجد قوما يقتتلون في كل يوم إلى ضحوة نهار و يفترقون فدخل بينهم و أصلح بينه. و بنى قصرا على باب غلافقة وآثاره إلى الآن باقية فسكن فيه و أشترى ألف عبد. و يقال بل جاء بعساكر عظيمة من العراق و قال لهم: إذا دخل القوم للضيافة فالسيف عليهم! و نادى في مشايخ البلاد و كبار القبائل من الأشاعر و قدم لهم طعاما قد أحضر. فلما أشتغلوا بالأكل و التناول لبست

العبيد و ركبوا السيف من حضر فلم ينج منهم أحد، و ركب على من كان حولهم من العربان من أهل القرى و العمارات. و لا زال على حاله إلى أن رجعت الخلق تستجير به من كان في طاعته كان يترك على رأسه أثر و هو قلنسوة من خوص النخل على هذا الوضع: "رسم ص 69" يعني لحرث الأرض فحرثت الخلق و عمر المكان و بقى الأثر و المهار سُنَةً إلى الآن. حدثني أحمد بن سعيد بن عمرو بن عويل قال حدثني شيخ كبير قد ناطح عمره المائة قال حدثني أبي عن جدي قال: إني كنت أرعى البقر عند مسجد الأشاعرة و بها عقدة شجر و غدير ماء. و يقال لّما تعدى ابن زياد مكة صار كل مترل يترله يأخذ تراب أرضه و يشمه و يبني في ذلك المترل قرية، و لا زال على حاله إلى أن قدم أرض الحُصيب فأخذ من أرضه كف تراب فشمه و قال لأهل الدولة: أقيموا بنا هاهنا! قالوا: و لم؟ قال: لأن هذه الأرض أرض نزه زبدة هذه البلاد. قالوا: و بم صح عندك ذلك ؟ قال: لأنها طيبة بين واديين يعني وادي زبيد و وادي رمع. فلما سكن المكان بناه مدينة سماها زبيد إلا أنها الزبدة على ما جرى في اليوم الأول.

فصل

قال عبد النبي بن علي المهدي للحاضرين: إني أتحسب من أهل هذين الواديين. قالوا: و ما رأيت من عجائبه؟ قال: رأيت كل خلق الله من الرجال يميل طبعهم إلى النحولة والذكورة إلا من سكن بين هذين الواديين فإن طباعهم مائلة إلى الخنث و خصال النساء. قالوا: و بم تحقق عندك ذلك ؟ قال: كل من الخلق يميل إلى ما يصلح به دينه و دنياه إلا أهل زبيد فإنهم مائلون إلى الأكل و الشرب و الملابس النظاف و المركوب الواطئ و شم الطيب و ميل طباعهم إلى النساء اكثر من ميل طباعهم إلى الرجال. فقال بعض من حضر المجلس: ما وضعت بين واديين إلا كرجل يسكن بين امرأتين يميل إلى من مالت نفسه و سكنت جوارحه إليها. قال ابن المجاور: و معضم رجالهم يتحدثون و يغانجون و يتمنطعون و يتقصفون تقصيف النساء في الحديث و الحركة. حدثني أحمد بن علي بن عبد الله الجماعي الواسطي قال: ملك اليمن ملك من التبابعة يسمى الزبا فسأل رجل آخر فقال: ما فعل الله بزبا؟ فقال: بيد أي هلك فسمى البلد زب بيد. و قال آخرون: إنما سميت زبيد لأن لها واديا يسمى زبيد فسميت البلد باسم الوادي. و قال آخر: بل كانت الإبل ترعى في العقدة و في جمع الإبل ناقة تسمى زبيد عضت الناقة في الغقدة فعرف الموضع باسم الناقة. و أما العقدة فصحيحة بقى إلى الآن شجر الأراك كثير مما يلي ادرب و خصوصا موضع يسمى حافة مسجد الهند و غيرها من المواضع. و قال آخرون: بل كانت امرأة تسكن رأس وادي زبيد تسمى زبيدة. و قال ابن المجاور: ما أظنها إلا زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور فإن محمد المنصور

بن زياد بنى لها دارا ما بين وادي زبيد و رمع و هي التي سعت في بناء المكان في دولة أمير المؤمنين الأمين.

ذكر تمام قصة آل زياد

لّما مات الحسين بن سلامة انتقل الأمر إلى طفل من آل زياد و اسمه عبد الله و كفلته عمته و عبده أستاذ الدار و اسمه مرجان و هو من عبيد الحسين بن سلامة. فاستقرت الوزارة لمرجان و كان له عبدان فحلان من الحبشة رباهما في الصغر و ولاهما في الكبر أحدهما يسمى نفيس و هو الذي تولى التدبير في الحضرة و الثاني يسمى نجاح و هو جد ملوك زبيد الذين أبادهم علي بن المهدي سنة أربع و خمسين و خمس مائة. و نجاح هذا هو أبو الملك سعيد الأحول قاتل علي ابن محمد الصليحي القائم في اليمن بالدعوة المستنصرية و هو أيضاً أبو المكرم الفاضل أبي الطامي جياش، و لم يزل الملك في عقب جياش المذكور إلى التاريخ المذكور. فكان نجاح يتولى أعمال الكدراء و المهجم و مور و الواديين، هذه الأعمال الشامية و الأعمال الشمالية عن زبيد. ثم وقع التنافس بين نفيس و نجاح عبدي مرجان على وزارة الحضرة، و كان نفيس ظلوما غشوما و نجاح عادلا رؤفا إلا أن مولاهما مرجان يميل مع نفيس على نجاح. و نم إلى نفيس إنّ إبراهيم بن زياد مولاه و عمته كاتبا نجاحا و إنّها تميل إليه فشكى فعلها إلى مولاه مرجان فقبض مرجان عليها و على ابن أخيها إبراهيم بن زياد و هو آخر بني زياد و دفعهما إلى نفيس فبنى عليهما جدارا و هما قائمان يناشدانه الله عز و جل حتى ختم عليهما. و زالت دولة بني زياد و انتقلت إلى عبيد عبيدهم فتكون دولة بني زياد في اليمن مائتين و ثلاث سنين لأنهم اختطوا مدينة زبيد سنة أربع و مائتين و زالت عنهم سنة سبع و أربعمائة.

فصل

و كانت بنو زياد لّما أتصل بهم أختلال دولة العباسية من قتل المتوكل و خلع المستعين تغلبوا على ارتفاع اليمن و ركبوا بالمظلة و ساسوا قلوب الرعية ببقاء الخطية لبني العباس. فلما قتل إبراهيم بن زياد و قبض على عمته تملك نفيس و ركب بالمظلمة و ضرب السكة باسمه و اسم الحسين بن سلامة. فلما إنتهى إلى نجاح ما فعله نفيس في مواليه ركب و قصد نفيسا إلى زبيد فجرى بينهما عدة وقائع منها يوم رمع و يوم فشال على نجاح و منها يوم العقدة و يوم العرق و فيه قتل نفيس على باب سهام و قتل بين الفريقين خمسة آلاف رجل. و فتح نجاح زبيد في سنة إثني عشر و أربعمائة، و قال نجاح لمرجان: ما فعل مولاك

بموالينا؟ قال: هم في ذلك الجدار. فأخرجهما نجاح و صلى عليهما و بنى عليهما مشهدا و أدخل مرجانا في موضعهما فبنى عليه و على جثة نفيس حائط و ركب نجاح بالمظلة و ضرب السكة باسمه و كاتب أهل العراق و بذل الطاعة فبعث له و لقب المؤيد بنصر الدين و فرض إليه تقليد القضاء و النظر في الجزيرة اليمنية. و لم يزل نجاح مالكا للتهائم و قاهرا لأهل الجبال و كوتب و خوطب بالملك و بمولانا، و من أولاده سعيد و جياش و معارك و الذخيرة و منصور فتغلبت ولاة الحسين بن سلامة على الحصون، فتغلب على عدن و لحج و أبين و الشحر و حضرموت بنو معن بن زائدة، و قيل من غير ولد معن بن زائدة الشيباني و تغلب على السمدان و على حصن السواء و الملوة و صبر و حب و النعكر و مخلاف الجند و مخلاف المعافر قوم من حمير يقال لهم بنو الكرندي. و تغلب على حصن حب و حصن عزان و بيت عز و حصن الشعرين و حصن أنور و المقيل و السحول و حصن خدد و الشوافي السلطان أبو عبد الله الحسين التبعي. و تغلب على حصن أشبح و هو مقر الداعي سبإ بن أحمد الصليحي و على مقري و حصون و صاب و مخاليفها قوم من البكيل و هم من همدان. و تغلب على صنعاء و مخاليفها قوم همدان. و تغلب على حصن مساره و جبل تيس قوم من حراز و منه ثار الصليحي بدعوة المستنصرية. و بعهدهم تولى الحسين بن سلامة و مات في سنة اثنتين و أربعمائة. و تولى بعده الأمير علي ابن محمد الصليحي و قتل في الثاني عشر من ذي القعدة سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة. و تولى بعده الملك السيد الأعظم عظيم العرب المكرم أحمد بن محمد ابن علي الصليحي و مات في سنة أربع و ثمانين و أربع مائة و أسند الدعوة إلى سبا بن محمد أحمد بن المظفر بن علي الصليحي. و تولى بعده سعيد الأحول و قتل تحت حصن الشعرين سنة إحدى و ثمانين و أربعمائة. و في هذه السنة خرج أخوه جياش بن نجاح و خلف بن أبي الطاهر الأموي الوزير مسافراً إلى الهند.و أول من أدار سور زبيد الحسين بن سلامة و بعده الحبشة. و تولى بعده ذهابهم الشيخ علي بن المهدي القريتي و قعد على سرير الملك يوم الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع و خمسين و خمس مائة و أقام بها علي بن المهدي بقية رجب و شعبان و رمضان و مات في شوال من سنة، فكان مدة ملكه شهرين و أحد و عشرين يوما. و أدعى الخلافة و فيه يقول:

سير الأنام قديمها و حديثها ... فرح القلوب و روضة المنتزه

أشهى من الماء الزلال على الظمأ ... و ألذ من عصر الشباب الامره

فاليوم يحتج الخليفة بعده ... بالقائمين الهاديين و زهره

شبليه سبطيه اللذين إليهما ... شرف الإمامة و الخلافة و ينتهي

و يعني بهما معاذ و عبد النبي فإنهما توليا على زبيد و بعض الجبال مدة ستة عشر سنة و أرادوا على زبيد سوراً ثالثاً. و بعدهم ملك الغز البلاد فأول من ملكها شمس الدين و الدولة توران شاه بن أيوب عامين، و بعده سيف الدولة مبارك بن كامل بن مقلد بن منقذ و بعده أخوه خطاب عامين. و بعده سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، أدار على البلد سورا و ركب على السور أربعة أبواب: باب غلافقة ينفذ إلى غلافقة، و باب سهام ينفذ إلى سهام، و باب الشبارق ينفذ إلى حصن قوارير، و باب القرتب ينفذ إلى الجبل، بالطين و اللبن في عرض عشرة اذرع. قال أبن المجاور: عددت أبراج زبيد فوجدتها مائة برج و تسعة أبراج بين كل برج و برج ثمانون ذراعا و يدخل في كل برج عشرون ذراعا الأبراج فإنه مائة ذراع يصح دور البلاد عشرة آلاف ذراع و تسعمائة ذراع. و أقام متمكنا ستة عشر سنة. و حدثني بعضهم في مسجد السدرة يوم الخميس عشر من ذي القعدة سنة أربع و عشرين و ستمائة قال: إنّ سيف الإسلام أراد أن يدير حول البلد سوراً ثانيا. ذا طول و سعة و أمر الجند أن يسكنوا ما بين السورين بدوابهم و أموالهم فلما بني السور و فرغ منه مات و لم يمكنه مراده. فتولى بعده الملك المعز إسماعيل بن طغتكين ست سنين، و بعده الأكراد ستة، و بعدهم أتابك سنقر عشر سنين، و بعده الملك الناصر أيوب بن طغتكين عامين، و بعده الخواتين ثلاثة شهور، و بعدهن غازي بن جبريل ثلاثة أيام و يقال سبعة أيام، و بعده سليمان شاه بن عمر بن شاهنشاه بن شاذي، و يقال سبعة شهور و بعده الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر بن يعقوب.

ذكر الجنابذ و قتل الصليحي

هي ثلاث قباب مبنيات بالآجر المحكوك و الجص قريب بعضها من بعض يكون ما بين كل واحد إلى الآخر مقدار أربعة أذرع، بناه الأمير علي بن محمد الصليحي. و أراد أن يبني من زبيد إلى مكة في كل مرحلة من المراحل مسجدا و رباطا يذكر به بعد موته و لا زال يبني إلى أن وصل المهجم و نزل بظاهرها بضيعة يقال لها بئر أم الديهم و بئر خيمة أم معبد. قال سعيد الأحول بن نجاح: لّما دخلنا إلى المخيم لم يشعر بنا إلا عبد الله بن محمد فركب و قال: يا مولاي أركب فهذا و الله الأحول بن نجاح و العدد الذي جاء به كتاب اسعد بن شهاب البارحة من زبيد. فقال الصليحي لأخيه عبد الله: إني لا أموت إلا ببئر أم الدهيم و خيمة أم معبد، ظانا أنها أم معبد التي نزل بها النبي " حين هاجر و معه أبو بكر. فقال رجل لعلي: قاتل عن نفسك فهذه و الله بئر أم الديهم بن عبس و هذا المسجد هو خيمة أم معبد بنت الحارث العبسي. قال جياش: فأما الصليحي فأدركه رفق اليأس من الحياة فأراق الماء في سراويله و لم يرم من

مكانه حتى قطعنا رأسه بسيفه و كنت أول من طعنه و شركني فيه عبد الملك بن نجاح بطعنة و أنا جزرت رأسه بيدي و نصبته في عود المظلة. و فيه العثماني يقول:

ما كان أقبح و جهه في ظلها ما كان أحسن رأسه في عوده

و دخل سعيد إلى زبيد يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة ثلاث و سبعين وأربعمائة. وقتل سعيد الأحول في وقعة حصن الشعرين سنة إحدى و ثمانين و أربعمائة. فلما زالت دولة بني لصليحي و الحبشة و ملك مملكتهم علي بن المهدي و تولى بعده بنو مهدي عبد الله و معاذ و عبد النبي فبنوا لعبي ضريحا فكانوا يقولون لعساكرهم المهاجرين و الأنصار و يقولون: طوفوا حول تربة الشيخ علي بن المهدي كما تطوفون بروضة النبي ". و قالت العامة: جبل قوارير عفات و الجنابذ الكعبة و البئر بئر زمزم و هذه التربة روضة محمد " . و يقال إنّ سيف الدولة أخذ من الجنابذ ملا عظيما، و الآن يسكن فيه قوم من الفقراء من ذرية الشيخ محمد بن أبي بكر بن أبي الباطل الصيرفي و قد أدار حول الجنابذ بدر الدين محمود بن جماز الفلاح المصلي حائطا مربعا. و قد بنى جمال الدين أبو الحسين علي بن محمد بن وهيب درجا يصعد فيها إلى فوق القباب بحماره. فكان أهل زبيد يقولون إذا رأوه على ذلك : محمد قد ركب البراق و صعد إلى أعلى عليين، و كان آخرون يقولون ركب عيسى حماره. و يقال لّما بنيت مساجد و قيل تربة بعض أهله و كتب داخل القباب بالذهب و اللازورد و نقش في الجص نقشا يبقى ببقاء العالم على هذا الوضع. قال ابن المجاور: وصلت إلى المسجد في أواخر ذي الحجة سنة ست و عشرين و ستمائة. و شاهدت مقتل الصليحي و كان قد بنى على أكمة كانت بالقرب منه مسجد يسمى مسجد عرفات و لم يبق من المسجد ألا رسوم و أطلال. و جميع تلك الأراضي التي هي حول المسجد ملك القاضي إبراهيم بن صالح الحاكم بالمهجم. و هذه صفة مدينة زبيد و الله سبحانه أعلم و أحكم.

صفة دار شخار بن جعفر

لّما أقام أبن زياد في زبيد بني شخار بن جعفر دار الملك في زبيد ذات طول عرض بالآجر و الجص بناء وثيقا على مقاطع الطريق و كل من تولى بزبيد سكنها و كان له باب عالٍ بالمرة ينظرون منه من في الطريق على فرسخين، و حفر حوله خندق عظيم عريض. و بقى الباب على حاله إلى أن هدمه المسعود يوسف أبن أبي بكر سنة ثمان عشرة و ستمائة. و يقال إنما سعي في هدمه إلا الأمير أبيك العزيزي فلما

هدمه اخذ آجره بني به دورا و كل ما بني من آجره انقطع ذلك البناء من الأساس، و قد بقي إلى الآن آثار ذلك الباب و الدرجة شبه الحبل العالي و الله اعلم.

ذكر انقطاع العرب من تهامة

لّما كثر نزول العرب بها قام القائد ريحان الكهلاني مولى سعيد بن نجاح كبس العرب ليلاً و هم مرتبون على باب زبيد و كانوا في ثلاثة آلاف فارس و عشرة آلاف رجل و حمل عليهم فلم ينج منهم إلا اليسير و هلك الباقون فسلم العرب تهامة بعدها و الله سبحانه اعلم و احكم.

ذكر النخل

أوّل من غرس النخل الأمير علي بن محمد الصليحي، و يقال الحبشة في أوّل دولة على بن المهدي. لّما حضروا الحبشة وصلت غير من أرض الحجاز حملهم التمر فكانوا يأكلون التمر و يرمون النوى فمن نداوة الأرض طلع النخل، فلما رأت أهل البلاد ذلك و عرفوا غرسه و غرسوه و كثر النخل. و هو عشر قطع: الأبيض و الكديحا و المجرشية و المحلة و الأثيل و المجاز و كروة المحجر و القهيرا و المغارس و حجنة و كل واحدة من هذه القطع يكون عرضها و طولها ربع فرسخ. و إما الرطب الذي بها فثلاثة أصناف: حماري و صفاري و خضاري كلها ذات ألوان مختلفة. فإذا حمل النخل يتقبل كل واحد من الناس على قدره و يجيء إليه الناس من باب حرض إلى آخر أعمال أبين و ينزل أهل الجبال إلى تهامة. و كم من امرأة تطلق من جهة النخل و كم تنكح امرأة من جهة النخل! قال الشاعر:

هذا الشقح و اللقح و الطلح منه قد افتتح
يا غازلات اغزلوا فالنخل قد صار بلح

و قال آخر:

من عرف النخل و القبالة — أمسي و في قبله ذبالة
و عاش فيه معاش سوء — و ناله الدين لا محالة

و يقيمون الناس في النخل مدة شهرين أو ثلاثة و يكون غالب أكلهم الحموضات و الملوحات و هم في لعب و ضحك و شرب. و يعمل من التمر و البر و الرطب نبيذ يسمى الفضيح يصح عمله في يوم و ليلة و يشرب النساء مع الرجال، و يقولون: إنّه ينفع لكن مضرته اكثر من نفعه، و أوّل من عمله في هذه

البلاد رجل من أهل الشام. و يحصل منه كل عام سعين ألف دينار غير الذي يصل إلى الخزانة و عمال السلطان و نواب الديوان و غير النخيل و السلطانية و الأوقاف و غير الذي لأرباب الجاهات و أصحاب الدولة، يصح من جميع ما ذكرناه مائة و ثلاثون ألف دينار. و كان ضمانه في دولة الحبشة و أيام بني المهدي كل عام سبعون ألف دينار و ما يأخذونه نقد بل تمر و يخرج حولات و الصرف ثلاثة جوز درهم و كل أربعة دراهم دينار و كل أربعة دنانير و نصف بدينار احمر. و ما رجع خراج النخل كذا إلا إنّ سيف الإسلام أوصى طغتكين بن أيوب أوصى بالعدل على أهل الحرث و الظلم على أهل النخل فهو الذي أبتدئ بهم من عهده. فقيل له في ذلك فقال: إنّ الفلاح يحرث و يسقي و يبذر و يحصد و يعزق و يذري في الهوى و يجد مشقة عظيمة فالواجب أن يرفق بهم، و أصحاب النخل فانهم يجنون الثمر من العام إلى العام بلا عناء و لا تعب كما قال الله تعلى: "و النخل باسقات لها طلع نضيد". و كل نخل يهرب منه صاحبه يأخذه السلطان على كيسه بالخراج الذي عليه له، و كل نخل يأخذه السلطان يسمى الصوافي أي يصفى لبيت المال. و بلغ مال النخل سنة أربع و عشرين و ستمائة و عشرة آلاف دينار نقد غير ما حمل إلى الخزانة. و في هذا العام قالوا أهل زبيد: ما شاء النخل و لا شاء زبيد، يعلق باللميمة و يضرب بالجريد. و ما استخلص هذا المال إلا الأمير الوالي الصارم بائس الكاملي. كان من وزن قبالة وزن مثله مضاعف. فإذا فرغ النخل خرج الصغار مع الكبار و الأخيار مع الفجار بالطبل و الزمر بعد ما يلبسوا جملا عدة تامة من الأجراس و القلاقل و يشد في رقبته المقانع و الحلي، و يركب كل أربعة من الناس على جمل و ناس منهم على الشقادف يمشون إلى مسجد مشرف على ساحل البحر. و الموضع موضع مبارك فيه وطئة ناقة معاذ بن جبل و أثر كلكها لّما رجع من اليمن إلى الحجاز بعد وفاة النبي " عبر هذه البلاد و السواحل. و يسمى هذا الموضع الفازة أعنى الذي يتبحرون فيه. و يترل فيه النساء مع الرجال في بحر خليط مليط و هم في شرب و لعب ورقص و قصف و زائد و ناقص. و ما يخرج إلى هذه الأماكن إلا في كل أسبوع يومين يوم الاثنين و يوم الخميس و إذا رجعوا من هناك دخلوا البلد رأسا واحدا.

ذكر شجر الكاذي

و هو شجر يطلع في ناحية مسجد معاذ بن جبل يشبه النخل. و هو ورد على هيئة الصبرة التي تزرع في العراق و الهند في المراكز في سطوح الدروب و لكن ورق الكاذي رقيق شبه خوص النخل ذات شوك خشن، لم ينعقد ورده إلا من برق البرق فإذا برق البرق طلع منه كثير بالمرة و إنّ لم يكن البرق لم يكن منه شيء. و هذا عجيب، "يخلق ما لا تعلمون". و كذلك لا يستدل على إقليم الجاوة مسافروا البحر بكثرة إلا بكثرة لمع البرق لأنه يكون في أيام موسم سفارة الجاوة الأمطار كثيرة و يستد الأفق بالغمام و

يشتد هيجان البحر. و قال آخرون: إنّه يطلع في تلك الأعمال شجر السندروس كثير فإذا جرى السندروس من شجرة بان لأهل السفارة البحر كلمع البرق و ذلك من كثرة الأمواج التي ترفع المركب و تهبطه. و يقال إنّ الكاذي يتربى من البرق، و كذلك الحنون لم يفتح إلا في الليالي البيض. و الخيار يدور مع دور الشمس و اللينوفر. و يزيد مد البحر في الليالي المظلمة. و كل خشب يقطع في ليالي البيض يسوس و كل خشب يقطع في نقص القمر يستلفه السوس. و لم يقطع الطواحين إلا في الليالي البيض. و ينقطع جميع مياه الأرض عند طلوع سهيل، و لم تصح دباغة الأدم إلا به. و قال ربان بن جبير: إذا طلع سهيل نقص ماء البحر أربعين ذراعا. و إما ورد الكاذي فلم يكن في سائر المشمومات ألذ منه رائحة و لا أطيب منه و ماؤه بارد يابس ينفع لمن هو محرور رطب و يسمى عند الهنود كيورا.

صفة زبيد

سماها النبي " أرض الحصيب لأن النبي " قال لمعاذ بن جبل: يا معاذ إذا وصلت إلى الحصيب فهرول فإن بها نساء يشبهن حور العين. قال الهيتي:

و قل لجناتها سأبدلها سيلاً كسيل مأرب عرما

أ شرب الخمر في ربا عدن و السمر و البيض في الحصيب ظما

و له أيضاً:

و لرب يوم بالحصيب و ردتها بالقطب كان على الأعاجم أكرها

و عواصف بحصيبة عصفت على حبشانها و على الدعى الوهوه

و لابن المجاور:

محب و محبوب قضى الدهر فيهما ببعد و هل للشمل جمع مهذب

فها ذاك في أرض الحجاز موسوس و هذاك في أرض الحصيب معذب

و تسمى أرضها تهامة و إما تهامة فأنها قطعة من اليمن و هي جبال مشتبكة.و كلها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربيها، و شرقيها بناحية صعدة و حرض و نجران، و شمالها حدود مكة، و جنوبها من صنعاء على نحو عشرة مراحل. و تسمى في عدن الشام و تسمى في المهاجم اليمن و تسمى عند آل عمران كوش و تسمى باللغة المعروفة زبيد. من إقليم اليمن لأنها أيمن القبلة. و قال النبي ":" إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن"، و المعنى في قوله لأويس القرني و كان يتنفس شوقاً إلى النبي " و لهذا أخبر

النبي " بهذا الخبر. و قال النبي ":" الكعبة يمانية و الركن الأيمن يماني و الأيمان يماني"، و ذكر النبي " في معنى اليمن أخباره كثيرة. و يقال سهيل اليمن و جزع اليمن و عقيق اليمن. و قال الشاعر:

بعدت و رب العرش عمن تحبه هواك عراقي و أنت يماني

و قال آخر:

قالت لأخت لها تبدى مراجعةً و ما أرادت بها إلا لتقتلني

بالله قولي له غير متعبة ما ذا أردت بطول المكث في اليمن

و قال آخر:

و ما غريب و إنّ أبدى تجلده إلا سيذكر بعد الغربة الوطنا

إلا العراقي و المصري فأنهما لا يرجعان إذا ما شارفا اليمنا

و قال قيس بن الملوح العامري:

ألا لا أحب النسر إلا مصاعدا و لا البرق إلا إنّ يكون يمانيا

و قال أبن مجاور:

كرا من بر أين فمي نبتسم جرا ديد أم جون بحر عدن

آه أبن آدم بسوزد هرجه هست و آه وا و ليلى مخ اردأن سمن

و للحسام الكرماني:

كفتم: رخ توجست؟ كل سرخ يا ياسمين؟

كفتا: كلبست ريخته بر بركك ياسمين

كفتم: به شكر أست لبان يا عقيق؟

كفتا: به شكر است و عقيقي نه ازيمن

تفسير هذا الشعر الفارسي الذي للحسام الكرماني باللغة العربية. قلت له: وجهك الورد أو الياسمين؟ فقال: هو الورد المنثور على ورق الياسمين. قلت له: شفاهك السكر أو العقيق؟ فقال: هو السكر و العقيق لا العقيق الذي في اليمن. أي المكان الذي يسمى عقيق اليمن.

و لابن الرجا:

زان عارض جون أتش و آن خط جو نسرين خوانند بهارى بهمة انجمن اورا

أين بار عجب تركي بجهره جو بهارست و أنكاه برخساره سهيل يمن اورا

و تفسير هذا البيتين باللغة العربية. من ذلك الخد الناري النسريني يدعى الروض في كل محفل، و اعجب من ذا أن خده أن خده كالروض و وجنته كسهيل اليماني.

وظاهر هذه البلد حار و باطنها بارد يابس و جوها مضر بالزعفران لأنه يسوس في أيام قلائل، و الأصح أن الزعفران يرجع يابس من ذاته إذا فتح راس الكيس طار اليابس في الجو و هو الزعفران و الجسد لا يزال يحول إلى أن يرجع تراب تارب. و ماء البلد من الآبار. و أهلها سمر كحل كواسج ضعاف التركيب محلقين الرؤوس. و كذلك جميع المغرب و الإسكندرية و أهل مكة و الحبشة و البجاة لم يحلق المرء رأسه حتى يقتل إنسانا و نساء الزنجبار و الجوار الزنوج و أهل خوارزم و شعشعين و بلغار و اللاب و جميع هؤلاء القضاة منهم و الصوفية و العامة كبعض الحجاج كما قال الله عز و جل "محلقينَ رءوسكم و مقصرينَ"، و الأطفال و اليهود و حجاج الهنود و جميع أعمال اليمن من أهل الجبال و التهائم. و نساؤهم خلقات و هن رخوات التكك و في كلامهم كثر غنج و هذا دليل على إنّ شهوة نسائهم أغلب من شهوة رجالهم، فلذلك يستعملون الطيب لأنه يهيج الباء. و قال مكحول الشامي: عليكم بالطيب فإنه من طاب ريحه زاد عقله و من نظف ثوبه قل همه. و قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كنت تاجرا لّما اخترت على الطر شيئا إن فاتني ربحه لم يفتني ريحه. و نساء أهل هذه البلاد لم يأخذوا من أزواجهن المهر و أخذ المهر عندهم عيب عظيم، و كل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها مفروكة أي إنّ زوجها أعطاها مهرها و فركها أي طلقها. فإذا رجع الأمر إلى ذلك تقل رغبة الرجال فيها لن الزوج الآتي يقول: أخاف أن تأخذ مني المهر كما أخذت من غيري. و قد لا يكون للرجل طاعة في أداء المهر و تقول النسوة فيما بينهم: إنّ ما قدر زوجها يخرجها من عنده إلا بمهرها لقلة رغبته فيها فيركبها العار. فإذا أراد رجل يتزوج امرأة يجون نساء الحافة بلا مخافة إلى المرأة و يقولون لها: أفركي زوجك قبل أن يفركك أي هبي له المهر و أخرجي قبل أن يزن المهر و يخرج. و يفعلون الطرح في الأفراح و الأعراس على ما تقدم ذكره في صفة مكة. فإذا أعطت المرأة في عرس رد إليها في عرس مثله، و إن كان في ختان رد في ختان، و إن كان في الولادة رد في الولادة، و لم ترد الشيء إلا في الوجه الذي كان منه و فيه بعينه. و حدثني أحمد بن مسعود قال: و لم تفسد المرأة في اليمن إلا من جهة الطرح. قالت: و لم ذاك؟ قال: لأنه يكون للنساء عليها سلف و لم يكن معها ما تقضي به الذي عليها فتخرج على وجهها إلى عبر طريق فتهيم فتحتاج فتكتب لهم إلى أن يحصل لها شيء فترد مال الناس الذي عليها. و ليس يقبل منها يمين و لا شاهد إلا قول المرأة على المرة مصدق. و يخضب الرجال أيديهم و أرجلهم. و طبيخهم الملوخية و مأكلهم الدخن و الذرة و يعمل منه الخفوش و الكبان و اللحوح و الفطير، يأكلوه باللبن و السمك و يسمونه

الملتح، و الجبن و الموز و القند و الحليب. و ليس لهم حديث سوى الأكل، يقول زيد لعمرو: ما تصبحت اليوم؟ يقوا: فطير دخن و قطيب، أو: ملتح و سليط و يقول مضر لجعفر: ما تعوفت؟ يقول: رغيف خبز بر بفلس و قطعة حلاوة بأربعة فلوس، فصار المبلغ ستة فلوس! و يقول خالد لزيد: إني أكلت اليوم أكلة تكفيني ثلاثة أيام فطير و حليب و قند شرقي و ترفت إلى أن شبعت. و في ذلك أنشد علي بن أبي السنوي يقول:

قلت يوما لرئم ذات إعجاب — و ذات صدر رحيب ذات أكعاب
و ذات قدٍ رشيق كالقضيب إذا — ما ماد من فوق دعص الرمل رياب
وقد أشارت بكف و هي معرضة — و أقبلت مثل ظبي بين أسراب
تريد مني وصالا قلت يا سكنى — رفقا عليّ فإن الجوع أزرى بي
جذي الثريد إذا ما جئت مقبلة — نحوي و لا تأخذي مسكا و أطيابِ
و أستعملي من فطير الدخن مع لبنٍ — و صابحيني به صبحا على البابِ
فإن قلبي إلى حب الفطير صبا — و ليس قلبي إلى حب النسا صابي

و فواكههم البطيخ و الموز و العنب، و البطيخ يسمونه البرطيخ، و القثاء و الخيار. و يأكلون بطيخ الدباء مشوي في التنور. و ينادى عليه: دباء حب حب، كثير الماء قليل الحب. و مشمومهم البعيثران و هو الشيح الأبيض و ثمر الحناء و هو الحنون. قال أبي المجاور: و أول ما شممته بمولتان و ذلك أن الملى عز الدين شمس الملك ملك التجار يحيى بن اسعد البلدي ناواني ثلاث أو أربع طاقات و ما كنت قبل ذلك رأيته و لا شممته فقال لي: ما هذا؟ فقالت له: ثمر الحناء. قال: و بم عرفته؟ قلت: لثلاثة و جوه: للونه و رائحته و برودته. و قد تقدم ذكره. و أول ما رأيته في الديبول سنة ثمان عشرة و ستمائة و خاصيته أنه إذا كان مع زيد شمه عمرو. و البنفسج لم تعبق رائحته إلى مع الرجال. و لم تعبق روائح البرم إلا مع النساء و الحباق و هو الريحان و يسمى وردة الحماحم.

و أسامي

أهل هذه البلاد: حنكاس و يعفر و غسطيط و زبرقان و زنفل و دعص و مجلس و زبير و حمسيس و عطعط و دعدع و برباح و جدير و مايس و شقداف و عطوط و دعاس و بلسه و مطعون و مطحون و محمطة و قساص و طلى و صبيعة و سندع و قبيع و عرطبيع و بكى و جرباح و قعص و بعباب و سحوا

و ريطح و شمم و عبور و مبدع و الحبوب و رعبة و حنبل و نحم و جحوش و أيجر وقعبش و سحدر و فشلي و كسكاش و وكركر و فاوا و مريسب و فخم و دنكل و كعدل و رلسا و كلمى و رقرق.
و يقدمون أهل هذه البلاد الهاء على الواو في هجاء حروف جميع الناس كما يقال: واو هاء، و هو: هاء و واو. حدثني محمد بن أبي سعيد القاضي الرازي قال: سمعت ببعض البلاد يهجون الصبيان على هذا و نوافقهم على هجائهم و ما هجاؤهم إلا أصح، قال: "هو الله أحد الله الصمد". قال: بل هجاءنا أصح، "و هو الله في السموات و في الأرض يعلم سركم و جهركم و يعلم ما تكسبون". و غالب البلد على مذهب ساج الأمة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي التابعي رضي الله عنه. و ما يقوم سوق البز في هذه البلدة إلا وقعت القائلة بعد صلاة الظهر لأن جميع الناس بيعهم على العشيرة لأن أحدهم يدخل و معه شيء يريد بيعه فإذا باعه و حصل ثمنه يكون قد قارب الظهر و يتغدى و يدخل السوق. و كل أرباب البيوتات حكارين الغلال مثل الدخن و الذرة و الجلجلان و هو السمسم.
و يتعاماون الجند العشرة بخمسة عشر إلى مدة ستة اشهر وقت الغلال. و تكامل الغلال بالمد و المد اثنان و ثلاثون ثمناً كل ثمن اثنان و ثلاثون زبدي كل زبدي من كل من رطلين كل رطل مائة و عشرون درهما كل درهم ثلاثة عشر قيراطا. و ينسوي الدينار المصري أربعة دنانير و نصف ملكي و الدينار أربعة دراهم كل ربع ثلاثة جوز كل جائز ثمانية فلوس كل فلس أربعة دوارس. و أوّل من ضرب الدرهم الكبير الملك المعز إسماعيل بن طغتكين و زنته ثلاثة عشر قيراطا، و في الأول كانت الدراهم العباسية و بعده السيفي و زنة أربعة قراريط و حبة.و يباع الشيرج بجرة و السمن بجمنة كل جمنة خمسة امنان. و من الحرير مائتين و ستين درهما و من اللحم أربعمائة درهم. و تباع العصارة و القطن و الهدس و الشيذر بالمدله عن خمسة امنان بالكبير. و سنجة عدن أقوى من سنجة زبيد بشيء يسير. و تخرج من زبيد البردة ثمانية اذرع باليد و يشد حملها مائة و اثنتين و عشرين بردة شد الشحر. و شفق الحرير و البيض طول الشقة عشرون ذراعا بالحديد، و طول البيرم ستة اذرع و السباعية سبعة اذرع و هي صنفان: أحدهما حرير صرف و الثاني حرير و كتان في عرض أربعة اذرع، و الملايات و الجراب و فوط سوسي. و الزنجبيل المربا لونان: المقصوص منه قليل العسل و المطحون هو الجيد. و التمر الهندي أجوده المقلس. و الأدم يباع بالعدد، و ضمان المدبغة ثلاثة عشر ألف دينار. و يخرج إلى الحجاز التمر و الدخن و الذرة و يؤخذ إلى الحبشة الجواري العشارية و الخزر. و ضمان البلد سناسيق الصيدان و الجالة و الخضر والبقول التي تباع مع الغلال و ما يدخل من باب تسعين ألف دينار ملكي. و ضمان دار الضرب ثلاثة ألف دينار و دار النبيذ اثنتا عشر ألف دينار. و ضمان مائة ألف دينار و الله اعلم و احكم.

من المهجم إلى زبيد

إلى الكدراء خمس فراسخ.

ذكر المغلف و الأسيخلة

هما قريبان من أعمال الجثة تسمى إحداهما المغلف و الثانية الأسيخلة. فبينما القوم فيما هم عليه من أحوالهم الرجال تحرث و النساء تغزل و الحمير تتناهق و الكلاب تتنابح إذا ارتفعوا من الأرض إلى الجو رجالهم و نساؤهم و غابوا عن أعين الخلق إلى يوم القيامة و لم يدر أحد ما أصابهم و ما فعل الله بهم و لا ما كان بينهم، سنة أربع و ستين و خمسمائة. فبقوا مثلا إلى يوم الدين فيقال: طار بك برق المغلف و الأسيخلة. و الأنسجة بقرية العمالق من أعمال الأشعوب يماني صنعاء و أصبح الصباح و لم يوجد عن القرية و أهلها و دوابهم من يخبر، سنة خمس و ستين و أربعمائة، "فاعتبروا يا أولي الأبصار". و إلى المهجم ستة فراسخ. و لهذا يكون بساقات عشيرة اليمن برص: لكثرة أكلهم اللبن و السمك تغلب عليهم الرطوبات فيظهر عليهم ذلك، و الأصح انهم قليلون الكلف في أصناف الأمور لتخليتهم الخبز و الأدم مكشوف و البلاد حارة كثيرة الأوزاغ، فإذا خلى رأس الإناء أو الطعام المكشوف يأكل الوزغ منه فيبقي أثر لعاب فيه فمن أكله ظهر به برص. و يقال إنّه طير شبه النامس اصفر اللون و يسمى البرة إذا قرص إنسان على الريق ظهرت فيه هذه العاهة و الآفة، و يقال يظهر فيه داء الفيل و الله اعلم.

من زبيد إلى عدن

على طريق الساحل. من زبيد إلى المزيحفة فرسخ. و ما سميت المزيحفة مزيحفة إلا إنّه كان في قربها حلة عرب نزال ببيوت الشعر فانتقلوا من الحلة إلى هذا المكان فكان يعرف بالمزيحفة كما يقال: زحف فلان إلى فلان أي انتقل. و بنى بها موسى بن الجبلي مسجدا من الآجر و الجص و ليس في الجوالي ثغر أطيب منه و لا في وادي زبيد، و شجرها الأهليلج. و إلى السحارى ثلاث فراسخ و بعرس عوند و الشكالين و الرمة و العريقين و هم ثلاث روابي ذات شجر و أراك. و السحاري على ساحل البحر ذات نخل شامخات.

ذكر بيع النخل

غرس أبو القسم و يعقوب ولدي قونفر هذا النخل و نشأ النخل و صار له صيت. فسمع بخبره أتابك سنقر فقال للعمال: حيفوا عليهم العدد و اظلموهم في خراجه. فلما فعل العمال بهم ذلك استغاثوا مما جرى عليهم من العمال. فقال لهم اتابك سنقر: بيعوني و أريحوا أنفسكم من ظلمة! فقالوا له: اشتر منا على وجه الجرد. فقال لهم: أ بعتموني كل نخلة منه بدرهم؟ فقالوا قد بعناك. فقال لمن حضر: أشهدوا على إني اشتريت منهم. و أمر بعد النخل فصح عده الفي عود، فأعطاهم خمسمائة دينار. و النخل قطعتين تسمى إحداها الفازة و الثانية القبة. فلما قبضه الأمير ندما على ما صنعا استقالوا منه فأبى أن يقيلهم، فلما رأى أحدهم عين الغين حمل على الأمير فطعنه على قلبه فمات. و بقي النخل سلطاني إلى الآن و لن تحل نخلة إلا من بعده، و ليس في جميع هذه الأعمال أحسن من هذا النخل و لا أصح من غرسه و نشوة. و يقال إنما ظلم سيف الدين سنقر إلا أصحاب المملاح بعدن و أصحاب هذا النخل من دون الخلق. و إلى الخوهة نصف فرسخ. و بها مسجد مربع بناه الحسين بن سلامة و في صحن المسجد صخرة وطئة تافة معاذ بن جبل رضي الله عنه. و في المسجد سر عظيم: إذا كان في القرية خوف رموا أهل القرية ما كان معهم من المتاع و الأثاث في المسجد و تنجوا بأرواحهم فإذا دخل أهل الشر إلى المسجد لم يؤخذ من المتاع شيء و يعمي الله تعالى أبصارهم، و يقال إنّ المسجد يغيب عن أعين الناس. فإذا نام به رجل لم يكن طاهر السبب برى روحه يرمي به عند البئر ظاهر المسجد. و يؤخذ منها مكس عن كل حمل السدس مع جبا صنابيق الصيادين كل شهر سبعين ديناراً. و إلى موشح فرسخ، قرية ذات نخل شامخات. و إلى الحيلة فرسخين بين رمال و حصى و أشجار، و بها يعمل القلا و هو الحطم و منه يجلب إلى سائر أقاليم اليمن. و يكون فيها الصبايا الملاح و النساء الصباح و فيهن ذات فسق و فيهن ذات صلاح يكتمن العشق المباح، قال:

أ محسن في واحجه و في نواحي أمجدون

و في الحيلة أكثره لكنهم يعجلون

و سألت أهلها عمن بناها فقالوا: لم نعلم بل إن جدونا كانوا قوم بدو دخلوا هذه القرية فوجدوها خالية من السكان فلما استطابوا بها سكنوها فتوطنوها. و إلى موزع ثلاث فراسخ، و هي أرض مهلهل و كليب و بها كانت حرب البسوس.

و كانت فيما تقدم من الأيام هذه الأعمال أعمال بني مجيد بنوا بها القليعة، فخربت القليعة لاختلاف أهلها و سكن بعدهم جماعة من أهل جزيرة فرسان في أواخر أيام سيف الإسلام طغتكين بن أيوب و

بقيت في أيديهم إلى الآن. و يؤخذ بها مكس من حمل كل حمل نصف ربع و ثغر بين الربده و بين مرمان و المسالمية و الاسجار و النحاحسة و الفرنملة. و إلى العمرية ثلاث فراسخ. حفرتين في وادي و اشتهر هذا الوادي بهذا الاسم على ما ذكره غزي بن أبي بكر الحجازي إنّ امرأة جاءت بهذا الوادي تسمى عمرية فأصابها عطش شديد فصعدت إلى ذروه هذا الجبل على إثر سيل السيل من فضل الغيوث فحسبته ماءً، فلما وصلته أيست فماتت من شدة العطش، فعرف الوادي و الجبل بهذا الاسم يعني اسم عمرية. و حفرت بئر بعد الموت و سميت البئر باسم الجبل. كما قال:

تحريت في امرئ لذائب أدير وجوة الرأي فيه و لم ادر
أ اعزم عزم الناس و الصبر دونه أم أقنع بالأعراض و النظر الشزر
فديتك لم أصبر و لي فيك حيلة و لكن دعاني اليأس منك إلى الصبر
تصبر مغلوبا و إني لموجع كما صبر العطشان في بلد الفقر

و قال روبة النكبي:

كذرى بيش من نكاه كنم سوى رخسار تو ربوده دلي
همجو در دشت كربلا سوى آب نكه تشنكي حسين علي

تفسير هذين البيتين باللغة العربية يقول: تمر بي و أنا انظر إلى وجهك و أنا مسلوب الفؤاد كما كان ينظر الحسين لن علي في كربلا من عطشه إلى الماء.و إلى عبرة ثلاث فراسخ. بئر حفرت في بطن وادٍ مشرف على البحر المالح، و ما سميت بهذا الاسم إلا إنّ ماءها يشابه عبرة الإنسان في الصفا، و يقال بل عبرة تعبرها القوافل. و كان السبب على ما حكي غزي بن أبي بكر الحجازي إنّه أهلها كانوا جبابرة و من جملة جبرهم إنّه إذا ضاق على أحدهم الرزق من وجوه الشقا و الكد لم يستحسن يطلب من أحد. و لا يبذل ماء وجهه إلى أحد فكان يحفر حفرة كبيرة يدخل فيها هو و من معه و يموتون يموتوا جميعاً لئلا يعلم بحالهم عدو و يفرح أو صديق يهتم، كما قيل:

و كم قد رأينا من فتى متجملا يروح و يغدو ليس يملك درهما
يراعي نجوم الليل مما يصيبه و يصبح يلتقي ضاحكا متبسما
و لا يسأل الأخوان ما في يديهم و لو مات جوعا عفة و تكرما

و قبور القوم باقية في ما بين كل قبر منها مقدار دار عظيم، فسميت العبرة "فاعتبروا يا أولي الأبصار" و لم يتحقق عند أبن مجاور انهم كانوا مسلمين أو غيرهم من أهل بعض الأديان. و بقي آثار الخسف يحدثني بدوي من أهل البلاد بهذا المنزل سنة تسع عشرة و ستمائة: إنّه جاز بهذه البئر رجل غريب فسألني عن

جبل الحيالة و نجوان و الناجية فأنبأه عن الثلاثة الجبال فقلت له: ما شأنك تسأل عن هذه الجبال؟ قال: إني قرأت في بعض الكتب أن ما ينجوه في آخر العهد إلا من سكن هذه الثلاثة الجبال. فقلت له: فأي الجبال هم؟ فقال: نجوان و هو جبل بني عليه حصن عزان و الجبلين الآخرين بقربه و الله اعلم.

صفة باب المندب

لم يكن هذا البحر بحراً في قديم العهد اعني بحر القلزم و إنما هو بحر مستجد فتحه ذو القرنين و يقال بعض التبابعة. و كان الموجب على ما ذكره جماعة من أهل البلاد منهم الأمير أبو الطامي جياش بن نجاح في كتاب المفيد في أخبار زبيد قال: لّما وصل ذو القرنين إلى هذا الوادي نظر فوجد به شدة الحر ففتحه أي نقر صدر الوادي، فخرج البحر و خرج عرق منه إلى قلزم و وقف عنده و يقال إنّ أرض الحبشة كانت متصلة ببلاد العرب فقال ذو القرنين: أردنا إنّ نفرق ما بين الإقليمين ليعرف كل صاحبه و يجوز كل أرضه و بلاده و ينقطع ماء بين القوم من تغلب و التعدي. فلما فتح البحر افترق الإقليمين كل إقليم بذاته، فصارت الحبشة تخوض البحر بالخيل و الرجل و تغزو أرض العرب. و بني بعض العرب على جبل مندب حصنا يسمى بعد و مد بسلسلة من بر العرب إلى بر الحبشة معارض، فكل مركب يصل يمر تحت السلسلة حتى كان يخرج منه و يسافر إلى أي جهة يشاء و أراد. و بقى الحصن على حاله إلى أن هدمه التبابعة ملوك الجبل و يقال بنو زريع ملوك عدن و الأصح الحبشة ملوك زبيد و رفعت السلسلة، و بقى أثرها إلى الآن. و يقال إنّ في ذلك الزمان ما كان لسفارة البحر جواز إلا على باب المندب لأنه كان أغزر موضع في البحر. و كان ما بقى منه فشات و وضح و بطون و الأولاد يلعبون في الماء بها، و الآن صارت المراكب تسافر من وراء ظهره. و هو بحر عميق طويل عريض لكثرة المياه و نذكر ما بقى إذا وصلنا عدن. و يوجد في سواحله العنبر و الغالب ما يجده الصيادون.

ذكر الفقرات

و في أواخر بطن الوادي يعني العمرية ثلاث تلال حصا يكون بين كل واحدة إلى الأخرى مقدار ثلاثين ذراعا زائد لا ناقص، فسألت عن حالهم فقال لي بعض الجمالين: إنّ التلول أثر ثلاث فقرات فقرها بعض الجبابرة في زمن الجاهلية كل فقرة تل حصا ليعرف و هم من جملة العجائب. و ثغر بين المجالين و بين السقيا. و يسمى هذا الخبت مطاران لأن ما يروى بها أهلها الماء إلا أيام المطارات. و على عين الدرب أثر مسجد فيه أثر ناقة معاذ بن جبل رضي الله عنه و هو موضع فاضل. و إلى العارة ثلاث فراسخ.

بناء المزدوية المرة

فلما قتل النجاشي بأرض الحبشة و نجا من نجا من القتل و سكن هذه البلد سميت المزدوية لأنهم أزدوا بأرواحهم لئلا تعطب كمولاهم و سلامة خدامه دون الغير. قال أبن المجاور: و ما سميت المرة إلا إنّ حياتهم رجعت مرة لتشتتهم من أرضهم و بلادهم و مفارقة الأهل و الولد. فلما انقرضت تلك الأمة سكنها قوم عرب سموهم المريين و بقوا سكانها إلى أن حجزت البلاد و ضاعت العباد و ارتحلوا منها. حدثني ريحان مولى علي بن مسعود بن علي قال: إنهم نزلوا بربرة و أعمالها و بقى نسلهم في بر السودان و المعروفين بالمريين و هم الآن ذوو قبائل و عشائر، و بنت بعدهم العرب مدينة الأخضرين فوق العارة. حدثني يوسف بن خميس بن أبي بكر قال: إنّه كان مسكن الصيادين و الدليل على ذلك إنهم إلى الآن يجدون عظام السمك. حدثني موسى بن ديفل قال: بل كانت مدينة عظيمة فلما خربت بناها الفرس الواردين من أهل سيراف المنذرية تحت العارة على هذا البحر و بها آثار جامعين كبيرين و مساجد و طواحين الغلال و طواحين القرظ ترى بين شجر الأراك. قال أبن المجاور: و كل مدينة بناها الفرس من أهل سيراف بنوا فيها المدابغ و عملوا بها طواحين القرظ و لا شك إنّ القوم كانوا دباغين. و قال حكيم: لم يخرج من اليمن إلا وغدا أو رائض قرد أو دابغ جلد. و قال لي أخي أحمد بن محمد بن مسعود: و كيف هذا؟ قلت كاموا يدبغون الأدم و يجلب إليهم من أعلى مكة و نجران إلى عمان و من حلى بنى زهرة إلى كرمان و من الكيس و جنانة و فارس و من بني مكرمان و من زبلع و رحيتو و المنذرية من عدن إلى مكة. و كان يترف جميع هذا الأدم إلى العراق و خراسان و كرمان و ما وراء النهر و خوارزم و هجر فكان يتفرق في أقاصي الأرض و دانيها. و ما كان يين كما يترف في عصرنا هذا للقوة من ما بين سائر الأمكنة برا و بحرا إلى الهند و لم يؤثر جميع ذلك فيها أثرا فيها كما يقال: لا تنظر إلى طول المنارة و لكن أنظر إلى الجامع.

ذكر حشمة أهل المنذرية

حدثني رجل من أهل الحجاز قال: إنما كان مأكول الفرس من أهل سيراف السمك الضرياك، ففي بعض الفصول يعدم فعند عدمه خرج غلامان لتاجرين ليشتريا ضيراكا، إذ أقبل الصيادون بضرباك فتزايد فيه الغلامان إلى أن بلغوا ألف درهم فاشتراه أحدهما. فلما دخل الغلام بالحوت على سيده استحسن منه ذلك و أعتقه و أعطاه ألف درهم يتعيش فيها. و أما ما كان من الغلام الآخر فان سيده من غيضه عليه

أهانه غاية الإهانه كما أن غلام زيد غليه في الشطارة. حدثني أحمد بن سلطان المجيدي قال: إنما أخرب المنذرية علي بن المهدي سنة أربع و خمسمائة. و يقال إنّ بني مجيد بنوا البلاد و بقوا على ما هم علية إلى أن قحطت البلاد و جاعت العباد، و يقال إنهم افترقوا ذات اليمين و ذات الشمال و بقيت خراب فجاءت الحجازيون فاستعاروا الأرض من بني مجيد. فوافق ذلك الموضع الحجازيين و قوت أيديهم عليها لّما أخصبت البلاد فرجع بنو مجيد إلى بلادهم و أوطانهم فقاتلهم الحجازيون و أنكروهم و أخرجوهم من ديارهم من غير رضى فلما عجز بنو مجيد عن مكافاتهم تفرقوا ثلاث فرق فرقة سكنوا زيلع و فرقة سكنوا ظفار و فرقة سكنوا مقدشوه، و بقى شرذمة منهم في الجابية.

قال:

تفانى الرجال على حبها و لا يحصلون على طالِ

و لعبد آل عامر يقول:

ألا إنّ لي ديناً من أيام ذي اللوى و ديناً من أيام الحسين و أكد

أسايل ذا ديني إضافة عند ذا و ذا جاحد ديني كما ذاك جاحد

و أهلها صيادون حمارون و هم قوم ثقات أخبار رجال فحول مأكولهم السمك لا غير. و جميع عرب أهل هذه الأعمال الجبال مع التهائم إلى حدود الحجاز لا يقبل أحدهم حكم الشرع و إنما يرضون بحكم المنع، و لا شك إنّه حكم الجاهلية الذي كانوا يتحاكمون به عند الكهنة و يمامة الزرقاء، و يقال إنّ اليمامة قبل الإسلام. فإذا حكم الشيخ حكما في النع في أحد من العرب بضرب العنق لم يقدر على الهرب و لو أراد الهرب لّما أمكن إلا أن يمد عنقه و يرضى بالقضاء. فإذا وفى بما علية نادى منادٍ في سائر العرب و في كل جمع: ألا إنّ فلان بن فلان طاب بطيب العرب، فيرد علية كل من سمعه حاد الفتى. و كان يؤخذ في العارة من كل حمل نصف و ربع من ضمان العشر و سنابيق الصيادين و القفول و الواردة من عدن إلى زبيد و الصيادين من زبيد إلى عدن و مراكب الزبالع القادمين من أرض الحبشة كل عام بألف و مائتي دينار. فأزيل جميع ما ذكرنا سنة عشرين و ستمائة، و أعيد هذا السم سنة أربع و عشرين و ستمائة و صعد الضمان ألف و سبع مائة دينار. و يقال إنّ أوّل من سعي في ضمان القرية عبد الله بن بكر الاحوري و بقي يجى إلى يوم الدين. و للشريف الرضي يقول في مثل هذا:

من لم يكن عنصره طيب لم يخرج الطيب من فيه

كل امرئ يجعله فعله قد ينضح المرء بما فيه

من العارة إلى الحيلة راجعاً

على درب الكديحا. من العارة إلى عشر ثلاثة فراسخ، و هي قرية على ساحل البحر و يوجد فيها ما لم يوجد في موزع و بغير الملخاء و هو مرسى دفئ و ما اشتق اسمها عند العرب مخا إلا إنّها لا تمضغ كما لا تمضغ المحال. و هي طريق الأصل و عليها كان المعول في مسير القوافل في سالف الدهر لأنه اقرب و ابرد لهواء الساحل و البحر. و إلى الحليلة ثلاث فراسخ، و يعرف و هو مجمع الطريقين.

من العارة إلى المفاليس

من العارة إلى ترن ثلاثة فراسخ.

ذكر ترن

أهل ترن أصلهم من امرأة خرجت من البحر تسمى الفالقة سكنت البر و تزوجت رجلا من وجوه العرب أسكنه العربي أرض ترن و رزق منه أولاد إناثا و ذكورا قالت العرب: إنّ أهل ترن من نسل العربي و المرأة يعني الفالقة و كان إذا جاءهم سيل عظيم و مال عن جريته ليسقي به موضع آخر كانت تقعد في بطن الوادي و تسده من عظم خلقتها و كبر جثتها و ترد الماء إلى المجرى القديم المعتاد فتسقي الأرض من جريه، و كانت تبقى على حالها إلى أن تسقي للناس الأرض كلها. فإذا رويت الأرض و استغنت الناس عن ماء السيل فتقوم حينئذ من مقعدها فيجري ما فضل من ماء السيل إلى البحر، و يقال إنها كانت ساحرة. قلت لعمرو بن علي بن عقيل: ما فعل الله بفالقة؟ قال: إنها إلى الآن تعيش. قلت: و أين تسكن؟ قال: بوادي قطينة. قالت: و أين الوادي؟ قال: في أعمال ترن و لم تمت إلى يوم القيمة. قلت: هل يراها أحد؟ قال: نعم كل من قرب أجله. قلت: و لم سميت هذه الأرض ترن؟ قال: لأن الخلق كانوا يتعجبون من عظم خلقها فكان زيد يقول لعمرو:ترن أي تراها! فعرفت الأرض بهذا الاسم. ولهذا تقول العادة أنا الترني يسكن فخذ من فخوذ العرب أرض ترن و لا شك انهم بنو محريد و هم أهل أنعام و خيل و زرع و ضرع. لّما كثر المال عليهم و حسن الحال بهم ركبوا على حين غفلة من الحجازين و قتلوا جماعة منهم بعد أن اخذوا جميع ما كان معهم من المتاع و المال و الأثاث و عادوا منصورين و بقي الحجازيون في العناء و التعب مدة عام كامل. و التأم خلق عظيم منهم و رجال من السكاسك فلان و فلان بن فلان من المعدودين كبسوا على أهل ترن سنة ستين و خمسمائة. فصار عادة القوم إذا تكنى أحدهم قال: أنا الترني، يعني من نسل قوم الذين حضروا الواقعة. و ملك الحجازيون أرض ترن إلى الآن و جميع زروعهم فيها فصارت لهم مأوي و ملك. و إلى النخيلة ثلاثة فراسخ. و إلى المفاليس ثلاث فراسخ.

من العارة إلى تعز

من العارة إلى شعب أربع فراسخ. و إلى النبة ثلاث فراسخ. و إلى المحجاط ثلاثة فراسخ. و إلى الحصين فرسخين. و إلى العريش ثلاثة فراسخ. و إلى تعز فرسخين.

من العارة إلى عدن

من العارة إلى الجابية فرسخ، و يقال إنّها من أعمال ترن، و ترن من أعمال العارة. و إلى بئر الصحبة ثلاث فراسخ و هي بئر حفرت في آخر دولة بني مهدي. و ثغر العرف و الحراجرة و الحجف و القيعا و عويد و محاذا بئر صبيح على يسار المحجة جبل حرز و يقال حريز، و ما عرف بهذا السم إلا إنّه يسمى حرز و يقال بل جبل حريز أي مكين و الله أعلم بالصواب.

صفة جبل حريز

هو حبل شامخ شاهق في الهوى و بالقرب منه جبل ذو نساح أي ذو رأس بنى عليه حصن يسمى الجاهلي و يقال الأزلي لقدمه و الناس تصعد إليه و الثاني لم يصعده إلا كل صالح و ولي. حدثني علي بن صبيح العقولي: إنّ سليمان أبن داود عليهما السلام بنى في إقليم اليمن حصن بيسون و غمدان و سلحين و هذا الحصن يعني القاعدة و هو أحكمهم، و ذلك لّما تزوج سليمان عليه السلام ببلقيس في أرض اليمن فأمر الجن بنت هذه الحصون جميعها على هذا الوضع و الله سبحانه و تعالى العلم بالغيب و أحكم.

و بقى الحصن على حاله إلى أن خرب و أندثر. و يقال إنّ أبا الغيث أبن سامر أراد عمارة هذا الحصن في دولة الحرة السيدة بنت أحمد بن جعفر بن يعقوب بن موسى الصليحي بع أن احضر له آلة البناء، و تم له المقصود و ابتدأ في البناء فطلع طلائع الجن فقتلوا جميع القوم في المكان.و بعده أراد عمارة هذا الحصن الداعي سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي و يقال الدعي سبأ بن أبي مسعود بن الزريع بن العباس بن المكرم والي عدن من قبل الدولة الفاطمية فلم يمكنوه الجن. و أراد إعادته بعدهم سيف الإسلام الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب في دولة الملك الناصر أيوب بن طغتكين أبن أيوب بن شاذي فأشار بعض الفضلاء بتركه. فقلت لعمرو بن علي بن مقيل: هل في ذروته عمارة؟ فقال : ما كان يسكنه إلا من خاف و فيه آثار حيطان قد اندثرت و جدرات قد إهدمت و صهاريج قد خربت و درج قد تقلعت. قات: فهل كان عليه سور؟ قال: إنّ الجبل هو سور بذاته ة إذا أصاب عرب هذا الزمان في هذه البلاد

خوف أو جور من السلطان صعدوا بأنعامهم و دوابهم إلى القاعدة و قعدوا بها آل أن تأمن البلاد فحينئذ يطلبوا البلاد. فإذا قل على سكانها الماء يعني من الصهريج التي بها و هي خراب أصعد إليها الماء من لحف الجبل من ثلاث آبار إحداها بئر عبدل مشرفة على المحجة و الثانية بئر يعوم و الثالثة بئر ثنية. فقالت هذه الآبار حفرتها الأوائل؟ قال: بل مستجدة أستجدت في هذا العصر.

صفة وادي عبرة

و الحصن مشرف على البحر و قد خرج قسطرس جبل بادٍ في البحر طول فرسخ طريق شبه خط الاستواء. و يقال إنّ باني الحصن أراد أن يخرب القاد مما يلي المشرق إلى البحر و يدخل عليه فلم يقدر عليه لقوة الصخر. و كان غرضه أن يقطع الطريق على المراكب لأنه لو اتفق بهم لكان يستظهر على اخذ المركب لصعوده فوق الريح و بقاء المركب تحت الريح. فلما لم يتم له قال بتركه والآن هو مغاص اللؤلؤ الجيد. و بقى من الآبار بئر عبدل مع جبل الردادين و بها كانت وقعة العرب مع العرب و هي وقعة مشهورة سنة خمس وسبعين و خمسمائة. و بئر أبي بكر شنلو العقربي و قد بنى على البئر مسجدا سنة اثنين و عشرين و ستمائة. و إلى المزحجة ثلاث فراسخ و هي بئر ماحة في أرض عرب يقال لهم العقارب. و إلى البيضاء فرسخين و تعرف بسيخة الغراب و تسمى قاع الغراب. و قد كان عند البحر و على يسار الدرب بئر تسمى المخنق بناها القائد حسين بن سلامة و ليس في الربع المسكون أحلى و لا أخف من مائها على الفؤاد. و جواز القوافل على ساحل البحر. و إلى رباك فرسخين، و هي قرية كانت عامرة و قد عمر بها الأمير ناصر الدين فاروث بستانا حسنا و حفر بها انهارا و غرس بها النارنج و الأترنج و الموز و النارجيل. و يقال إنّ الناخوذة عمر الآمدي غرس شجر الشكي البكي و هو شجر يخرج من بدن الشجر بخلاف جميع الأشجار، و البركى غرسه سنة خمس و عشرين و ستمائة. و حفر بها برك و بها حفرة تسمى الأسد في سالف الدهر كانت الخلق تحج إليها من أبين و لحج و ما حولها من القرى في أول شهر الله الأصب رجب. و إلى المكسر فرسخ، قنطرة بناها الفرس الذين تولوا عدن على سبع قواعد، ويقال إنما بناها شداد بن عاد في الأصل. حدثني يحيى بن يحيى بن علي بن عبد الرحمن الزراد قال: إنما بناها رجل جبلي سنة خمس مائة، و يسمى المزف و كان في الأول لا يعدون هذا الموضع إلا بسنابيق و كذلك الماء و الحطب. و إلى جبل حديد نصف فرسخ، و يقال إنّه جبل حديد جاء بعض أرباب المخبرة و سبك من هذا الجبل بهارين و نصف حديد و غار المعدن عن أعين الخلق و يقال إنّ الرجل السباك قتل لأجل سبكه الحديد، و في لحفه مسجد بني بالحجر و الجص. و إلى المياه ربع فرسخ. و إلى عدن ربع فرسخ.

ذكر ما كانت عدن في قديم العهد

كان من القلزم إلى عدن إلى وراء جبل سقطرة كله بر واحد متصل لا فيه بحر و لا باحة فجاء ذو القرنين في دورانه و وصل إلى هذا الموضع ففتح و حفر خليجا في البحر فجرى البحر فيه إلى أن وقف على جبل باب النمدب فبقيت عدن في البحر و هو مستدير حولها و ما كان يبان من عدن سمى رؤوس الجبال شبه الجزر. و لنا على قولنا دليل واضح إنّ آثار ماء البحر و الموج باق بائن في ذرى جبل العر و الجبل الذي على ذروته حصن النعكر و جبل الأخضر و الدليل الثاني إنّ شداد بن عاد ما إرم ذات العماد إلا ما بين اللخبة و لحج و بين المغاوي التي على طريق المفاليس و هو الرمل الذي إلى جبل دار زينة. و ما بناها إلا في أطيب الأراضي و الأهوية ة الجو في صفاء من الأرض بعيد عن البحر. و الآن رجع البحر في أطراف بلاد إرم ذات العماد و تناول البحر شيئا منه أخذة و لم يكن بهذه الأرض بحر و إنما استجد بفتح ذي القرنين فمد من جزيرة سقطرة فساح إلى إنّ وقف أواخر المندب و الدليل الثالث إنّ البحر الذي ما بين السرين و جدة يسمى مطارد الخيل و مرابط الخيل و الأصل فيه إنّ العرب كانت تربط الخيل في هذه الأرض و الأصح إنهم كانوا يطاردون الخيل لّما لم يكن بحرا و كان البحر أرضا يابسة. فلما فتح ذو القرنين باب المندب غرق جميع الأراضي و ما علا منها صارت جزرا في ناحية البحر يسمى باس مطارد الخيل. و مما ذكره الأمير أبو الطامي جياش بن نجاح في كتاب المفيد في أخبار زبيد الأول، و هما كتابان المفيد الأول الذي صنفه الأمير جياش و الثاني صنفه الأمير فخر الدين أبو علي عمارة بن محمد، فذكر الأمير جياش بن نجاح في كتابه المفيد في أخبار زبيد إنّ البحر كان مخاضة لقلة مائه فلذلك تغلبت الحبشة على جزيرة العرب حتى ملكوا صنعاء إلى حد إقليم العواهل و بقيت دولتهم فيها في الكفر و الإسلام إلى إنّ أفناهم علي بن مهدي سنة أربع و خمسين و في عهده انقرضوا و زالت دولتهم مع شدة صولتهم.

نعود إلى ذكر ذي القرنين كان البحر على حاله إلى أن فتح ذو القرنين باب المندب فجرى البحر فيه إلى أن و فق آخر القلزم فطال و عرض و ترخى و انبسط انفرش فبانت ترض عدن. و مما ذكره أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكيساني في تفسيره قال: لّما خرج شداد بن عاد من أرض اليمن طالب أعمال حضرموت و وصل لحج فنظر جبل العر و عظمة من على مسافة بعيدة فقال لأعوانه: أغدوا و ابصروا هذا الجبل و ما دونه فلما عاينوا الموضع رجعوا و قالوا: إنّ هذا الموضع وادٍ و في بطنه شجر و فيه أفاعي عظام و هو مشرف على البحر المالح. فلما سمع بهذا المقالة نزل في لحج و أمر بان تحفر الآبار التي هي الآن يشرب أهل عدن منها و أمر أن ينقر له باب في صدر الوادي.

صفة نفر الباب و حفر النهر

و أقام على حفر النهر و نقر الباب رجلين، قال حكماء الهند: هما عفريتين من الجن، و لا زال أحدهما ينقر الجبل و الثاني ابتدأ في حفر النهر برأس سقطرة من أعمال لحج. و لا زال الرجلان يعملان في النقر و الحفر إلى أن بقي عليهم من العمل شيء يسير. فقال الحجار: إني إنّ شاء الله تعالى بالغد افرغ آل أتم عملي. فقال الحفار: و أنا بالغد ادخل الماء إلى عدن إنّ شاء الله و إنّ لم يشأ. فاقطع النهر بعضه من بعض و انسد معين الماء من الأصل و إرتدم ما بناه بعضه على بعض و لم يصح منه شيء و لم تقم منه صورة و لا استقام منه مغنى، و وصل في حفره إلى تحت جبل الحديد و من عنده انقطع. قال أبن المجاور: و رأيت آثار النهر بعينه مبني بالحجر و الجص بناء محكما وثيقاً في عرض ذراع ما بين الماء و جبل الحديد و قد علاه البحر و لم يبن لناظره إلا إذا عرى البحر ماد شبه خط الاستواء داخل في البحر. قال فلما اصبح الحجاز من الغد فتح نقر الباب و فتحه و استقام الأمر على ما أراد. و يقال إنّه بقي في النقر مدة سبعين سنة حتى أتمه. فطال المقام في حال القوام صار شداد بن عاد ينفذ إلى هذا المكان كل من وجب عليه الحبس يحبسه فيه فبقي حبساً على حاله إلى آخر دولة الفراعنة الذين كانوا ولاة مصر، بعد زوال دولتهم خرب المكان.

ذكر المدن التي كانت حبوساً للملوك

كسمر حبس سليمان بن داود عليهما السلام،حصار نادى حبس ذي القرنين، ترمذ حبس الاسكندر، مولتان حبس الضحاك الساحر، آمل و ساري لكيكوس بن كيباد، حس حبس الروم، حصار طاق حبس بردسيار، مصر حبس أمير المؤمنين أبو محمد هارون الرشيد، مرو حبس أمير المؤمنين عبد الله المأمون، الشام حبس الإمام الناصر لدين الله. و يقال إنّ فيها سرداب إذا زادت دجلة امتلأ و بقوا محبوسين وقوف في الماء إلى أن ينقص فمن نداوة الماء و عفونة الأرض و ملوحة السبخة تنفطر جلود المحبوسين و اكثر ما يعيش بها المحبوسون شهر زمانٍ. و نهاوند حبس السلطان معز الدين محمد بن سام، و لوحك حوران حبس السلطان بهرام شاه، و قلعة نصور حبس خسرو ملك بن خسروشاه، و برعد حبس تاج الدين يلدز السلطاني و كواليور حبس الملك قطب الدين أبو الفوارس أبيك الاملي، و عوض حبس السلطان شمس الدين إلتتمش و هراة حبس السلطان غياث الدين بن محمد بن سام، و حصار هزارسب حبس السلطان أبو الفتوح محمد بن تكش كوشك سنه جوهران بس طغرلبك شاه بن محمد، و دهلك حبس

عبد الله بن مروان، و عيذاب حبس الخلفاء الفاطميين، و تعز حبس ملوك اليمن، و قوارير حبس بني مهدي، و جبال برع حبس الملك الأعز علي بن محمد الصليحي، و سيراف حبس السلطان محمود بن محمد بن سام، و عدن حبس الفراعنة و رجعت من حبوس الفاطميين. و قال الهنود: عدن حبس دس اسم جني له عشرة رءوس من جملتهم الغزال درسير و كان يسكن الجبل المنظر و يتفرج على رملة حقات و سكن بعده هنومت حقات. و ما أخرجهم منها إلا سليمان بن داود عليه السلام لّما وصل أرض اليمن لأجل بلقيس لأن هؤلاء القوم المتقدم ذكرهم كانوا عفاريت. و ما سميت عدن بعدن إلا بعدنان لّما بناها سماها على اسم ابنه عدن. و ما اشتق عدن إلا من عاد، و يقال أوّل من حبس بها رجل يقال له عدن فسميت به. قال أبن مجاور: و ما اشتق عند إلا من المعدن و هو معدن الحديد. و تسمى عند الفرس اخرسكين و عند الهنود سيران و عند السودان و تسمى عند التجار يأكل صيده و تسمى حبس فرعون و مقام الجن و ساحل البحر و تسمى عند الهنود هتام و عند الظرفاء سنداس لأن ما يرميه الإنسان في الازيب يرده الكوس إلى اللحادوس و تسمى فرضة اليمن و تسمى السوقة دار السعادة بدارٍ بناها سيف الإسلام طغتكين مقابل فرضة، و تسمى الدار الطويلة بدار بناها أبن الحابين على محاذات الفرضة، و تسمى المنظر بدار بناها المعز إسماعيل بن طغتكين على جبل حقات، و تسمى عند التجار صيرة و حيدة.

ذكر جبل صيرة

هو جبل شامخ في البحر مقابل عدن و جبل المنظر و يقال هو قطعة منه.و قال محمد بن عبد الله الكيساني في تفسيره: إنّه يخرج يوم القيمة من صيرة عليه السلام عدن نار تسوق الخلق إلى المحشر. و الدليل على ذلك قلب بالجبل بئر يسمى انبار و يسمى عند حكماء الهند في بر يخرج طول الدهر منه دخان ويسما الآن بئر الهرامسة ليس يمكن لأحد النظر فيه من وهجه و كربه و قتامه و يوجد حول البئر حجارة مكسرات و أفاعي و نائمات و حيات قائمات. قالت الهنود: إنّ هنومت المقدم ذكره حفر هذه البئر و ليس هي بئر و إنما هو سرب ينفذ حفره تحت البحر إلى مدينة أوجين بكرمى و هي سرير ملك مالوي من الهند.

فصل

حدثني مبارك الشرعي مولى والد محمد بن مسعود قال: كان السبب في حفر بئر بر إنّ حادبير و هو عفريت سرق سيت زوجة رام جندر من أعمال عوض و سار بها إلى أن سكن بها على قلة جبل صيرة. و

قال: إلي أريد أن أقلب عنك صورة الإنية إلى صورة الجنية. فبينما هما في لا و نعم إذ سمع بخبرهما هنومت و هو عفريت ثاني على صورة قرد فحفر هذا السرب من أوسط مدينة أوجين بكرمى تحت البحر و بلغ آخر الحفر إلى أوسط جبل صيرة و فعل جميع ذلك في ليلة واحدة، فخرج من الحفرة فوجدها نائمة على ذروة الجبل تحت شجرة شوك فرفعها على ظهره و نزل بها السرب و لازال يسري بها إلى أن بلغ اوجين بكرمى فعند انفجار الفجر الصادق سلمها إلى زوجها رام جندر فرزق منها رام جندر ولدان ذكران سمى أحدهما لب و الثاني كش و لها حكاية طويلة عريضة يطول شرحها فبقى السرب إلى الآن. و كذلك حفر كيكالوس بن كيقباد سرب من الري إلى مازندران مسيرة ستة و ثلاثين فرسخا. و حفر بعض الهنود سربا في ديولاره من أعمال السومنات ينفذ أواخره إلى بابهن من أعمال الديوكير أوّل حدده مالوي، و ينفذ أيضاً تحت بحار و رمال و يقال إنّه حفر الجن و لا شك في هذا. و حفرت رؤساء همذان في وسط أملاكهم سربا ينفذ إلى روذراور مسيرة ثلاثة أيام. و حفر كرشاسب بن اثرط أبن رستم سربا في وسط قصره الذي بقلعة ارك بسيستان ينفذ أواخره إلى وسط حصار طاق مسيرة اثني عشر فرسخا. و حفر دير الجب في نواحي الموصل. قالت النصارى: لمّا قتل سنحاريب ولده من بها رماه في حفرة كانت بالقرب منه انخرق بالحفرة سرب ينفذ إلى الزاب مسيرة أربع فراسخ، قالت النصارى: و عاش مرتهنا بعد الموت و إدراك الفوت و هو إلى الآن بالحيوة في تلك النواحي. و حفر بعض سواريب الهنود بالمدينة برهنك سرب مسيرة أربعة فراسخ بطريق و كان سببه ما حدثني أبو طالب بن أبي بكر بن أبي طالب الحداني المعروف بابن السويدائي إنّه عشق بنت الملك فحفر هذا السرب من بيت اليد إلى دار الصبية فكان يمشي إليها و تجيء إليه في هذه الطريق مدة حياتهما فلما خرب السلطان نظام الدين محمود بن سبكتكين البلدة بقى السرب على حاله. و بقى بطريق مكة جبل يسمى المخروق فيه خرق منفصل من لحفه إلى ذروته و قد تقدم ذكره. و في نواحي الموصل قرية يقال لها الباعور و هو موضع لعرب من زمن النبي " فمن شدة الباعور انخرق في الأرض سرب يطول من الباعور إلى دجلة مسيرة خمس فراسخ. و حفر شاه بور بن اردشير بابكان في قلعة نيسابور سربا تحت الأرض مسيرة خمسة فراسخ ينفذ إلى برية و ما عمله إلا لإحكام القلعة و حقن دماء الخلق و لهذا يقال: الهرب في وقته ظفر. نرجع إلى ما كنا عليه من كلامنا الأول، فإذا تعوقت المراكب في المجيء عن موسم ثغر عدن يجاء إلى جبل صيرة بسبع رؤوس بقر عند اصفرار الشمس و تبقى البقر في مكانها إلى نصف الليل و بعد زوال هذا الحد ترد ست رؤوس منها إلى عدن و يبقى رأس واحد هناك مكانه، فإذا اصبح ضحي به من الغد في مكانه و تسمى تلك الضحية ضحية الجبل فإذا عمل هذا العجل تقدم المراكب و تلاق بعضها ببعض. و قد صارت سنة من قديم اليام من دولة بني زريع و غيرهم من العرب، و بطل ما ذكرناه في زماننا هذا.

فصل

فإذا حاذى مركب المسافر مدينة سقطرة أو جبل كدمل تسمى يلك المحاذات الفولة. يؤخذ قدر يعمل عليه شراع و سكان من جميع آلة المراكب و يعبى فيه من الأطعمة من قليل نارجيل و ملح و رماد و يلقى في البحر من الأمواج الهائلة، قال أهل التجارب و الخبرة إنّه يصل بسلامة إلى لحف الجبل. و كان في أيام القبط و اليونان في وقت زيادة النيل توخذ بنت بكر عذراء احسننا يكون من الصور تزين بأفخر زينة و تلبس الحلي و الحلل و يؤتى بها على رؤوس الأشهاد بالطبل و المزمار و يطلقونها في النيل. فأزيل هذا الفن في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. و في اجه و جميع أعمال الهند و السند إذا زرع أحد قصب السكر ينذر للصنم نذرا إذا طلع قصبه جيدا فدى بإنسان فان صح قصبه احتال على بعض قصار الأعمار يذبحه و يرش بدمه أصول قصب السكر في يوم عيد لهم يسمى الديواني. و إذا زاد شط السند في الأخذ على المد و الحد يؤخذ خشف غزال أحمر و يعطر و يبخر و يطلق في أغزر موضع و أقوى جريان في السيل و أشد سوار فحينئذ ينقص الماء بأذن الله تعالى. و ما ذكرنا هذه إلا لنبرهن مقالتنا و ما تقدم من قولنا و الله اعلم.

ذكر المعجلين

هو بركة في آخر جبل حفات و جبل صيرة الذي بنى على ذروته قصر المنظر، و البركة خلقها الله تعالى و هي ما بين جبل حقات و جبل صيرة و هي ذات أمواج هائلة قاتلة في عمق و غزر. حدثني منصور بن مقرب بن علي الدمشقي قال: إذا برد الماء بها يعني في البركة يكون العام عاما شديدا على كل من يقطع الصبا قلت: و لم؟ قال: لكثرة الأمواج و هيجان البحر. و إذا كان الماء فيه فاترا يكون عاما طيبا سهلا يسرا غير عسي على المسافر و هذا مجرب. قلت لريحان مولى علي بن مسعود بن علي بن أحمد: لم سمي هذا المكان المعجلين؟ قال: لأنه يرجع كل أربعة أثنين.

ذكر بحيرة الأعاجم

قيل: لّما أطلق ذو القرنين البحر من جبل باب المندب و ساح نشف ما حول عدن من المياه و بقيت عدن نصفها التي تلي جبل العر مما يلي صيرة مكشوف و مما يلي المياه و إلى جبل عمران ناشف. فلما استولت ملوك العجم على عدن رأوا ذلك الكشف فخافوا على البلد من يدٍ غالبة تحاصر البلد فحينئذ قاموا فتحوا

له فماً مما يلي جبل عمران و أطلقوا البحر عليه فأندفق البحر فنزل إلى أن غرق جميع ما حول عدن من أرض الكشف فرجعت عدن جزيرة. و بقي كل من أراد السفر إلى جهة من الجهات ركب متاعه في الصناديق و يجيء في البحر الأصلي إلى أن يعدي البحر و جاءت الجمال فرفعوه من عند المكسر و سافروا به. فلما رأوا ما رأوا من تعب الخلق في ذلك بني المكسر و هو قنطرة بنيت على سبع قواعد فصارت الخلق تسلكه على الدواب و غيرها. و يسمى البحر المستجد بحيرة الأعاجم بهم إلى قيام الساعة.

بناء عدن

لّما انقطعت دولة الفراعنة خرب المكان بزوال دولتهم، و سكن الجزيرة قوم صيادون يصيدون في المكان فكانوا على ما هم عليه زمنا طويلاً يرتزقون الله في القوت و المعاش إلى أن قدم أهل القمر بمراكب و خلق و جمع و ملكوا الجزيرة بعد أن اخرجوا الصيادين بالقهر و سكنوا على ذروة الجبل الأحمر و حقات و جبل المنظر، و هو جبل يشرف على الصناعة. و آثارهم إلى الآن و بنائهم باق بالحجر و الجص ملء تلك الأودية و الجبال. قال الشاعر:

لي أدمع هواطل مذ خلت المنازل
و سار حادي عيسهم فهاجت البلابل
و قفت في ربوعهم هاذٍ بهم و سائل
يا دار هل من خبر رد جوابي عاجل
أجابني من الربو ع صائح و قائل
ابك دما يا غافلا قد سارت القوافل
لي فيهم فتانة رشيقة الشمائل
في خدها و قدها ورد و غصن ذابل

و كانوا يطلعون من القمر يأخذون عدن رأساً واحداً في موسم واحد. قال أبن المجاور: و ماتت تلك الأمم مع تلك الرئاسة و انقطعت تلك الطريق و لم يبق أحد في زماننا يعلم مجرى القوم و لا كم كيف كانت أحوالهم و أمورهم.

فصل

قال أبن المجاور: و من عدن إلى مقدوشوه موسم و من مقدشوه إلى كلوة موسم ثاني و من كلوة إلى القمر موسم ثالث، فكان القوم يجمعون الثلاثة المواسم في موسم واحد. و قد جرى مركب من القمر إلى عدن بهذا المجرى سنة ست و عشرين و ستمائة أقلع من القمر و كان طالباً كلوة فارسي بعدن. و لمراكبهم أجنحة لضيق بحارهم و وعرها و قلة الماء بها. فلما ضعف القوم و أستقوت عليهم البرابر أخرجوهم منها و ملكوا البلد و سكنوا الوادي، موضع هو الآن عامر بصرائف و هم أوّل من بنى الصرائف بعدن. و بعدهم خراب المكان و بقي على حاله إلى أن انتقلوا أهل سيراف و قد تقدم ذكرهم. و وقع سلطان شاه بن جمشيد بن اسعد بن قيصر في عدن فنزل و توطن بها فانعمر الموضع بمقامه و كان يجلب إليهم مياه الشرب من زيلع. فلما طال عليهم البعد بنوا الصهريج لأجل ماء الغيث و نقل طين البناء من نواحي أبين و يقال من زيلع. فلما كثر الخلق بعدن بنوا بها الحمامات و بني الحمام عند حبس الدم فسيل فغسل الأرض سنة اثنين و عشرين و ستمائة. و بنوا الجامع و ذلك عند حمام المعتمد رضي الدين علي بن محمد التكريتي و وضع مربط الفيلة في سنة خمس و عشرين و ستمائة فملأ لحف الجبل الأخضر بالطول و العرض. فلما رأى ذلك تولى السلطنة.

ذكر ألقاب ملوك العجم الذين تولوا ملك عدن

مولانا ولي النعم، و معدن الكرم، الملك العلم، العدل المؤيد من السماء المنصور على الأعداء، المتوج بالجلال و السناء، شاهنشاه المعظم، مالك رقاب الأمم، سيد سلاطين العرب و العجم، حافظ عباد الله، حارس بلاد الله، معز أولياء الله، مذل أعداء الله، غياث الدنيا و الدين، ركن الإسلام و المسلمين، تاج ملوك العلمين، قامع البغاة و المشركين، مغيث الدولة القاهرة، مزيل الأمم الكافرة، محيي السنن الزاهرة، باسط العدل و الرأفة، ناصر السلطنة و الخلافة، عماد ممالك الدنيا، مظهر كلمة الله العليا، مرفه الخلائق بالإنصاف، مزيل الجور و الإعتساف، القائم بتأييد الحق، الناظم لصلاح الخلق، ظل الله في الأرض، محي السنة و افرض، سلطان البر و البحر، ملك الشرق و الغرب، أنا سلطان شاه بن حمشد بن اسعد بن قيصر أمير المؤمنين. آخر مولانا و لي النعم بهاء الدولة و الدين، جلال الإسلام و المسلمين، ناصر الملوك و السلاطين، غياث جيوش العلمين، قاتل الخوارج و المشركين، قوام الملة، نظام الأمة، قطب المملكة، معز السلطنة، عدة الخلافة، بهلوان إيران و توران، أبو سنان سفاوس بن اسعد بن قيصر قسيم أمير المؤمنين. آخر مولانا ولي النعم قسيم الدين يمين الإسلام صمصام الدولة قوام السنة نصرة الملوك بهاء الأمراء كردو

أبو المظفر اسعد بن قيصر برهان أمير المؤمنين، آخر مولانا ولي النعم جلال الدولة و الدين، مغيث الإسلام و المسلمين، وعز الملوك و السلاطين، سيف السنة، بهاء الملة، نظام المملكة، معين الخلافة، فخر الأمراء منير باربك أبو شجاع نامشاد بن اسعد بن قيصر نصرة أمير المؤمنين، آخر مولانا ولى النعم و الأمين الأجل المؤيد ناصر الدين عماد الإسلام علاء توران،حسام السنة جلال الملوك غياث الأمراء زنده أبو الفتح كيقباد بن محمد بن قيصر معز أمير المؤمنين. آخر و المولى محيي الدين معز الإسلام ركن الدولة عضد الملوك مغيث الأمراء أبو سعيد قيصر بن رستم بن قيصر عمدة أمير المؤمنين. آخر و المولى سيف الدولة و الدين، غيات الإسلام و المسلمين، تاج الملوك و السلاطين، ناصر السنة، نظام الملة، عماد الأمة، زكن المملكة، نصرة الخلافة، مغيث المراء ملك العرب و العجم أبو الصمصام عاد بن شداد أبن جمشيد بن اسعد بن قيصر يمين أمير المؤمنين. آخر موالي تاج الدين، ناصر الإسلام و المسلمين، مجد الملوك و السلاطين، معز السنة، محي الملة، غياث الأمة' عماد المملكة، يمين الخلافة، جلال الأمراء ملك الهند و اليمن أبو الملك تاج الدين جمشيد بن اسعد بن قيصر ظهر أمير المؤمنين. آخر و المولى عماد الدولة و الدين، محي الإسلام و المسلمين، ظهر الملوك و السلاطين، نظام الملة، و مظهر السنة، جمال الملوك معز الأمراء أبو الوفاء كذار شاه بن هزاراسب يمين أمير المؤمنين. آخر و المولى معز الدولة و الدين، تاج الإسلام و المسلمين، ركن الملوك و السلاطين، قوام السنة، غياث الأمة، ناصر المملكة، محي الأمة، عماد الخلافة، مجد الأمراء أبو البركات هزاراسب أبن جمشيد بن اسعد حسام أمير المؤمنين. فهؤلاء الملوك ملوك العجم الذين تولوا ملك عدن.

بناء الجامع

و مما ذكره عمارة بن محمد بن عمارة في كتاب المفيد في أخبار زبيدق إنّ جامع عدن بناء عمر بن عبد العزيز و جدده الحسين بن سلامة، و الأصح إنّ ما بنى الجامع إلا الفرس. و كان السبب في بنائه انهم وجدوا في زمانهم قطعة عنبر كبيرة مليحة فأتى بها إلى صاحب عدن فقال لهم: و ما اصنع بها؟ بيعوها و ابنوا بثمنها جامعا فلست أرى درهما أحل من هذا الدرهم و لا يخرج في وجه أحق من هذا الوجه. فباعوا العنبر و أخذوا ثمنه بني به جامع عدن في طرف البلد، فان قال قائل: لم لا بني في وسط البلد؟ قلت: لأن في وسط مدينة عدن عين ماء ماد من البحر إلى المملاح، و لنا على قولنا دليل إنّ من بقايا العين موضع الملح الذي يجمد فيه الملح بالمملاح. قال أبن المجاور: و رأيت وراء حمام المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي إنّ سيلا عظيما غسل أرض الوادي فظهر به مدابغ جملة من أيام الفرس طانت قد

علت عليها الأرض من طول المدى. و حدثني ريحان مولى علي بن مسعود بن علي قال: إنّه ظهر عند حبس الدم بقرب جبل حقات حمام كبير عظيم ذو طول و عرض و قد كانت علت عليه الأرض من بناء العجم. و كانت الناس في أيام دولة العجم يجدون العنبر الكثير إلى باب المندب و كان الصيادون يجدونه فإذا مر بهم مركب أو تاجر يقولون له: تشتري منا حشيش البحر؟ يعنون به العنبر. و يقال إنّ الشيخ شبير الصياد و جد قطعة عنبر و لم يعرف ما هي فجاء بها إلى بيته فعازه الحطب فأوقدها تحت القدر عوض الحطب، فعلم به الناس فعرف الشيخ بوقاد العنبر. و قد أنقطع جميع ذلك في زماننا هذا من سوء ظننا و قبح فعالنا. "من يهدي الله فهو المهتدي و من يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً". فعند زوال أيام العجم ملكها العرب.

ذكر أخبار آل زريع بن العباس بن المكرم ولاة عدن

نسبتهم من همدان ثم من جشم بن بام بن أصبا و كان لجدهم العباس بن المكرم بن الذئب سابقة محمود في قيام الدعوة المستنصرية مع الداعي علي بن محمد الصليحي ثم مع ولده المكرم عند نزوله من صنعاء إلى زبيد و أخذ أمه أسماء بنت شهاب بن اسعد من الأحوال سعيد بن نجاح. و كان السبب في ملكهم لعدن إنّ الصليحي لّما افتتحها و فيها بنو معن أبقاها في أيديهم فلما قتل الصليحي نافقت بنو معن في عدن فسار المكرم إليهم أحمد بن علي فافتتحها و أزال بني معن منها و ولاها العباس و مسعود ابني المكرم و جعل مفر العباس تعكر عدن و هو يحوز البر و الباب و جعل لمسعود حصن الخضراء و هو يجوز الساحل و المراكب و استحلفهما للحرة السيدة ابنة الملك أحمد لأن الصليحي كان قد اصدقها عدن حين زوجها من أبن المكرم سنة إحدى و ستين و أربعمائة. و لم يزل خراج عدن يصل إليها و هو مائة ألف دينار و يزيد و لا تنقص إلى إنّ مات المكرم أحمد، ثم توفي لها بعد موت المكرم العباس و مسعود ابني المكرم. فلما ماتا تغلب على عدن زريع بن العباس و أبو الغارات أبن مسعود فسار المفضل بن أبي البركات إلى عدن و جرت بينه و بينهما حروب كان آخرها المصالحة على نصف خراج عدن. و لّما مات المفضل تغلبت أهل عدن على النصف الباقي فسار إليهم اسعد بن أبي الفتوح أبن عم المفضل فصالحهم على ربع الخراج للحرة. و لّما ثارت آل زريع في البكر تغلب أهل عدن على الربع الذي للحرة و لم يبق شيء لموت رجالها و لم يقدر على بن إبراهيم بن نجيب الدولة على شيء من ذلك و الله اعلم و احكم.

ذكر ما شجر بينهم

نزل المفضل بن أبي البركات في بعض غزواته إلى زبيد و كان معه زريع أبن العباس و عمة المسعود بن المتكرم و لهما يومئذ صبيان في عدن فقتلا جميعا على باب زبيد. ثم تولى الأمر بعدهما بعدن أبو السعود بن زريع و أبو الغارات بن مسعود ثم ولي الأمر بعدهما الأمير الداعي سبأ بن أبي السعود و محمد بن أبي بكر بن أبي الغارات ثم ولده على الأعز ثم علي بن أبي الغارات ثم الداعي محمد بن سبا و هو آخر بني داود ثم ولده عمران وصفت بعده لآل زريع محمد و أبي السعود ابني عمران وهما طفلان و الله اعلم و احكم.

ذكر السبب في زوال ملك علي بن أبي الغارات و حصولها للداعي سبا

كان محمد بن الجزري نائب لعلي بن أبي الغارات في نصف عدن و أحمد أبن غياث نائب سبا في النصف عدن فقاسط أبن الجزري في قسمة الخراج أحمد بن غياث فامتدت أيادي أصحاب علي بن أبي الغارات إلى ظلم الناس و عاثوا و افسدوا و أطلقوا أيديهم و ألسنتهم بذام الداعي سبا. فحينئذ قام القائد بلال بن جرير المحمدي إلى ولاة عدن و قد أمره الداعي أن يهايج القوم و يحرك القتال بعدن ففعل بلال ذلك و جرت بينهم وقائع عظيمة في لحج آخرها قتل الداعي بها سنة خمس و أربعين و خمس مائة. و أوصى بالأمر لولده علي الأعز و كان علي الأعز مقيماً بالدملوة فهم أن يقتل بلالاً بعدن. فمات علي الأعز و أوصى بالأمر لأولاده و هم حاتم و عباس و منصور و كانوا صغاراً فجعل كفالتهم إلى أنيس خادم حبشي. و كان محمد بن سبا قد هرب من أخيه فاستجار بالأمير منصور بن مفضل بن أبي البركات فأجاره و حين مات علي الأعز في الدملوة سير بلال من عدن رجالاً من همدان فأخذوا محمد بن سبا من جوار المنصور بن المفضل و نزلوا إلى عدن فملكه بلال و استحلف له الناس و زوجه بلال ابنته و جهزه في جيش فحاصر انيسا و يحيى العامل بالدملوة فملكها و أطاعته البلاد كافة ثم مات في سنة ثمان و أربعين و خمسمائة. و تملك بعده ولد عمران بن محمد ثم مات سنة ستين و خمسمائة و خلف ولدين محمد و أبا مسعود. و تولى أبو الندا بلال بن جرير المحمدي سنة أربع و ثلاثين و مات في سنة سبع و خمس مائة عن أولاد رجال منهم مدافع و ياسر و هم آخر الدولة. و يقال في رواية أخرى: و بعدهم ملك عدن سبأ بن أبي السعود و محمد بن أبي الغارات و من بني زريع فكان أحدهم يجبي ما دخل من البر و الثاني يجبي ما دخل من البحر و كانت البلد بينهما بالسوية يأخذ كل حقه من المكوسات، و كان يجري بين القوم فتنه عظيمة لأجل الماء و الحطب و قتال شديد في الدخل و الخرج و ذلك في السائلة. فبقوا على حالهم إلى أن جهز ملك الجزيرة قيس كوانيج و برمات شبه أبرام النارنجيات و نهابيق "؟" لأخذ عدن من أربابها. فلما

وصلت الدوانيج أرسوا تحت جبل صيرة و الله عز و جل أنفذوا رسولهم إلى بني زريع يعني أصحاب التعكر و الخضراء و قالوا لهم: أعلموا أن ملك كس أنفذنا على اخذ عدن فإن جئتم بالصلح و إلا جئناكم بالفتح و هو أقبح. فقال لهم صاحب حصن الخضراء: أنا عبدكم و البلد بلدكم و ولوا فيها من شئتم فلما سمع القوم هذه المقالة نزلوا من الدوانيج و البرمات إلى السواحل و قلوبهم آمنة بالأمان و الطاعة. و انفذ لهم صاحب حصن الخضراء الإضافة التامة و أرسل لهم بالدقيق و الغنم و النبيذ فخبزوا القوم و طبخوا و دارت الأقداح بين القوم. فلما رأى مقدم الجاشو فعل أصحابه قال لهم: كفوا عما انتم عليه عاكفون و لا شك إنّها حيلة عليكم أيّها الجاهلون! فأنفق عليهم خبز و لحم و نبيذ و جاشوا كما قال:

إني بليت بأربع ما سلطوا إلا لحتفي أو بلاي و شقائي
الهم و الدنيا و نفسي و الهوى كيف التخلص من يدي أعدائي

فلما أرست الجاشو مرسى عدن انفذ صاحب التعكر إلى أبن عمه صاحب الخضراء و قال له: ما تصنع و هذا العدو قد داهمنا؟ فقال له: غلطنا في الكيل فشرد منا الحيل و اعمل برأيك فيما ترى! فقال: انزل من الخضراء و أنا أكفيك شرهم. فنزل النحس شبه ألف جعس و سلم الحصن إلى أبن عمه. و انشد المنصور بن إسماعيل الامزي يقول:

الناس بحر عميق و البعد عنهم سفينه
و قد نصحتك فأنظر لنفسك المسكينه

و حدثني الشيخ بلال بن جرير المحمدي قال: لّما ملك حصن الخضراء بعدن و أخذت الحرة بهجة أم علي بن أبي الغارات وجدت عندها من الذخائر ما لم يقدر على مثله و عدن كلها بيدي في مدة متطاولة. قال بلال: و بين عدن و بين لحج مسيرة ليلة فأذكر إني كتبت من عدن بخبر الفتح و اخذ الخضراء و سيرت بشيرا بالبشرى إلى مولانا الداعي سبا بت أبي السعود، و في اليوم كان فيه فتح الخضراء فتح مولانا مدينة الرعارع فألتقى رسولي و رسوله بالبشرى و ذلك من أعجب التاريخ سنة خمس و أربعين و خمس مائة. و اشتغلت الجاوش بالأكل و الشرب و دار السكر بينهم فصار مقدمهم ينادي أصحابه: كفوا عما انتم عليه مشغولون! فلم يسمع منه إلا من له لب و فهم و بقي الباقون غادون على حالهم إلى أن نزل صاحب الحصن التعكر مع جمع من الخلائق فركبوا السيف على الجاشو فلم يسلم منهم إلا كل طويل لعمر فكانت جماجم رءوسهم ملء تلك الأرض. فكان إذا أشكل على رجل من أهل عدن موضعا قال:

أبن من الجماجم؟ فعرف الموضع بالجماجم و المعنى بالجماجم رؤوس الجاشو. فلما انتصرت لبنو زريع هذا النصر نزلوا من الحصن و سكنوا الوادي و بنوا الدور الملاح و هم أول من بنى الدور الحجر و الجص بعدن، و كان يجلب الحجر إلى عدن من أعمال ايين لأجل العمارة. و لم يظهر لأهل عدن المقلع إلا أبو الحسن علي بن الضحاك الكوفي فلما أنّ سكن عدن اشترى عبيدا زنوجا يقطعون الحجر من جبال عدن و كانت الجوار تنقله على أعناقها. فمن حينئذ قطعوا الحجر بها و صارت مقالع يعرف كل مقلع بصاحبه: مقلع علي الأنكي و يوسف الأردبلي و مقلع رشى النجار و مقلع إسماعيل السلامي و مقلع حميد أبن حماسة و مقلع عبد الواحد بن ميمون و مقلع أبي الحسن الدوري و تملكوها إلى أن صارت لهم ملكا و مستغلات.

فصل

و لّما قبض شمس الدولة نوران شاه بن أيوب بن شاذي علي عبد النبي بن علي بن المهدي و هو آخر من تولى من العرب أرض الخصيب و جاء به مسلسلا إلى عدن و قبض على ياسر بن بلال بن جرير المحمدي مولى الداعي محمد أبن أبي السعود بن زريع و هو آخر من تولى من الدعاة اقعد كل واحد منهم في خيمة و حده. فالتفت عبد النبي فوجد ياسر بن بلال يسارقه بالنظر فقال: يا عبد السوء ما تنظر إلى أسد مقيد بقيد من حديد و مسلسل بسلاسل حديد و كان أبناء زريع يودون الخراج إلى الخلفاء الفاطميين و هو لأجل المذهب لأن القوم كانوا إسماعيلية و كل من تولى بأرض اليمن من بني زريع يسمى الداعي أي يدعو الخلق إلى المذهب. و الملاحدة الذين هم ملوك كرد كوء و الموت و هما حصينين على جبل علي مدور لهم أي للملاحدة يأخذون الخراج من جبل السماق الذي لهم بأعمال الشام و من القرامطة الذين بالسند و من التورسنا الذين هم بأعمال نجران و إنّ كانوا كفارا فهم على عقيدة واحدة. و بعدهم ملكوا الغز البلاد و بنوا المنظر على جبل خقات و بعد رجوع شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن إلى مصر، و سلم عدن إلى فخر الدين أبو عثمان عمر بن عثمان بن علي الزنجبيلي التكريتي.

ذكر بناء سور عدن

حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى قال: أرسى مركب من المغرب إلى عدن في الليل فنزل الناخوذة من المركب فدار عدن فإذا هو بدار عالية و به شمع يقد و عود يبخر فدق الباب فنزل الخادم ففتح له و قال له: هل لك من حاجة؟ قال التاجر: نعم. فأستأذن الخادم له فقال له صاحب الدار يصعد فصعد فسلم

كل على صاحبه من غير معرفة و جرى الحديث فقال الناخوذة : إني قدمت الليلة من المغرب و أريد من إنعام المولى أن أخفي عنده بعض التحف. قال: و لم؟ قال: خوفا من الداعي. و قال له: أقبل و لا تخف من الظالمين انقل جميع ما معك إلى الدار الفلانية! فنزل التاجر فصارت البحارون ينقلون المتعاع من المركب إلى الصناديق إلى الدار إلى أن يخلوا ثلثي ما في المركب. فلما أصبح الناخوذة وجد صاحبه البارحة الداعي بعينه و قال في نفسه: خفت من المطر وقعت تحت الميزاب! و تشوش خاطره و أسود ناظره. فانقذ الداعي إليه و قال له: أنا صاحبك البارحة و أنا الداعي مالك عدن اليوم طيب قلبك و اشرح صدرك! عشور مركبك هبة مني إليك مع الدار التي نزلت فيها و هذه ألف دينار تنفقها ما دمت في بلادنا و حرام عليّ اخذ شيء منك لا على وجه الهبة و لا على وجه البيع و الشراء. فقال له الناخوذة: و على ما هذا كله؟ قال: لدخولك علينا البارحة مترلنا في نصف الليل. وأمر أن يمد سور من الحصن الأخضر إلى جبل حقات فادير سور ضعيف و أرتدم بعضه على بعض و هتدم لدوام الموج عليه فلما خرب ادير عليه سور ثاني من القصب شبك. و بقي على حاله إلى أن بناه أبو عثمان عمر بن عثمان بن علي الزنجبيلي التكريتي دائرا على جبل المنظر إلى آخر جبل العر و ركب عليه باب حقات، و أدار سورا ثانيا على الجبل الأخضر و حده من الحصن الأخضر إلى التعكر على رؤوس الجبال، و أدار سورا على الساحل من الصناعة إلى جبل حقات. و ركب عليه ستة أبواب: باب الصناعة، و باب حومة، و باب السكة، و هما بابان يخرج منهما السيل إذا نزل الغيث بعدن، و باب الفرضة و منه تدخل البضائع و تخرج، و باب مشرف لا يزال مفتوحا للدخل و الخرج، و باب حيق لا يزال مغلقا، و باب البر قد تقدم ذكره. و بنى سورها بالحجر و الجص و بنى الفرضة و جعل لها بابين.

فصل

قال أبن المجاور: و خروج الإنسان من البحر كخروجه من القبر و الفرضة كالمحشر فيه المناقشة و المحاسبة و الوزن و العدد، فان كان رابحا طاب قلبه و إنّ كان خاسرا اغتم فان سافر في البر فهو من أهل ذات اليمن و إنّ رجع في البحر فهو من أهل ذات الشمال. فإذا كان هذا حال المخلوق في عالم الكون و الفساد مع مخلوق كذا فكيف حال المخلوق بين يدي الخالق غدا في هول العرض الأكبر اللهم لا تناقشنا يا كريم! و بنى أبن الزنجبيلي قيصارية العتيقة و الأسواق و الدكاكين و دور الحجر و رجعت عدن في زمانه. فلما دخل سيف الإسلام إلى عدن أوقف أبن الزنجبيلي جميع الأملاك على مكة سنة خمس و سبعين و خمسمائه. و بنى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بنيا جميعها دكاكين بالباب و القفل للعطارين قيصارية جديدة، ثم بناها المعتمد رضي الدين محمد بن علي التكريتي على اسم الملك المسعود يوسف بن

محمد بن أبي بكر. و كثر الخلق بها فبنوا الدور و الأملاك و توطن بها جماعة عرب من كل فج عميق. و بنا المعتمد محمد بن علي حمام حسين و حفرت الناس بها الآبار و بنوا بها المساجد و أقاموا المنابر و رجعت طيبة. و الأصح إنما عمرت إلا بعد خراب فرضة أبين و هرم. و انتقلوا التجار من هاتين المدينتين و سكنوا قلهات و مقدشوه فعمرت الثلاث المدن حينئذ و الله اعلم.

صفة عدن و ذكرها

بناء البلد في وادي البحر مستدير حوله هواء كرب و لكنه يقطع خل الخمر في مدة عشرة أيام و ماؤها من الآبار و شيء يجلب من مسيرة فرسخين و الله اعلم.

ذكر الآبار العذبة

داخل عدن بئر حلقم عود السلطاني، و بئر علي بن أبي البركات أبن الكاتب قديمة، و بئر أحمد بن المسيب، و بئر أبن أبي الغارات قديمة عند باب عدن، و بئر المقدم قديمة، و ثلاثة آبار لداود بن مضمون اليهودي و ثلثه آبار للشيخ عمر بن الحسين، و بئر لعلي بن الحسين الأزرق، و بئر جعفر قديمة طولها أربعون ذراعا، و بئر زعفران اشتريت بمدته و أوقفت على المسلمين.

فصل

حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى قال: أنه كان ينقل ماء بئر زعفران إلى سائر بلاد اليمن، قال لأن سيف الدين أتابك سنقر مولى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين شرب عند المعتمد محمد بن علي التكريتي نبيذا أعجبه طعمه فقال له: مم عملت هذا النبيذ؟ قال: من ماء زعفران. إذا افلت في هذا الماء داذي و ترك في الشمس يرجع نبيذا كما و لا يحتاج إلى عسل و لا إلى شيء أي وضعه، فمن الحين كان ينقل له هذا الماء إلى الجند و تعز و صنعاء و زبيد يعملون منه نبيذا و الأصح ماء الترب. و يقال إنّه في الأصل كان عذبا فراتاً و الآن قد علته ملوحة بعض الشيء من سوء أفعال الخلق. و بئر السلامي بئر حفرها الشيخ إسماعيل بن عبد الرحمن السلامي، و بئر روح قديمة، و بئر عود قديمة، و بئر أبن الذويب صهر الشيخ معمر بن جريج، و بئر الحمام حفرها محمد بن علي التكريتي، و بئر الحمام الثانية قديمة، وبئر مور قديمة، و بئر جلاد قديمة، الخضامي قديمة.

فصل

حدثني محمد بن زنكل بن الحسن الكرماني عن رجل من أهل عدن قال: حدثني عبد الله بن محمد الإسحاقي الداعي إنّ بداخل عدن مائة و ثمانون بئرا حلوة و لكنها مانعة و الله اعلم.

ذكر الآبار المالحة بعدن

بئر وضاح قديمة، و بئر ثانية إلى جنبها، و بئرين عند مرابط الخيل، و بئر أم حسن قديمة، و بئر قندلة على طريق الباب، و بئر سنبل قرب الحمام، و بئر سالم، و بئر حندود، و بئر فرج، و بئر الزنوج، و بئر الأفيلة و حفرت سنة عشرين و ستمائة، و بئر ريش السوابي، و بئر في قرب دار القطيعي السلاطة، و بئر الشريعة.

ذكر آبار ماؤها بحر عدن

بئر في حافة الدياكالة، و بئر عند باب مكسور، و ثلاثة آبار للبرابر، و بئر عند الجامع، و بئر عند مسجد آبان، و بئر مسجد المالكية، و بئر حبس القاضي، و بئر أبو نعمة، و بئر الجماجم، و بئر الصناعنة، و بئر سوق الخزف، و ثلاثة آبار عند بيت أبن فلان، و بئر سنبل، و بئرين عند مسجد النبي، و بئر الأديب ظفر، و بئر الحقات، و بئري حساس، و بئر الجرائجي. و الصهريج عمارة الفرس عند بئر زعفران، و الثاني عمارة بني زريع على طريق الزعفران أيمن الدرب في لحف جبل الأحمر، إذا حصل المطر تقلب السيل إليه يومين و يضمن كل عام بسبعمائة دينار. قال أبن المجاور: و ضمن بعضهم هذا في منتصف ربيع الآخر سنة أثنين و عشرين و ستمائة بألف و ثلاثمائة دينار. فقصصت هذه الحكاية على الكرماني الحفار فقال: يمكن أن تكون مزورة. قلت: الدليل عليه أن الغيم و الشمس لا يزالا يعلوانه و كلما تقصره الشمس يحلو. قال: أليس إنّ الشمس تأخذ ما خف من المياه؟ قلت: فما أخف في المياه من الماء المالح و لا أثقل من الماء الحلو. قال: أريد على هذا برهان. قلت: لو لم يكن ماء البحر خفيفا لجاف و لو جاف لّما كان أحد يسلكه فمن خفته ثبت على حال واحد و الوجه الرابع. حدثني عبد الله بن مسلم ساكن المياه و عبد الله بن يزيد الحجازي و غزي بن أبي بكر و عمرو بن علي بن مقبل قالا جميعا: إنّ وراء جبل العر فضاء و عليه جبل دائر و البحر مستدير حول الجبل و في صدر الوادي أي في لحف الجبل يخرج منه عين ماء عذب يغلب إلى الوادي، و قد نبت على نداوة هذه العين شجر الآراك و التنضب و العشر و قد يرجع عقدة. قلت: فلما لا يستقي منها أهل عدن؟ قال: ليس إلى هذا السيل و لا عليه طريق الرجالة

تتعلق في لحف الجبل. قلت: و ما علمكم بهذا؟ قال: إنّ عاما من الأعوام خالفت عدن و غلقت أبوابها و نحن في المياه فهربنا بجمالنا إلى هذا الوادي. قال: فحينئذ حبر أبن المعلا و هذا هو الأصل في و سلم من ساعته.

ذكر الآبار الحلوة بظاهر عدن

بئر أحمد العشيري قديمة طيبة الماء، بئر أحمد بن المسيب حفرت سنة أربع عشرة و ستمائة، و بئر العقلاني حفرت سنة خمس عشرة و ستمائة، و بئر خيط عتيقة. و بئر عقيب و تسما بئر الكلاب، و يقال إنّ الكلاب نهشت الأرض في هذا الموضع فحفر عقيب ذلك في ذلك المكان بئر عرفت البئر ببئر الكلاب و جدد عمارتها أحمد العشيري سنة أثنتين و ستمائة، و بئر الجديدة حفرت سنة إحدى و عشرين و ستمائة، و بئر السلامي حفرت سنة سبع عشرة و ستمائة، و الآبار التي بطريق اللخبة آبار اللخبة بئر السماكين على الطريق في قرب المسجد حفرت سنة ست عشرة و ستمائة، و بئر الموحدين في أول شط اللخبة، و بئر أصحاب العمارة حفرت سنة أربع عشرة و ستمائة لأجل ضرب اللبن، و بئر الشيخ علي بن عبيد في وسط اللخبة حفرت سنة عشر و ستمائة، و بئر السعفة حفرت على طريق المفاليس قديمة و لم يستق منها إلا إذا علا الماء بعدن، و بئر العماد على طريق ابين قديمة يستقى منها أيام الموسم.

و غالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكندرية و مصر و الريف و العجم و الفرس و حضارم و مقاديشة و جبالبة و أهل ذبحان و زياليغ و باب و حبوش، و قد التأم أليها من كل بقعة و من كل أرض و تمولوا فصاروا أصحاب خير و نعم. و غالب أهلها حبوش و برابر. و لم يكن في سائر الربع المسكون و البحر المعمور أعجب من نساء البرابر و لا اوقح منهن و الله اعلم.

القول على وقاحة نساء البرابر

إذا تخاصم بعض نساء البرابر مع أخرى تخلع ما عليها من ثياب و تلطم صدرها و تصفق و تقفز و تسلق عيناها في وجه صاحبتها و تغدو كل واحدة منها تارة تنام و تارة تنحني و تارة تضحك و تبكي و تارة تعبس و تارة تلطم. و تنتف شعرها تذره في الهوا و تدخل إصبعها في رحمها و تلعق صاحبتها من رحمها أو تدس إصبعها في ثقبها و تشم صاحبتها الخراء، و أيش ما عملت إحداهن عملت الأخرى مثل الأولى فما رأيت أوقح و لا أوسخ و لا أقل حياء من البرابر لا جزاهم الله عن الإسلام خيرا و قال النبي " : الحياء من الإيمان. و قال حكيم: إذا لم تستحي فأصنع ما شئت! و قال بعض العجم في هذا المعنى شعرا:

جه نيكو كفت خسروبا سباه جو شرمت نيست روآن كن كه خواهي

فصل

نساء بين الصورين بالموصل و نساء النفّاطات ببغداد إذا خاصمت إحداهن الأخرى تصعد السطح عريانة و تقف على الطف و تضرب يدها على رحمها و تقول: إضربي من حرى لبن و من شعرتي تبن! و نساء يتربون في الخانات يسمونهم العجم كام سرواني إذا خاصمت إحداهن الأخرى تضرب إصبعها في جعصها و تشم صاحبتها. و نساء السناكمة في اليمن إذا خاصمت إحداهن الأخرى ترفع إزرتها و تقف على أربع و تقول للتي تقابلها: بالله ياستي ابصري الهلال قد طلع و الخزا قد انقطع! و نساء سيوستان تخلع ثيابها و تترل السيل عريانة تسبح. و نساء القرامطة إذا قعدت لقضاء حاجة تغطي وجهها و تكشف قماشها كله. و نساء النهروان تمدد قائمة قدام المزين و يحلق لها شعرتها، و إذا أرادت أن يحلق لها شعر أستها يدس المزين في أستها أكرة صغيرة فيها خيط ممدود و تضم المرأة شعرتها على الأكرة و يمد المزين الخيط بيده اليسرى فحينئذ تخرج شعرتها فيحلق الشعر بيده اليمنى و كذلك الرجال. و نساء الروم يدخلن الحمام مع الرجال فتدخل المرأة مع زوجها عريانة. و السماكات في الديبول فإذا تخاصمت امرأة مع أخرى تدس السمك في رحمها، و النساء اللاتي يبيعون الخضر تدس في رحمها فجلة. ملبوسهم الكتان و العمائم الملس، و إما العجم فتنعمم بذؤابة بر الذؤابة فتعززها في العمامة ثانية، و هكذا أصحاب الشيخ عدي بالموصل، و على كتف لك واحد منهم كرأى مصلى أو منديل مطرز. و قيل لرجل من أهلها: تعال معي إلى فلان! قال: أنا عريان قال: أليس ثيابك عليك؟ قال: صدقت و لكن ليس معي كرو. لبس نسائهم الحجل و هو الخلخال و الحراف و يسمى عند العجم مسحه و الدملج.

و انشد بعضهم في حلي أهل اليمن:

يا بدر تم طلعا و نور فجر سطعا
و يا قضيبا ناعما على كثيب مرعا
و بارقا من ثغر من بهواء قلبي لمعا
و يا غزالا مر بي عصرا يجر الخلعا
محجلا مدملجا محرفا مملجعا

مشيعا مظرفا مطوقا مقنعا

معبلا محجلا مكحلا مشرعا

منعما معطرا ملطفا مسرعا

ومادهم من الهند و السند و الحبشة و ديار مصر و مأكولهم الخبز و أدمهم السمك. غاية عمل نسائهم القفاع و رجالهم تبيع العطر و القنبار. و بناء دورهم مربعة كل دار وحدها طبقتين الأسفل منهما مخازن و الأعلى منهما مجالس، و بناؤهم بالحجر و الجص و الخشب و الملح و الجص

فصل

اختفت الكلاب فيها بالنهار و ذلك إنّ كلبا كلب فأكل بعض أولاد البرابر فاستغاثت المرأة البربرية إلى رضي الدين المعتمد محمد بن علي التكريتي فأمر المعتمد بقتل كل كلب في عدن فقتل في اليوم خمسة و عشرون كلبا و هرب الباقون إلى رؤوس الجبال و بطون الأودية. و سكنوا طول النهار و يخرجون في الليل يدورون البلد بالليل، و ذلك في سنة أثنين و تسعين و خمسمائة يأكلون ما يجدونه مرميا في السناديس لان سناديس القوم على وجه الأرض كما قال أبن عباد الرومي:

بريين القطاط بغير نفع ليأكلن الذي يرمين سقطا

فبهن قبور أولاد الزواني إذا اسقطتهن لثمن قطا

و لم يظهر بمكة كلب بالنهار بل يأوون في الجبال، و تأوى الكلاب في الكوفة بالنخيل و في مقدشوه بالمقابر، و أما كلاب عدن فنعوذ بالله من عضهم لأنهم رجعوا سما ناقعا لقلة شربهم الماء و إذا حصل لهم ما لا يكون مالحا و هو اشد من كل شديد.

ذكر وصول المراكب إلى عدن

إذا وصل مركب إلى عدن و أبصره الناظرون و الناطور على جبل نادى بأعلى صوته: هيريا و هو آخر جبل الأخضر الذي بني عليه الحصن الأخضر و يسمى في الأصل سرسيه. و ما يقدر الناطور ينظر إلا عند طلوع الشمس و غروبها لأن في ذلك الوقت يقع شعاع الشمس على وجه البحر يبان عن بعد مسافة ما كان، و يكون الناطور قد عرض عودا قدامه فإذا تخايل له شيء في البحر قاس ذلك الشيء على العود فأن كان طيرا أو غيره زال يمينا أو شمالا أو يرتفع أو يرتفع فيعلم إنّه لا شيء، و إنّ كان الخيال مستقيما على في العود ثبت عنده إنّه مركب أشار إلى صاحبه و هو ينادي: ياهيريا و أشار صاحبه إلى رفيقه و أشار

الرفيق جراب بأعلام المركب فحينئذ يوصل الجراب خبر المراكب إلى و إلى البلد. فإذا خرج من عند الوالي اعلم المشايخ بالفرضة و بعدهم ينادي بأعلى صوته من على ذروة الجبل: هيريا هيريا هيريا! فإذا سمع عوام الخلق الصوت ركب كل جبل و صعد سطحا يشرف يمينا و شمالا فان كان ما ذكره صحيحا يعطي له من كل مركب دينار ملكي و ذلك من الفرضة و إن كان كاذبا يضرب عشرة عصى. فإذا قرب المركب ركب المبشرون الصناييق للقاء المركب فإذا قربوا من المركب صعدوا و سلموا إلى الناخوذة و يسألونه من أين وصل و يسألهم الناخوذة عن البلد و من الوالي و سعر البضائع. و كل من يكون له في البلد أهل أو معاريف من أهل المراكب إما أن يهنونه أو يعزونه له و عليه. و يقدم شيء نحو نفوة و يكتب اسم الناخوذة و أسماء التجار و يكون الكراني قد كتب جميع ما في بطن المركب من متاع و قماش فيسلم إليهم الرقعة. و يترل الميشرون في الصناديق راجعين إلى البلد كلهم رأسا واحدا إلى الوالي و يعطونه رقعة الكراني مع ما كتبوه من أسماء التجار و يحدثونه بحديث المركب و من أين وصل و ما فيه من البضائع و يخرجوا من عنده يدورون في البلد و يبشرون أهل من وصل بجمع الشمل و يأخذ كل بشارته. فإذا وصل المركب المرسى و أرسى تقدم إليهم نائب السلطان و يصعد المفتش رجلا بعد رجل و يصل التفتيش إلى العمامة و الشعر و الكمين و حزة السراويل و تحت الأباط و يضرب بيده على حجرة الإنسان و يدخل يده بين اليتيه و يشتمه على قدر المجهود. و كذلك عجوز تفتيش النساء تقرب بيدها في أعجازهم و فروجهن. فإذا نزلت التجار إلى البلد نزلوا بدبشهم من الغد، و بعد ثلثة أيام تترل الأقمشة و البضائع إلى الفرضة تحل شدة شدةً و تعد ثوباً ثوباً. و إن كان من بضائع البهار يوزن بالقبان و يضرب في جميع ما اشكل عليهم الشيخ لئلا يبقى شيء و قد عاهدوا الله عز و جل و أن يبذلوا المجهود قدام المشايخ. قال أبن المجاور: و حينئذ يظهر على التاجر الحراف و يقتله الحزن و يبقى في وادي الدبور بما يعملون معه من الفعل الذي يطير منه البركة و السعادة.

ذكر العشور

ثم ضرائب و قوانين استجدت من أيام دولة بني زريع و يقال أوّل من استجده فلان اليهودي، و قيل يسمى خلف اليهودي النهاوندي، فبقيت الخلق تجري على قواعدهم و ضرائبهم إلى يوم الدين. يؤخذ في بهار الفلفل ثمانية دنانير عشور و دينار شواني و خروجه على الفرضة دينارين، و على قطعة النبل أربعة دنانير شواني و خروجه من الفرضة ربع، و على بهار الانكزة و هو الحلتيت ثمانية دنانير، و على بهار قشر المحلب ثلثة دنانير و نصف، و على بهار الطباشير أحد و عشرين دينار إلا ثلث و دينار شواني، و على

عود الدفواء نصف المبلغ، و على فراسلة الكافور خمسة و عشرين ديناراً و نصف و سدس، و على بهار الهيل سبعة دنانير، و على فراسلة القرنفل عشرة دنانير و شواني دينار، و على الفراسلة عشرة امنان عنها عشرون رطلا، و على فراسلة الزعفران ثلاثة دنانير و ثلث، و على بهار الكتان سبعة دنانير و نصف. و إذا ابتاع مركب يؤخذ من البائع من المائة عشرة دنانير، و يؤخذ من الحديد عشور النصف استجد في أيام دولة سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أوّل من أخذ منه من أبي الحسن البغدادي و يقال من فلان الفرواني سنة ثمان و تسعين و خمسمائة. و من اللالك الربع و يقال الثلث و دينارين استظهارا و من بهار الفوة اثنا عشر دينارا استجد في أيام دولة الملك المعز إسماعيل بن طغتكين و كان عليه قبل دينارين و يقال ثلثه، و على بهار الحمر ثلاثة جوز، و على العشرة المقاطع دينارين و نصف، و على العشر العقدات نصف ربع جائز، و على الرأس الضأن ربع، و على الحصان إذا دخل البلد خمسين ديناراً استجد في دولة الملك الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب و يؤخذ في خروجه إلى البحر سبعين ديناراً، و على الرأس الرفيق دينارين و إذا خرج من الباب نصف دينار، و على العوبلي السندابوري ثمانية دنانير و دينار شواني، و يؤخذ في الخروج من الباب على العوبلي نصف دينار و هو لضامن دار النبيذ، و يؤخذ على شقق الحرير من عمل زبيد نصف دينار و جائز، و على الثوب الظفاري ربع و جائز، و على الشقة البيضاء ثمن، و على السوسى ثلث قراريط، و على فوط السوسى ربع و جائز، و على كورجة المحابس أربعة دنانير، و على كورجة الاحواك دينارين و نصف، و كذلك السباعي، و على كوجت الثياب الخام الهندي دينارين و نصف، و على سواسى الكتان الكبار جائزين و قيراط و على الصغير جائزين و فلسين، و على كل قفعة ذرة ثمن، و الله سبحانه و تعالى اعلم.

ذكر تخريج عشور الشواني

لم يكونوا ملوك بني زريع يعرفون الشواني و بقوا إلى أن دخل شمس الدول توران شاه بن أيوب اليمن و دخل معه شواني. فلما خرج ولي عثمان بن علي الزنجبلي التكريتي عدن و بقيت عنده الشواني إلى أن هرب دخل سيف الإسلام طغتكين بن أيوب اليمن، فأشار عليه بعض أرباب العقل فقال له: و بم تستحل اخذ العشور من التجار؟ قال: اجري على ما كانت عليه ملوك بني أيوب فيما تقدم من الأيام. فقال له: انهم كانوا يأخذون الناس بيد القوة و لكن خذ ذلك أنت على رأي تشكر به عند الخلق. قال: و ما هو؟ قال: انفذ بهذه الشواني إلى البحر يحموا التجار من السراق و تكون لهم بعض الشيء على السداد بدل ما هي بطالة تقرعها الشموس. قال: و الله لقد جئت برأي حسن! فأخرج الشواني إلى الهند فكانت الشواني تقف على رأس المنادخ يحفظون مراكب التجار من سطوة السراق فبقوا على حالهم إلى سنة ثلث عشرة و

ستمائة. و دخل بعض الأكابر و قال: خلد الله ملك مولانا السلطان إنّه يخرج من خزانة المولى كل عام لأجل الشواني خمسين ستين ألف دينار بطال فان اخذ المولى هذا القدر من التجار لم يضرهم ذلك. قال: فكيف العمل؟ قال: كل ما اخذ من العشور ألف دينار يؤخذ منه الشواني مائة دينار فهو يجتمع للمولى و لم يبن التاجر. و أسس ذلك في أيام دولة الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب و بقي إلى سنة خمس و عشرين و ستمائة. كتب الشريف إلى الملك المسعود: إن مال الشواني يحصل إن سافرت الشواني و إن لم تسافر. فكتب الملك المسعود و قال: إن كان الأمر على ما ذكره مستقيم أبطلوه! فبطل الشواني و صار عشوره يؤخذ إلى يوم القيمة مع الشواني و الله اعلم.

الذي لم يؤخذ عليه عشور

الواصل من ديار مصر: الحنط و الدقيق و السكر و الأرز و الصابون الرقي و الأشنان و القطارة و زيت الزيتون و زيت الحار و الزيتون المملح و كل ما يتعلق بالنقل إذا كان قليلا و العسل و النحل إذا كان قليلا. و الذي يجلب من الهند: كل ما يراسل في البحر الهليلج المربى و الأكرار و المخاد و المساور و الأنطاع و الأرز و الكجري و هو الأرز و الماش مخلوط و السمسم و الصابون و من البضائع المغر الكلاهي و النشم و حطب القرنفل و ثياب العرانية تعمل في بدقلى و من معاملة الشجر التمر المقلف و هو الذي استخرج نواه، و السمك المملح إن كان برأس اخذ عليه و إن كان بلا رأس لم يؤخذ عليه. و نعال الهندية إن كان بشراك اخذ عليه و إن كان بلا شراك فليس عليه. و التيس و المعز ليس عليه. و كان الموجب إنّه قدم سفارة الحبشة بغنم عدوها فلما اشتغل العدادون بالعدد قام تيس يشق الجمع و جاء و قعد وراء ظهر ياسر بن بلال بن جرير المحمدي و الأصح وراء الداعي عمران بن سبأ. فلما فرغوا من العدد أرادوا أن يعدوا التيس مع الغنم فقال الداعي: معاذ الله أن نأخذ عليه شيءً لأنه قد استجارني! فأزال عنه العشور. و الأصح إنّه ابصر لحيته فقال: حاشا أن يوزن على لحيته عشور! و الخرز الذي يجلب من الديبول و غلمان حودر يجلبون من الهند.

ذكر ما استجد في عدن

من الوكالة و دار الزكوة. لمّا كان بتاريخ جمادي الأولى سنة أربع و عشرين و الأصح سنة خمس و عشرين و ستمائة أسس في عدن دار و كالة و على كل بضاعة لم يؤخذ عليها عشور يؤخذ منها زكوة

فصار الآن يؤخذ خمس عشورات في مرة واحدة: عشور قديم و هو مال الفرضة و عشور الشواني و دار الوكالة من الدينار قيراط و دار الزكوة و الدلالة.

فصل

قدم الناخوذة عثمان بن عمر الآمدي من المصر وجد معه منين عود دون الله عز و جل أخذوه منه. فلما جاء وقت المحاسبة قوم المن العود بستة دنانير خرج عشوره دينار و نصف و خرج شواني نصف و ربع و قوم في دار الوكالة بخمس و عشرين دينارا صح الوكالة ثمانية دنانير و دناقين و خرج زكوة دينار و ربع و خرج دلالة نصف دينار صح المبلغ خمس عشر دينار خرج منه ثمن العود ستة دنانير فضل عليه تسعة دنانير. حلف الناخوذة عثمان بن عمر الآمدي يمين بالله العظيم: إني لم ازن منه شيئاً و لا فلساً واحداً! ما يكفي أنكم تأخذون مني منين عود بلا شيء و تطالبون بتسعة دنانير أخرى. و دخل الأمير ناصر الدين ناصر بن فاروت و جماعة في ذلك فقالوا لهم: إنّه رجل متردد إلى عدن و نحن نأخذ منه أضعاف ذلك. و دخل المتوسط بينهم حتى خرج رأس برأس. و ضمن كل ما في عدن ما خلا السمك و الماء لا غير و زيد في القبان سدس بهار عما كان في الأول. و غير جميع مكاييل اليمن و وضعوه على عيار زبدي الجند و غيروا الأوعاد كلها سنة خمس و عشرين و ستمائة. و الفرضة هي مع القوم بالأمانة و يقال إنّه وصل مركب وزن عشوره ثمانون ألف دينار. و كان يرسي في كل عام تحت جبل صيرة سبعين ثمانين مركب زائد ناقص.و كان يرفع من عدن في كل عام أربع خزائن إلى حصن تعز: خزانة قدوم المراكب من الهند و خزانة دخول القوة إلى عدن و خزانة خروج الخيل من عدن إلى الهند و خزانة سفر المراكب إلى الهند. و كل خزانة من هذه الخزائن يكون مبلغها مائة و خمسون ألف دينار زائد ناقص و انقطع ذلك في زماننا هذا سنة خمس و عشرين و ستمائة. و كان معاملة عدن في أيام بني زريع ذهب السنعاني علي عيار البسطامي و اقل منه. و نقد البلد ذهب ملكي يسوى بالدينار المصري أربعة دنانير و نصف ملكي و يحسب الدينار أربعة أرباع كل ربع ثلاثة جوز كل جائز ثمانية فلوس كل فلس بيضتين. و يقال أوّل من ضرب الدينار الملكي أحمد بن علي الصليحي بصنعاء و يباع الروسى بالقصبة طول القصبة أربعة اذرع بالحديد و يباع الألواح الساج بالذراع الحديد. و كل ما يباع في المنادى خرج و أمانة و من زاد ركب، و كذلك العبيد و الجوار.

صفة بيع الجوار

تبخر الجارية و تطيب و تعدل و يشد وسطها بمئزر و يأخذ المنادى بيدها و يدور بها في السوق و ينادي عليها و يحضر التجار الفجار يقلبون يدها و رجلها و ساقها و أفخاذها و سرتها و صدرها و نهدها. و يقلب ظهرها و يشبر عجزها و يقلب لسانها و أسنانها و شعرها و يبذل المجهود. و إنّ كنا عليها ثياب خلعها و قلب و ابصر و في أخر الأمر يقلب فرجها و جحرها معاينة من غير ستر و لا حجاب. فإذا قلب و رضى و اشترى الجارية تبقى عنده مدة عشرة أيام زائد و ناقص فإذا رعى و شبع و ملّ و تعب و قضى و طرء و انقطع وطره يقول زيد المشترى لعمرو البائع: بسم الله يا خواجا بيني و بينك شرع محمد بن عبد الله فيحضرى عند الحاكم فيدعى عليه العيب.

ذكر البيع و العيب

حدثني الحسن بن علي حزور الفيروزكوهي قال: إني بعت جارية هندية بعدن على رجل أسكندراني بقيت عنده مدة سبعة أيام فلما شبع استعيب فيها و أحضرني إلى الحاكم و ادعى علي بالعيب. فقال الحاكم: و ما عيبها؟ قال: هي واسعة الرحم رهلة الفرج. فقلت له: إذا كان ايرك صغيرا و أنت تتباخل على الجارية بشرى الماء فما يصنع رحمها السمين الأبيض المنتوف الطيب. فلما سمعها الحاكم قال لمن حضر: أخرجوهم! فخرجنا و رحت إلى شغلي و بقيت الجارية في كيسة و لم ادر ما فعل الدهر بهما. و إذا اشترى زيد ثوباً و استغلاه فرق طرفه و رده على صاحبه لاستظهار عيبه و يأخذ الدلال دلالته عند القاضي عنف و كره و يحكم له الحاكم على كل دينارين فلسين دلالة فان باع على دكانك له من كل دينار فلس و إنّ باع جملة فعلى المائة دينار و لهم، في كل قطعة نيل ربع. و لو أراد بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لّما قدر إنّ لم يكن معة خط جواز و ضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت مكن مال أو عشور و يكتب في الرقعة علامة الوالي و يخرج بعد ذلك و إنّ لم يكن له ضامن و إلا اخذ منادي ينادي عليه في الأسواق: إنّ فلان بن فلان خارج من الباب فكل من له عليه شيء يطالبه! فان ظهر عليه شيء كفى الله المؤمنين القتال و إنّ لم يظهر عليه شيء خرج إلى أي موضع شاء كما قيل في المثل: المفلس في أمان الله، و كما قال:

قليل الهم لا ولد يموت — و لا أمر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا و أفاد علما — فغايته التفرد و السكوت

ذكر خراب عدن

يفيض البحر فيغرق جميع البلد و ترجع المدينة لجة من لجج البحر. كما ذكر في مبتدأ الخلق إنّه يجوز عليها المراكب مقلعة خاطفة يقول أهل المراكب فيما بينهم: أنا سمعنا في قديم الأيام إنّه كان في هذا الغب بلد عظيم عامر لأهله مقيم سهل سليم و مقام كريم. فيقول أحدهم: ما تسمى؟ فيقول له: شذ عني اسمه. و بعد خرابها يعمر مرسى غلافقه و الأصح الاهواب إلى أن يرجع احسن من عدن. حدثني أحمد بن عبد الله بن علي بن الحمامي الواسطي قال: ما بقي من عمارة عدن إلا اليسير. قلت: و لم؟ قال: لأني قرأت في بعض الكتب: إلا إذا اتصلت عمارتها إلى بابها. قال أبن المجاور: و قد اتصل إلى الباب بعض العمارات. و قال آخرون: عدن تخرب سنة سبع و عشرين و ستمائة. و دل على تصديق المقالة دخول نور الدين عمر بن علي بن الرسول إلى عدن يوم الأربعاء السادس و العشرين من شهر رجب سنة أربع و عشرين و ستمائة. و في يوم الاثنين الثاني من شعبان طرح الفوة على كل من كان في عدن من غريب و قريب و قوي و ضعيف و رجل و امرأة حرة و مفسودة على سعر البهار مائتي دينار و ثمانين ملكي و ضرب الخلق بالخشب و كانت الأيام شبه أيام المحشر كل منهم محنشر ينادي: أين المفر؟ فلما كان سنة خمس و عشرين و ستمائة أخذ جميع فلفل التجار و جميع الخف و النحاس و البرهار حسب الفلفل البهار بأربعين ديناراً و طرحه على أهل الكارم بستين دينار و اخذ الصقر من أهل الكارم على سعر البهار بستين ديناراً طرحه على أصحاب الخف بثمانين دينارا و أعطى أصحاب الفلفل الفوة على سعر البهار بأربعة و ثمانين ديناراً، و يأخذ البهار بهار و ربع و إذا أعطى البهار بهار إلى ربع. و يخرج بعد ذلك من هذه البضائع الواصلة العشور و الشواني و دار الوكالة و دار الزكوة و الدلالة يفضل مع التاجر لاش في لاش. و يحسب التاجر جميع حسابه بحديده و الأرض. و أخذ جميع عطب من وصل من الهند مع التجار مستهلك لا يبيع و لا يشتري. و ضمن القبان السنة بعشرين ألف دينار، و السليط على كل بهار يصل خمس دنانير، و سوق الخضرة و الجوار و الرطب و اللحم و جميع الدواب بأحد عشر ألف دينار. و لم يبق شيء يدور عليه اسم و حرف إلا و قد رجع فيه ضمان ما خلا الماء و السمك.

من عدن إلى المفاليس

من عدن إلى المياه ربع فرسخ. و إلى المزف فرسخ و طوله ثلاثمائة ذراع و ستين خطوة بناه شداد بن عاد لّما بنى عدن، و يقال بناه العجم لّما أطلقوا البحر على المياه حتى غرق ما حول عدن من الأراضي فجدد العمارة الشيخ عبد الله أبن يوسف بن محمد المسلماني العطار و أوقف على عمارته مستغلات بعدن. و إلى المملاح ربع فرسخ و هو موضع يجمد فيه الملح و كان مخلص رجع الآن عليه ضمان، و يقال إنّ

بعضه صار للسلطان لان اتابك سيف الدين سنقر اشترى نصفه بألف دينار و إلى المجد ولى ربع فرسخ و إلى اللخبة ربع فرسخ و منها ينقل الآجر و الزجاج إلى عدن، بناه أبو عمرو عثمان بن علي الزنجبيلي. و إلى الحجر العر فرسخ و هو مقدار مائة حصاة ممدودة على ايمن الدرب. و إلى بئر الرجع فرسخين و يعبر برمل يسمى المغاوى. و أما وادي الرجاء فوادي نزه و يسمى عند العرب الحردة بين أشجار أثل و أراك و قد بني على البئر مسجد حسن. حدثني الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن الحسين المحفني قال: إنّ الأديب ظفر بن محمد بن ظفر بنى المسجد و البئر في الرجاع و يقول أهل البلاد و هم العقارب: ما يتفق ماء الحدرة و عيش أي لم يتفق أكل خبز و شرب ماء بئر الرجاع لان هذا الماء يغني عن أكل العيش. و إلى النويعم فرسخين و النويعم وادي نزه و نخيل و شجر سدر. حدثني بعض أهلها إنّهما واديان أحدهما النويعم و الثاني وادي مرحب و هما آخر الوطاءة و أوّل الجبال. و إلى المفاليس فرسخين قصبة مختصرة بنيت في شعب جبل مثلث. و بنى سيف الإسلام على ذروة هذا الجبل حصن مختصر يسمى المصانع يقال إنّه قديم البناء و هو ذو إحكام و مكنة و ليس يكون لأهلها بيع و لا شراء إلا أيام الوعد لا غيرا.

صفة بناء الجب

عرب النهائم من موزع إلى أعمال أبين مع جميع العقارب و هم عرب هذه البلاد يسمون بنو الحرث يدعون المحبة لله و في الله. و إذا وجد أحدهم غزالاً ميتة أخذوها و غسلوها و كفنوها و دفنوها و بقي للغزال غزالاً في جميع القبائل مدة سبعة أيام مشققين الجيوب مقطعين الشعور يذرون التراب على المفارق فقيل لهم فيما هم فيه فقالوا: نحن نمشي على الأصل و نقول بترك الفرع. كما قال قيس بن الملوح:

فعيناك عيناها و جيدك جيدها و لكن عظم الساق منك دقيق

و لم يأكل أحد من أهل هذه القبيلة خبزا مقابل امرأة و لا يشرب و لو مات جوعا و ظماً. و من هذا الحد يخلى الجمال و يركب الحمير إلى قدام. و ما اشتق اسم المفاليس إلا من الإفلاس كما قال أبو نؤاس:

أريد قطعة قرطاس فتعوزني و جل صحبي أصحاب القراطيس

تحاهم الله من ود و معرفة إنّ المياسير منهم كالمفاليس

من المفاليس إلى تعز

من المفاليس إلى نقيل الحمر فرسخ و نصف، بناه الشيخ أحمد بن الجنيد بن بطال حدثني يحيى بن عبد الرحمن الزراد قال: إنما بناه محمد بن سليمان أبن بطال. و يقال إنّه ثلاثمائة و ستون ملوى أي فركة ذبح على كل ملوى رأس بقر فدية و ستة أحمال حنطة و خرج ثلاثمائة دينار ، و يقال إنّه خرج كل ملوى بألف دينار، و بنى على كل ملوى سقاية و مسجد. فلما أتمه طالبته زوجته بمهرها فقال لها: ما تريدين مني؟ قالت: أريد أن تعطيني ثواب عملك و أنت في حل من المهر، فأعطاها ثواب ما عمله. و تم ستة و عشرين و أربعمائة و يقال ستة و عشرين و خمس مائة و هو بناء عجيب حسن.

صفة الحجر الذي في النقيل

و في النقيل حجران فيهما على هيئة فرجي امرأتين. سألت المكارى عن حالهما فقال: إنما كانتا امرأتين مسختين حجرين إحداهما بانت في ضرس جبل و الثانية قطعة و فرشت على جملت بناء المدرج. و بين الحجر و الحجر مقدار عشر اذرع، يحيطان كل شهر و يقال كل حول. قال أبن المجاور و رأيت فيه شيئاً شبه الدم و لم يتحقق عندي إنّه دم أو غيره. حدثني أحمد بن المهنا الصفار الحلى ثم الفدسي قال: يمكن أن يكون ذلك الدم موميا بني آدم لان موميا بني آدم الأصل فيه هو الذي يعقد من الحجر و يسيل. و قال بعضهم: إنّه يشم من الحجر رائحة كريهة, شممت ذلك و وجدته بخلاف ما قالوا. و الحجرين هما على مائتين و ثلثي ملوى و هما على يمين الصاعد من المفاليس إلى الجوة و على يسار النازل إلى المفاليس قدره مائة و ثلثين ملوى. و علامته أن نبت على رأس الحجر الواحد شجرتان سلم فيصل فيئهما إلى الحجر الثاني الذي ادخل في جملة البناء. و بقي النفيل على حاله إلى أن دخل شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن فخرجت العرب بعض النقيل لئلا يعبره أحد من الغز. و بقى مهدوم إلى أن تمكن سيف الإسلام طغتكين بن أيوب من الملك و جدد عمارته من ماله و الأصح أنه أخذ أمر لعقب بانيه بالجلالة. و كان قبل أن يعمر الشيخ محمد بن سليمان بن بطال الركبي هذا النقيل طريق الحرز, و هو أن يخرج على لحج يدخل وادي و لا يزال يسير فيه إلى الجوة في شعاب و أودية و وطاءة قريب المسافة. و ما قطع الناس مسير طريق حرز إلا من شدة الخوف بها لأنّه لا يزال مسافر لحد رأس فلذلك سمى طريق حرز، و سنذكره في أعمال الجوة. و إلى اسفل النقيل فرسخين و به موضع منحدر يسمى المجرية، و فيه انشد بعضهم يقول:

قطعنا الحمراء و المجرية مع تلك الجبال و الأودية

و إلى الحنيش نصف فرسخ. و هما خطان أبيضان في لحف جبل مستقيمان، يقال انهما كانا حنشين ملتقيين فضربهما البرق فمسخوا خطين أبيضين. و إلى الحواض فرسخ، و طاءة ذات خوف شديد. و إلى الجوة نصف فرسخ، من أعمال الدملوة. و إلى الدملوة فرسخ و الله اعلم.

تم القسم الأول من تأريخ المستنصر و يليه القسم الثاني إن شاء الله تعالى

بناء حصن الدملوة

حدثني يحيى بن علي بن أحمد الرداد قال: إنّ النواب ظلموا امرأة بدوية صاحبة نعم و مواشي. فلما شاهدت المرأة اجتراء القوم في أخذ نعمها ساقت ما بقي معها من المواشي و صعدت الدملوة و سكنت المكان. فلما جاء وقت اخذ الراعي من المواشي أبت على أداء ما عليها من حق و باطل و لزمة مكانها. فلمال رأوا قوة بأسها مع شدة ناموسها صعد لها قوم فلم تمكنهم من الصعود و نزلوا حولها فحاصروها فلم يعمل فيها شيء. فلما سمع والي العهد خبر المرأة و تمنعها عن أداء ما عليها من الضرائب المعهودة و القوانين القديمة و رأوا قوة الموضع أنفذ لها ذمة لها و لمن معها و أن يزل عنها و عن مواشها الخراج و يطيب قليها. فنزلت المرأة فبنى الوالي على الموضع حصنا منيعا و هو بذاته قوي مكين سمى الدملوة لدوام مكث طالبيه تحته على أخذه. و انشد محمد بن زياد المازني يمدح أبا السعود بن زريع قال:

يا ناظري قلي تراه كما هوه إني لأحبسه تقمص لولوه

ما أن نظرت بزاخر في شامخ حتى رأيته جالسا في الدملوة

و لم يقدر أحد من العرب على اخذ إلا سيف الإسلام طغتكين بن أيوب بعد أن حاصرها ستة سنين، و آخر الأمر اشتراها من القائد كافور مولى الداعي بمائة ألف دينار على شرط أن يأخذ جميع ما فيه و يسلم له الحصن شبه جوف حمار، و هو من الحبشة. فلما استوفى المبلغ نزل بحرم الداعي و بجميع ما كان إلى العارة و ولي فيه المعلم أحمد الصلوي و جارية و يقال خادم حبشي. فركب في المركب و تعدى إلى أرض الحبشة و انفذ خاتمه إلى سيف الإسلام و أنفذه إلى المعلم أحمد الصلوي بتسليم الحصن. فقال أحمد الصلوي المعلم: لا سمع و لا طاعة لا لسيف الإسلام و لا للقائد كافور، و إما اليوم أنا ملك لتملكي هذا الحصن. فرد سيف الإسلام نزل على الحصن و حاصره ستة اشهر أخرى فلم يقدر على غرر المعلم. فلما انحصر اشترى الحصن من المعلم ثاني مرة بستين ألف دينار و ملك الحصن فهدمه و أعاد بناءه ثانية. و ركب عليه ستة أبواب و من جملتها باب الذراع و باب نبهان و باب الأسد و باب الغزال. و حفر فيها

ثلاث برك أحدها في الشمس على قلة الجبل و الاثنين الآخرين في الفيء و غرس فيها بستاناً حسناً و بنى ميدان و حصنها غاية التحصين. و آخر من اشتراها فارس من جزا زوجة أتابك سيف الدين سنقر بمبلغ عشرين ألف دينار بعد أن حاصرها عام تام في دولة الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر. فلما صار في حوزته و قبضته و أدار حول الجميع الحصن سوراً ثانياً لإحكام الحصن سنة أربع عشرة و ستمائة. و قد غرس سيف الإسلام تحت الحصن بستانا يسمى الجنان و يقال الجنات فيه من جميع الفواكه و يطلع فيها وزن كل أترنجة عشرة أمنان. راجع على طريق حرز. من الجوة إلى العيارين فرسخين. و إلى نقيل حرز فرسخ، و ما عرف بهذا الاسم إلا إنّه إذا جاز عليه أحد يحرز إنّ يؤخذ و هو تسهيل الملك. و إلى الماء الحار نصف فرسخ، و هو عين يخرج من معينه حار عرف الموضع به، و قد نبت على هذا الموضع جمل من شجر الاكاذي لله و في الله. و إلى الدعيس أربع فراسخ، و هو من معاملة لحج. و أما أعمال لحج فإنها معاملة طويلة و عريضة تصح مقدار عشرين فرسخاً و قرى كبار من جملتها الرعارع. و فيه يقول علي بن الحسين الأعرج:

خلت الرعراع من بني مسعود و تبدلت بعد القرود أسود

فقال له الداعي سبأ بن أبي السعود: بل تبدلت بعد الأسود أسود. و هو محمد أبن منيع بن مسعود بن مكارم و كان صاحب لحج. فتغلب عليها سبأ بن أبي السعود بن زريع بن العباس بن المكرم. وقور الدعيسي لم يدخلها ناموس. و يرفع منه في كل سنه ألف دينار ملكي إلى بيت المال. و استولى عليها ناصر الدين محمد بن عمر بن المهدي الرازي فأخربها و نهب أهلها و أحرقها في غزة شوال سنة أربع و عشرين و ستمائة، و أنتقل جميع أهلها إلى عدن و تفرقت بدوها في تهائم اليمن. و إلى عدن أربع فراسخ.

من الجوة إلى تعز

إلى وادي ورزان فرسخ، و هو نهر يفرق بين ثلاثة أعمال: أعمال الجوة و أعمال الجندية و أعمال تعز. و إلى أكمة همدان فرسخ. و إلى الحمراء نصف فرسخ. و إلى حوبان نصف فرسخ، و قد بنى بها أتابك سنقر بركة مربعة. و إلى تعز ربع فرسخ. و تسمى هذه الأعمال حيز الأخضر لكثرة عشبها و أميائها و خضرتها.

صفة حصن تعز

حصن بني على طريق حبأ يسمى الجبل الأخضر ذو مكنة بالجص و الحجر بأبواب و أسوار وثيقة و عامرة و ليس في جميع اليمن اسعد منه حصنا لأنّه سرير الملك و حصن الملوك. قال أبن مجاور: و رأيت في المنام إنّ قائلا يقول لي: إنّ حصن تعز يسمى تل الذهب، أو قال: جبل الذهب. فتأملت قوله فوجدته حقا لان أموال جميع اليمن مكنوزة به. و قال حكيم: إنّه قلعة وضع بين مدينتين إحداهما المغربة و الثانية في لحف جبل صبر على هذا الوضع، و صورته على هذا الوضع و الترتيب.

صفة جبل صبر

جبل مدور يصح دوره ثلاثة أيام رفعته ذات طول و عرض، و فيه من القرى و الحصون ما شاء الله و بساتين كروم و زروع. و لها أربع مسالك إحداها الخشبة و برداد و عتدان و جبأ، و ما عدا هذه الطرق لم تسلك لوعرها و خشنتها لا لراجل و لا لفارس و هو جبل طيب. و فيه أنشدت شمس النهار بنت أحمد بن سبأ بن أبي السعود و يقال سبأ بن أبي سليمان تقول: عاتبتني فقالت: كيف طاب لك النأي و خليت الوطن؟

يترك الحبيب حبيبة و يطلب الإقامة في عدن
و اغتضت من صيد الظباء صيود أرباب السفن
و اغتضت صيرة من صبر سلطان أجبال اليمن

و في بعض كهوفها أصحاب الكهف و الرقيم و هم الذين قال الله عز و جل فيهم:" و لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين و ازدادوا تسعا". و أسماؤهم مكسليمنا و بمليخا و برطبوت و كسرطوس و فرورس و ححمسمينا و اسم الكلب دير و يقال قطيمر و يقال حمران و انطيس و الحاين. و قال آخرون: و اوس و لماطونس و مكسلمينا و ساوالحسابر و بلميليخا. "و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد". و على باب الغار مسجد و على باب المسجد عين تسمى عين الكوثر، و هو موضع فاضل مزار في العاشر من رجب. فإن قال قائل: ليس القوم في هذا الإقليم، قلنا: بلى لان دقيانوس هو الملك الذي أسس مدينة الكدراء و سكن الجند. و كان القوم من أهل الأفسوس. فلما تم لهم ما تم خرجوا من مدينتهم صعدوا جبل صبر فأووا إلى الكهف و جرى عليهم ما جرى، و كلبهم معهم كما قال الله تعالى: "و كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً و لملئت منهم رعباً". كما قال:

كثر الشك و الخلاف و كل يطلب العوز بالصراط السوى
و اعتقادي أن لا اله سواه ثم حبي لأحمد و علي

فاز كلب بحب أصحاب كهف كيف أشقى بحب آل النبي

و قال دعبل بن علي الخزاعي:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة و لم يأتنا عن ثامن لهم الكتب

كذلك أهل الكهف سبعة كرام إذا عدوا و ثامنهم كلب

و يترل ماء تعز من جبل صبر حين اشتراه سيف الإسلام طغتكين لهذا الماء من أصحابه بعشرة آلاف دينار و سبله و يسمى ماء الخشبة و هو ماء خفيف هنيء مريء. و يقال إنّه عين كسر كثير الماء نصفه يقلب إلى تعز و نصفه يترل إلى مدينة جبأ و هو أصح من ماء الخشبة الذي ينقلب إلى تعز و أجود منه، و ليس أهل اليمن جبأ على الغرباء إلا بشرب هذا الماء لا غير من طيبه. و يترل جميع فواكهها و أحطابها و أخشابها التي للعمارة لان الغصن ميال والغيم هاطل. و من يوم يدخل الإنسان الدرياع إلى إنّ ينحدر إلى نفيل الحمراء يهب عند كل عصر هواء بارد يحيي الفؤاد و بعده تككل الأفق بالغمام و يترل الغيث ساعة زمانية ثم يصحو، و يبقى العالم على هذه الصفة مدة ستة اشهر الصيف.

فصل

إذا رأيت الهلال في الماء يضرب إلى الحمرة فأنه يدل على هبوب الريح، فإذا رأيت في وسطه سوادا دل على الغيث. و إذا رأيت عين الشمس حين طلوعها في وسطها شيء من الغيم دل على مطر و صحو جميعاً. و إذا رأيت الشمس تغرب و عليها و حولها قطع قطع من السحاب يدل على المطر. و إذا رأيت سحابا متفرقا دل على الغيث. و إذا كان الهلال أبن ليلتين أو ثلاثة فإن رأيت في قرني الهلال أو كأنه مظلم ملطخا بدم دل على الشتاء و كثرة المطر.

ذكر بلاد ينزل فيها الغيث كثيراً

يترل الغيث في أعمال ماردن دائم، و في أعمال كلاب مدة عشرة شهور، و في أرض بني سيف مدة أربعين يوماً من إقليم اليمن و يوبس شهرين فلذلك سمى البوالة، و إقليم المينا مدة أربعة اشهر. و إقليم الجاوة يترل الغيث من الغيم شبه أفواه القرب و لا يستدل سفارة البحر على إقليم الجاوة إلا بكثرة لمع البرق. و في إقليم فوفل أربعة شهور. و في العينين يترل دبس رفيع شبه السماق دائم. و يترل في الجزيرة الخضراء و جزيرة متعة دائم. و في بلاد السند مدة أربعين يوماً. و يكون في جميع الهند تارة صحوة و تارة

غيث و في نهار واحد مقدار عشر مرات، و تمطر على دار و لا تمطر على أخرى و يقال: إنّها قد تمطر على أحد قرني الثور و لم تمطر على الآخر. و يترل الغيث في جبال اليمن ستة شهور ما بين الظهر و العصر.

ذكر المياه و الرياح

و ما يتعلق بكل كوكب و برج. فصل الحمل و الميزان النيران المشعلة، الجوزاء رياح طيبة و رياح الجنوب، و السرطان المياه العذبة و الأمطار كثيرة الحركة و ما يترل من السماء، الأسد النيران التي تدخن في الكوانين و علم الهوى و النيران التي في الأحجار، السنبلة كل ما جارى الميزان الرياح التي تلقح الأشجار بهبوبها و تسمن الثمار و تدل على طيبة الجو، و عقرب المياه الجارية التي يترل إليها بالمراقي مثل الصهاريج و السيول و القرب و ما يعجن من الطين، و القوس الأنهار و النيران الغزيرة في ابدن الحيوانات، و الدلو المياه الجارية و البحار و الرياح و العواصف المؤثرة قلع الأشجار مفسدة للنباتات، الحوت للمياه الراكدة و البحريات و يدل على الأشجار المعتدلة الطول.

و يسمى أعمال معاشر تعز الشعبانيات و حدود إلى وادي و رزان و بركة الحوبان. و به انشد سليمان شاه من شاهنشاه بن شاذي يقول:

بليت بها دون الحسان فمهجتي تذوب و بي من جرة البين بلبال

أقمت بأكناف الخصيب و أصبحت بحصن تغز ذا التفرق قتال

من تعز إلى الجند

من تعز إلى بركة الحوبان ربع فرسخ. و إلى وادي السمكر ربع فرسخ، و السمكر كان رجل يهودي قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و في هذا الموضع أراضي تغلب عليها المياه إحداها و إلى الجند نصف فرسخ و الله اعلم و احكم.

بناء الجند

غرست الأوائل في فضاة الجند نخلا و حمل فلما دار الدهر رجع عقدة. و بقي النخل على حاله إلى إنّ ظهر دقيانوس الملك و قطع النخل و نبى في فضاة الجند بلداً عظيماً سماة الأقيوس، و به كانت وقعة أهل الكهف مع دقيانوس الملك و الله اعلم. و صورته على هذا الوضع و الترتيب: و يقال إنّ القوم في كهف

من كهوف الجبل صبر نيام إلى الآن، و هم الذين قال الله عز و جل عنهم: "سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم و يقولون خمسة و سادسهم كلبهم رجما بالغيب و يقولون سبعة و ثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل". و قد تقدم ذكرهم في الافسوس عامر إلى أن ملك اليمن أخ المعز بن معن بن زائدة الشيباني، فقام المتولي و مد يده إلى اخذ المال و استباحة النساء بالفحش من العمل و قبح الأمل. فلما رأوا العرب منه ما رأوه قتلوه و عصوا في البلاد فطم أخوه معن بن زائدة الشيباني فعلم الخبر فركب و جاء في خيل و رجل فملك اليمن بعد أن ركب السيف على أهلها و اخرب الجند، وسد في الجبال ثلاثمائة غيل أي عين عذبة و يقال إنّ غيلان منه سده بالملح فملح ماؤه و صار يحمل منه ملحا إلى هذه الغاية. فلما تولى معاذ بن جبل ولاية اليمن من قبل النبي " بناها مدينة سميت باسمه جبل غير إنّ الباقون أبدلوا اللام دال، فسميت الجند لأنها مسكن الجند. حدثني عبد الله بن محمد بن يحيى قال: إنّ في الأصل يسمى قارع الأجناد لأبن أهلها كانوا جند اليمن لم يسمع أحد منهم كلام صاحبه و لم يرضوا بحكومة بعضهم بعضاً. فلما كثر القال و القيل بين زيد و عمرو خرج نصر و جعفر إلى النبي " برضى خالد و زبير و طلبوا منه رجلاً يؤدون له الزكوة و يعلمهم الشرائع و الدين و يتحاكمون إليه انفذ النبي " معاذ بن جبل. فقلت له: أريد على هذا برهاناً. قال: يقول الشاعر:

يا بني مسعود شدوا الخ يل من قارع الاجناد

ما عليكم يا موالى من نباح الكلب في الواد

حدثني رجل من أهلها إنّ كل ما كان يحفر في الغيل حبط زبدي التراب أي من تراب كان يعطيه رغيف خبز و عظم أي قطعة لحم و دراهم و قيل دينار، و لا يزال على حاله إلى إنّ جرى الماء من الغيل و عمى. و بقي البناية على حالها إلى أن توفي سيف الإسلام طغتكين بن أيوب فأدار عليها سور من الحجر و الجص و أعلاه طين و لبن سنة سبع و الأصح ثلاثة و تسعين و خمسمائة. و ركب على السور خمسة أبواب: باب المقصورة، و باب الحديد بناية الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر، و باب الأقطع، و باب السر ينفذ إلى بستان السلطان.

صفة جبل البقر

و هما جبلان وراء الجند لمسافة ربع فرسخ بنوا بهما العرب حصنين و سائر القوم يصبح به الجند صباحاً و مساءً ليلاً و نهاراً. و بقيت أهل الجند معهم في عناء و تعب إلى إنّ ملكت ملوك العرب هدمت و أردمت آبارها. و بقيت الآن جبلان قائمان خربان لا بهما داع و لا مجيب.

صفة أكمة سليمان

و بئر النخر. و كان في قرب الجبل حصن مانع يسمى أكمة سليمان، من بناية سليمان بن داود عليه السلام . فلما عصت العرب على معن بن زائدة الشيباني تحصنوا بالحصن و بقى القتال يعمل بين الفريقين مدة أيام. و كان تحت الحصن مما يلي البحر بئر ماء ذات عمق و سعة و طول. و قد بنى على دورانه القلعة إلى قرار هذا البئر درج ينزل إليه الخيل، و الرجال، و البئر مشترك ما بين الفريقين إلى أهل البلد فشربوا منه باطن و عسكر معن بن زائدة ظاهر. فنزل في بعض الأيام فارس بحصانه إلى البئر يرويه فلما شرب الحصان حوض الماء نخر الحصان من عمق الماء فسميت بئر النخر لأجل ذلك . فلما علم معن بن زائدة شريكة البئر فيما بينهم أفلت في الماء نفطا فصار كل من شرب منه مات. فسلم له الحصن، فلما ملك الحصن هدمه و البئر معا و جمعا.

صفة الجامع

و أول من بني الجامع معاذ بن جبل مع أهل الجند و مت حوله من القرى.و أعاد بناءه القائد الحسين بن سلامة، و جدده الأمير الفضل بن أبي البركات أبن الوليد سنة ثمانين و أربعمائة بالحجر المنقوش و اللبن المربع. و أحرقه على أبن المهدي سنة أربع و خمسين و خمس مائة. و يقال إنّ الخلق سعت و شفعت في إبقاءه فقال: قد استوجب النار، قيل: لم؟ قال: لأنه قد خطب على منبره الإسماعيلية، يعني ملوك بني زريع أي ولاة عدن، فهم أنجاس ينجس الجامع بذكرهم و كل من هو نجس طهر و قد طهرناه بالنار. فأعاد بناءه سيف الإسلام و مع ذلك رفع سقوفه بالآجر و الجص بعد أن ذهبه، و أجراه بالذهب و اللازورد سنة ثلاثة و ستمائة في دولة الملك الناصر بن طغتكين أبن أيوب . و قال حكيم: خذ من جامع تعز و من جامع الجند السقف!و يجتمع في أوّل جمعة رجب في جامع الجند من كل الأعمال ناس يصلون فيه و يبلغ ذلك اليوم في الجامع مقدار ما يسع رجل واحد درهم فيقال دينار ليصلي ركعتي الجمعة و يكون فيه ذلك اليوم نور مشهود. و أهل الجند و ما حوله من القرى يروون في فضل هذا المسجد أخبارا من جهة زيارتة في أوّل جمعة في رجب: تعدل عمرة، بل قالوا: حجة. و لم يزل الناس يزورونه في كل سنة في أوّل رجب

حتى اثر ذلك و صار صفي الدين حاتم بن علي بن محمد بن المعلم حتى أسقاه في بطيخة ويقال إنّه اخذ إبرة مسمومة و غرز فيها خيط مسموم و صار يغرز الإبرة في جوانب النطيخة و يجرها و الخيط معا، و جاء بها إلى سيف الإسلام و هو قائم على بناية المنصورة فجلا سكينا فوق البطيخة ليأكل منها. فتناول منه سيف الإسلام البطيخة فقطع و أكل و حس بالشر به فقال لعلي بن حاتم: الله المستعان على ما تصفون. فقال له: كل يا مولاي ما هو إلا خير. و غاب الشيخ حاتم بن علي بن محمد بن المعلم من ساعته، فأوجعه فؤاده و مات رحمه الله. حدثني عبد الله قال: إنّه كان يقرأ في الترع "ما أغنى عني مالي، هلك عني سلطاني، خذوه فغلوه، ثم في الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه" إلى تمام الآية. و حدثني إنسان جبلي من آل الصليحي قال: إنّه قرأ:"الذي جمع مالاً و عدده، يحسبُ أنَّ مالهُ أخلدهُ،كلاَّ لينبذنَّ في الحطمةِ، و ما أدراكَ ما الحطمةُ، نار اللهِ الموقدةُ، التي تطَّلعُ على الأفئدةِ، إنها عليهم موصدةٌ، في عمدٍ ممددةٍ"، و صار يكررها إلى أن مات رحمه الله. بقيت البناية على حالها إلى أن توفى الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب فرد الأرضي على أربابها. و يقال إنّما ردها إلا بعد أن أسقى الشيخ علي بن حاتم بن علي بن محمد بن المعلم في زبيد و يقال إنّما سقى أبن المعلم إلا لإدراك سيف الدين سنقر بعد قتله الملك المعز في زبيد.

فصل

كان يقال في زمان سيف الإسلام طغتكين بن أيوب: إنّه لا يموت حتى يملك القسطنطينية و يعمرها، فلأجل ذلك طال أمله في الدنيا و زينتها وأس المنصور فيما الفعلة يحفرون الأساس إذ خرج عليهم صخرة حجر عليه مكتوب:إنّ فلان بن فلان الشقي بنى مدينة قسطنطينية، قال و مات و دفن بتاريخ الشهر و السنة. فسأل عن اسمها الأصل، قالوا: إنّها تسمى قسطنطينية. قال: متنا و رب الكعبة! و سقي عليها و مات و دفن بمغربة تعز. و ما أراد ببناء هذه البلد إلا إنّه يخزن فيها غلال الجبال على ما تقدم ذكره.

فصل

نزل الأمير العز علي بن محمد الصليحي بقرية من أعمال المهجم يقال لها أم الدهيم و بئر أم معبد. قال سعيد بن نجاح: فلما دخلها المهجم لم يشعر بنا إلا عبد الله بن محمد بن علي فركب و قال لأخيه: يا مولانا اركب فهذا و الله الأحوال بن نجاح. فقال علي لأخيه عبد الله: إني لا أموت إلا بالدهيم و أم معبد يعتقد إنّها أم معبد التي نزل بها النبي " حين هاجر و معه أبو بكر. فقال له فلان بن فلان: قاتل عن نفسك فهذه و الله بئر الدهيم بن عبس و هذا المسجد خيمة أم معبد بنت الحارث العبسي، فحينئذ قتل

بها. و كان في طالع الملك المعز إنّه لا يقتل إلا في العراق بعد أن يملكها و أموي مزيل دولة بني العباس. فلما تيقن عنده ذلك قتل بوادي العرق من زبيد. و فيه أنشد المحني يقول:

الموت في كل حين ينشر الكفنا و نحن في غفلة مما يراد بنا

لا تطمئن إلى الدنيا و زينتها و إن توحشت من أثوابها الحسنا

أين الأحبة و الجيران ما فعلوا أين الذين بها كانوا لنا سكنا

سقاهم الموت كأسا غير صافية فصيرتهم لطباق الثرى رهنا

و إلى قلعة ضراس نصف فرسخ. و إلى وادي ورزان نصف فرسخ. و إلى ذي جبلة نصف فرسخ، و يصعد نقيل ذي جبلة و يسمى النقلين و هما جبلان يسمى أحدهما نقيل ندران و الثاني نقيل العكائف. و ما اشتهر بهذا الاسم إلا إنّه كان به عجائز وعتكفات و الله اعلم.

بناء ذي جبلة

ذي جبلة من مخلفات جعفر. و جبلة كان رجل يهودي يبيع الفخار في الموضع الذي بنيت فيه دار العز و به سميت المدينة. و أوّل من اختط ذي جبلة عبد الله بن محمد الصليحي المقتول على يد سعيد الأحول بن نجاح مع أخيه علي الداعي بن محمد بن علي يوم المهجم و كان أخوه قد ولاه حصن التعكر و هذا الحصن مطل على ذي جبلة و هي من سفحه. و هي مدينة بين نهرين جاريين في الصيف و الشتاء، و أختطها عبد الله بن محمد سنة ثمان و خمسين و أربعمائة. و بها كانت تسكن الحرة الملكة السيدة بنت محمد بن جعفر بن موسى الصليحي.

فصل

و لّما كان في سنة سبع و أربعين و خمسمائة ابتاع الداعي محمد بن سبأ من الأمير منصور بن فضل جميع المعاقل التي كانت لبني الصليحي و هي ثمانية و عشرين حصنا و مدائن و من جملتها مدينة ذي جبلة، و اشتراها منه بمائة ألف دينار. و نزل الأمير منصور بن المفضل حصنيه صبر و تعز و طلق زوجته الصليحية و هي بنت عبد الله بن عبد الله بن محمد الصليحي و صعد الداعي المخلاف و سكن في ذي جبلة و تزوج امرأة الأمير منصور بن المفضل. و اكثر الشعراء تهنئته و مدحوه بالمعاقل و العقيلة المذكورين و طاش فرحا بما صار إليه و بسط يديه في العطايا و الله اعلم.

بناء المخلاف و نجا

كما يقال أعمال اليمن، و يقال مخلاف تعكر و مخلاف جعفر أي من أعمال تعكر و أعمال جعفر. و المخلاف أعمال كل حصن بذانه يكون صعودا أدخلت تلك الأعمال إلى ذلك الحصن و كان حول كل حصن من القرى و الزراعات فهو مخلافه. و المخلاف عند أهل اليمن عبارة عن قطر واسع، و ليس تعرف المخاليف إلا بجبال اليمن و إما في التهائم فليس يعرف و الله اعلم.

ذكر تغلب و نفقها و حصن التعكر

و لّما خرج المنصور بن الحسين بن نجاح بن زبيد بأخيه عبد العزيز بن جباش هاجر هو و عبيده عن الملك المفضل بن أبي البركا و التزموا له على النصرة ربع البلاد، فسار المفضل معهم فاخرج عبد الواحد ملكهم ثم هم أن يغدر بهم و يملك زبيد. فحين خلا التعكر و طالت إقامتهم بتهامة و في التعكر نائب له يسمى الجمل و كان هذا الجمل متمسكا بالدين فصعد إليه إلى التعكر سبعة من إخوانه الفقهاء منهم محمد بن قيس الزجاجي و منهم عبد الله بن يحيى و منهم إبراهيم بن زيدان و كانت له البيعة، فاخذوا الحصن من الجمل. و كانت الرعايا قد قالت للفقهاء: إذا حصلتم في رأس الحصن فأوقدوا النار. ففعل ذلك ليلا فأصبح عندهم على رأس الحصن عشرون ألفا و استولت الفقهاء على ذلك و لم يعهدوه. و وصل الخبر إلى المفضل بتهامة فسار مسير ظبي لا يلوى على أحد إلى التعكر، فقامت خولان في نصرة الفقهاء، و أقام الحصار عليهم. فلما طال ذلك قال إبراهيم بن زيدان لن أموت حتى أقتل المفضل ثم أهلا بالموت! فعمد إلى حظاياه من السراري فأخرجهن في أكمل زي و أحسنه و جعل بأيديهن الطارات و أطلعهن على السقوف سقوف القصر بحيث يشاهدهن المفضل و يسمع هو و جميع من معه من تلك الأم أصواتهن. و كان المفضل أكثر الناس غيرة و أنفة فقيل إنه مات في تلك الليلة و قال آخرون: امتص خاتما كان معدا عنده فأصبح ميتا و الخاتم في فيه. و كان موته في رمضان سنة أربع و خمسمائة. و لّما مات المفضل طلعت الحرة من ذي جبلة و خيمت على باب التعكر، و كاتبت الفقهاء و لاطفتهم إلى أن كتبت لهم خطها بما اقترحوه من أمان و أموال. و اشترطوا عليها أن ترحل هي و جميع الحشود و توصل إليهم من ترضاه واليا. و ولى لها التعكر مولانا القائد فتح بن القائد فتح. حدثني السلطان ناصر بن منصور قال: حدثني إبراهيم بن زيدان إنّه وصل نصيبه من العين خمسة و خمسون ألفا يعني دينارا لّما تركوه من حصن التعكر.

صفة بناء ذي جبلة

بنا بذاك الصليحي في مخلاف جعفر و حدودها بالطول من نقيل صيد إلى مصابح و بالعرض من سوق وصفات إلى حصن الطريمة إلى ذي الأسود من حدود مخلاف حب، و تسمى قلعة النهرين لأن جبل التعكر ما بين أي من البلد و شماله و مجمع النهرين في أحد البلد عند موضع يقال له وادي ميتم. كما قال المازني في بعض قصائده حيث يقول:

ما مص ما بغداد ما الطبرية كمدينة قد حازها النهران
خدد لها شأم و حب مشرق و كذلك تعكرها المنيف يماني

و له بقول:

ليس الخورنق و السدير و بارق كطريحي كلا و لا النعمان مثل الدسا هاطل اليدين

و قال مضطبع الدولة مواهب بن جديد المقرئ يمدح الملك المفضل بن أبي البركات بن علاء الحميري:

فرفضها شوفاً إلى ذي جبلة و تركتها لملوك أهل المشرق

و نذكر عجائب إقليم اليمن و ما فيها من الغرائب

و من جملتها حصن أشيح. و مما ذكره عمارة بن محمد بن عمارة في كتاب المفيد في أخبار زبيد قال: حدثني المقرئ سليمان بن ياسين و هو من أصحاب أبي حنيفة قال: بت بحصن أشيح ليالي كثيرة و أنا عند أرى الشمس تطلع في المشرق و ليس فيها من النور شيء، و إذا نظرت إلى تهامة نظرت عليها من الليل ضباب يمنع الماشي أن يعرف صاحبه من قريب، و كنت أظن ذلك السحاب و البخار و إذا هو عقائل الليل فأقسمت أن لا أصلي الصبح إلا على مذهب الشافعي. إنّ أصحاب أبي حنيفة يؤخرون الصبح إلى أن تكاد الشمس تطلع على و هاد تهامة و ما ذلك إلا أن المشرق مكشوف لأشياح من جبال و ذروته عالية. و هو مقر الداعي سبأ بن أحمد أبن علي الصليحي، و فيه يقول عبد الله بن الحسن بن علي بن القم شعراً:

و لمّا مدحت الهيزري بن أحمد أجاز و كافاني على المدح بالمدح
فعوضني شعراً بشعري و زادني عطاء فهذا رأس مالي و ذا ربحي
شققت إليه الناس حتى رأيته فكنت كمن شق الظلام إلى الصبح
فقبح الدهر ليس فيه أبن و نزه دهر كان فيه من القبح

و نجد الحنشين

من أرض بني نجاح. و كان في قديم العهد تسمى هذه الأعمال أعمال نجد و ما عرفت بالحنشين إلا أن صاحبيه تقاتلا و تعاقرا، فبينا هم في قتالهم إذ وقع عليهم لمع البرق احرقهم. و يقال بل خسف من تحتهم فنزلوا الخسف، و الخسف باقي و هو في قدر بئر عظيم ليس يوجد له قرار. عرف النجد بالحنشين، و نجد الحنشين من أعمال الحقل و الكافل.

و حصن ثريد

بناء سليمان بن داود عليه السلام في أرض بني سيف و هو سور دائر على سنام جبل شاهق في الهوى. و في وسط الحصن بحيرة ماء قديم خلقه الله على ظهر جبل لم يعلم له قرار، و هو ماء عذب و قد يرى فيه من الأسماك و دواب البحر و موج هائل. و قد بنى على سورٍ على ساحله مستدار بالبحيرة و بني ن داخل السور ثلاثة دور لا غير يسكن في أحدهم ثلاثة رجال و في الثاني أربعة و في الثالث خمسة رجال يصح عدد القوم أثنى عشر رجلاً رتبة. و لم يقدر أحد من ملوك الغز على أخذها من أربابها بني سيف. و يقال إنّ به شجرة يصح طولها ثلاثة اذرع، قط ما أوكر عليه طير إلا وقع من ساعته ميتا، و لا يزال تحتها طيور موتى من كل فن. حدثني أحمد بن محمد بن المهنا الصفار قال: إني رأيت في بلاد البرابر شجرا يوجد تحتها قردة ميتة فسألت بعضهم على حال قصة القرود فقال: إنّ تلك الشجرة شجرة السم الذي يغلى حطبه يستخرج منه سم يجعلونه في نشاشيبهم فمن أصابه من ذلك النشابات و لم يقور اللحم و الجرح معا مات من ساعته، و يجيئون القردة و يأكلون ثمرة لأنّه يكون حلو فيموتون كما تروهم. قال أبن مجاور: و ما يموت من القردة إلا كل من يكون في بطنه جراح أو مرض يصل سم الشجرة إلى الجرح يختلط بالدم و يموت و يرجع سببه مرمى شبه جذع نخل منصرم، و لا شك إنّ هذه الشجرة شجرة سم. قال أبن مجاور: و رأيت في النام ليلة الاثنين و العشرين من شهر رمضان سنة عشرين و ستمائة كأن قائلاً يقول لي: إنّ في أرض الربحار شجرة تسمى نار و لم يمسها أحد إلا أحترق من وقته. و ما اشتق حصن ثريد إلا من ثريد الخبز و اللحم، أي كل من يملك هذا الحصن يبقى إقليم اليمن قدامه شبه جفنة الثريد يأكل ما أراد أي ما اشتهى و أراد. و في سنة خمس عشرة و ستمائة زرعت جميع جبال اليمن الفوة و بطلوا زراعة الغلال لان أحدهم كان يزرع الحنطة و الشعير و ما كان يغل كل جريب إلا خمسة دنانير ملكية فوزعوا الفوة فغل لهم الجريب ستين ديناراً، و ابتاعت الفوة سنة اثنين و عشرين و ستمائة بعدن البهار بستة و سبعين دينار. فلما رأت الخلق ما رأت قالوا: نترك غيره و نزرعه فزرعوه حتى الخدم و الجوار و النساء و المشايخ و الغني، و بقوا إلى إنّ ملك الملك المسعود يوسف بن محمد من ديار مصر،

أخذ جميع الفوة و لم يخل لأحد وزن وقية. و جميع ذلك مباح مستهلك و ذلك في سنة أربع و عشرين و ستمائة.

و مثابة فيه بسعر الفضة

و أهلها قوم يقال لهم بنو نهم و في سوارق صعدة انبيع و لو إنّه من كان. و يقال إنّه جلب زيد عبدا يريد بيعه السوق فقال العبد لسيده زيد: أصعد على هذا الحجر نادي على زيد، فلما صعد نادى العبد على زيد: من يشتري هذا العبد؟ فاشترى منه فباع العبد لزيد و أخذ ثمنه و راح.

من ذي جبلة إلى صنعاء

من ذي جبلة إلى القرين فرسخ. و إلى السحول فرسخين، و هو الذي ينسج فيه الثياب السحولية و كفن رسول الله " في ثوبين منها. و هذا الوادي لبني أصبح قوم الفقيه أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة. و إلى ذراع الكلب فرسخ. و إلى قلعة إب فرسخين. و إلى المغربة فرسخين، بناية الملك المعز إسماعيل بن طغتكين. و إلى المعبر فرسخ. و إلى حصن السماوي فرسخ. و إلى جدرة نقيل صيد فرسخ، و هو مدرج درجة الملك الأغر على بن محمد الصليحي. و قال:

و أسكنت العراق خيار قومي و أسكنت النبيظ قرى و قتاب

و قتاب هو من جملة الحقل و الحقل من وادي صيد، و بتزل من ذروة النقيل عين ماء تسمى بالجبل إلى حوض و في الحوض حوض صغير و في الحوض الصغير سرب يتزل الماء فيه لم يعلم أحد إلى أين يجري. و إلى ضربة عمرو فرسخ، و هي ضربة عمرو بن عبدود العامري في حجر غاص سيفه في لب الحجر كما تغوص الشفرة في قلب الجبن الطري، و كان السبب في ضربة الحجر إنّه تبعه قوم من العرب و الأصح سيف بن ذي يزن و يقال الحبوش، فلما ضجر منهم ضرب الصخرة ضربة فلما رأت الحبوش ذلك ردوا على أعقابهم راجعين. و يقال لّما نظر سيف بن ذي يزن الضربة علم إنّه لا يصح منه شيء إلا بيد غالبة فخرج إلى العراق مستنجداً بكسرى فأعطاه كسرى جيشاً ملك بهم اليمن. فلما ثبت سيف بن ذي يزن في اليمن و خرج عمرو بن عبدود إلى الحجاز و هو الذي برز إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه و كبر النبي " ثلاثاً و قال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله، و قتل على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الوقعة، كما قال:

كن أبن من شئت و اكتسب أدباً من العجم كنت أو من العرب

إنّ الفتى من يقول: ها أنا ذا ليس الفتى من يقول: كان أبي

و إلى مترل الأصم فرسخ، وما عرف بهذا الاسم إلا إنّه وصل إلى هذا الموضع رجل أصم أي اطرش فسمع دوي جري الماء تحت الأرض فحفر آباراً و يقال أنهر و سكن به فعرف به، و إلى دار الضيف فرسخ، سكنها رجل من الأعراب و كتب على بابه في الصخر:

ألا من وصل الدار فلا يعدي لان في الدار رجل يغدي

و قال أبن المجاور: و عجبت منه كيف لم يكتب:

ألا من وصل الدار فلا يمشي لان في الدار رجل يعشي

و الكتب إلى الآن باق على حالها.

و قال أبو فراس بن حمدان في المعنى:

نار على شرف تأ جج للضيوف الساريه

يا نار إنّ لم تجلبي ضيفا فلست بناريه

و صفة رجل جبل السلطان الأعظم بهرام بن شاه بن مسعود ما وهب لأحد مال إلا وهب مع المال خلق استوجبوا القتل، فقيل له في ذلك. قال: إما المال فليس له عندي قيمة و لا قدر و لا محل إلا لو وهبت الأرواح. كما قال الباركل في المعنى:

كل له ثمن يباع بمثله إلا النفوس فما له أثمان

فأخذ هذا المعنى الحكيم فضل الله الغزنوي يقول:

زابتداي كون عالم تا بوقت بادشاه از بزركان عفو بودست از فرو دستان كناه

خاصه اندر عصر شاهي كز بي أنصاف أو كهربار نيست آن يارا كه كردد كرد كاه

من كه از تدبير خصمان خورده بودم تير قصد زنده ماندم تا بروز محشر از اقبال شاه

جان من بخشيده شاهيست كندر عصر أو جند شاه تاج بخش است با أمير داد خواه

خسرو سياركان بايد كه أين شش بيت را باز كردناد بكلك تير بر رخسار ماه

تا بياموزند شاهاني كه زر بخشندو سيم رسم جان بخشيد از سلطان دين بهرام شاه

و إلى الملاوي ثلاثة فراسخ. و إلى الحزيز فرسخين. و إلى مدارة فرسخ. و إلى نقيل اسلح فرسخين صعود. و إلى حداران فرسخ حدور. و إلى حباري فرسخ. و إلى غيل البرمكي فرسخين. جاري. فلما

قتل الإمام أبو محمد هارون الرشيد جميع البرامكة هرب إنسان منهم و سكن صنعاء، فلما وجد قلة الماء على أهلها اشترى أرض قاع عباد بن الفخر و حفر بها نهر عظيم، و يقال إنّ معين النهر هو من أرض العراق، فلما تم جريان الغيل أوقفه على ضعفاء صنعاء فعرف الغيل بالبرمكي. و يقال بل الذي حفر برمك الذهب أي ما قصر في جرح الذهب على حفره. و إلى صنعاء فرسخين.

بناء صنعاء

حدثني يحيى بن علي بن عبد الرحمان الزراد قال: إنّ شيث بن آدم عليه السلام بني مدينة صنعاء و غرس بظاهرها بساتين أهدمها ايمن الدرب و الثاني أيسره و هما بطول من صنعاء إلى العراق مسيرة سبعة أيام. حدثني السلطان جميل: بني سام بن نوح عليه السلام لأنه استولى عليه و لم يكن يقدر على المقام في مدينة واحدة فكان يدور العالم على موضع هوى خفيف الماء معتدل الأرض في الصحة ليسكن ما به من الألم، فوجد أرضاً موافقة لطبعه، فلما نزل صنعاء زال عنه الألم. و حينئذ صعد على جبل نقم سكنه و قال لأهله و أشياعه: ليعمر كل منكم مسكناً يسكنه! فعمرت الخلق المساكن فرجعت مدينة طولها و عرضها مسيرة سبع فراسخ. و كانت أعمالها تنفذ إلى البصرة، و بقيت الطريق مسلوكة عامرة إلى أن علاه الرمل فقطعه. و بنى هود عليه السلام في جامعه بئرا و هي أوّل بئر حفرت في عالم الكون و الفساد. و أدار سورها الملك الأغر علي بن محمد بن علي المعلم الصليحي بالحجر و الجص و ركب عليه سبعة أبواب: باب غمدان ينفذ إلى اليمن، و باب دمشق ينفذ إلى مكة، و باب الشيخة ينفذ إلى محلة و هم المخدومين، و باب خندق الأعلى يدخل منه السيل، و باب خندق الأسفل يخرج منه السيل يسقي الأرض، و باب النصر ينفذ إلى جبل نقم و براش، و باب شرعة ينفذ إلى بستان السر و الله أعلم.

ذكر قصر غمدان

أوّل من ابتدأ في بنائه سام بن نوح عليه السلام لّما بنى صنعاء، و يقال سليمان بن داود عليهما السلام لّما دخل اليمن يتزوج بلقيس. و كانت التبابعة من ملوك اليمن لهم رغبة نفيسة و همة عالية في عمارته و كل ملك تولى منهم كان يعلى قصرا على قصر حتى ارتفعت تلك القصور اثنين و سبعين سقفا و يقال ثلاثة و تسعين سقفا. و آخر من بني به اسعد الكامل و يقال اسعد الخزاعي قصر من الزجاج و هو الخاتمة. و أنشدني عبد الله بن داري بن أبي بكر العنبري ليلة الأحد الخامس من صفر سنة ثلاث و عشرين و ستمائة:

لا يأخذ الثأر إلا كابن ذي يزن إذ صير البحر للأعداء أحوالا
إني هرقلاً و قد شالت نعامته فلم يجد عنده النصر الذي سال
ثم أثني نحوي كسرى بعد سابعة من السنين يهين النفس و المالا
حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم تخالفهم فوق متن الأرض أجبالا
غلب أساورة بيض مزاربة أسد تربب في غيطان أشبالا
لله درهم من عصب صبر ما إنّ رأيت لهم في الناس أمثالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد أضحى وشيكهم في الأرض فلالا
فالطط بمسك إذا شالت نعامتهم و أسبل اليوم في برديك إسبالا
و اشرب هنيئاً عليك التاج مترفقاً في رأس غمدان دارا منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئاً بماء فعاد بعد أبوالا

حدثني قاضي الجبل من آل الصليحي قال: حدثني رجل سمع من لفظ أبي محمد عبد الله بن حمزة الحسيني قال: إنّ أواخر في قصر غمدان كان يصل إلى وادي الظهر قلت: كم يكون بينهم من مسافة؟ قال: مثل من زبيد إلى الزريبة و من زبيدة إلى الزريبة مقدار فرسخ زائد لا ناقص. قال أبن المجاور: و لا شك إنّه كان يصل في القصر إلى وادي إذا قربت الشمس للغروب لان في مثل ذلك الحين يكون الظل و الفيء إلى أن يرجع مثل الشيء ثلاثة أربع مرات كما يقال بنيانه بل ضياء سرجه كان ينظر من المدائن و قيل إلى مدينة . و بقي القصر على حاله إلى أيام خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قعد بعض الليالي بظاهر المدينة إذ نظر في الجو شيئا يضيء سبه كوكب درى فسال عنه فقال بعض من حضر مجلس أمير المؤمنين و في خدمته: إنّ ضوء هذا ضوء شمعة تشعل على أعلى قصر غمدان بصنعاء فأمر بهدمه فهدم. فالآن بقي تل عظيم و قد بني موضع القصر بدر الدين حسن بن علي بن رسول قيصر عظيم الهيكل سنة ثمان عشرة و ستمائة. حدّثني يحيى بن علي بن عبد الرحمن الزراد قال: ما بنى قصر غمدان إلا امرأة تسمى الزباء و أمرت أن يجعل فوق كل قصر قصر طويل كل قصر أربعين ذراعا بالعمرى في عرض مثله في ارتفاع مثله. قال الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد اللغوي الازدي في ذلك:

و استنزل الزباء قصراً و هي من عقاب لوح الجو أعلى منتما
و سيف استعملت به همته حتى رمى ابعد شأو المرتمى

فخرج الاحوش سما نافعا و احتل من غمدان محراب الدما

و قد ذكر المسعود في كتاب مروج الذهب إنّ قصر غمدان يعمر ثانية احسن مما كان في الأول.

فصل

حدّثني سلامة بن محمد بن حجاج المذحجي: إنّ الأوائل بنت في بيت بئر فاس العوامل قصرا و أعلاه سبعين سقفا بالحجر الرخام الأبيض ضرب فيه بعض الجيوش نارا احرقته و اخربته و ارتدم بعضه على بعض فرجع كشبه جدار عظيم و كان يبظر منه إلى مكة. و بنى الإمام أبو جعفر المنصور القبة الخضراء ببغداد لسبع طباق كلها عقود لئلا يرميها الهوى من علوها في الجو و كان ينظر إليها من هيت و تكريت. و بنوا ملوك العجم ايوان كسرى في المدائن و كان ينظر منه إلى حلوان، و يقال أن العمانية و صفها مذكور مشهور و إلا كنا ذكرناها على التمام و الكمال. و بنى الكوالي قصر ادور جدورهر في قلعة كواليز على تسع طبقات و ينظر منه مسيرة عشر أيام و هو إلى الآن قائم عامر. و كان في سلف الدهر على رأس قبة المسجد الأقصى ذرة فإذا اظلم الليل غزل نساء حوران في حوران على ضوءها غزل رفيع بناه سليمان بن داوود عليه السلام و أتم بناءها سليمان عليه السلام و خربه بخت نصر البابلي و كان ينظر منه مسيرة عشرة أيام. و قلعة ماردين تبان من الفرات مسيرة ستة أيام. و كوارى حصن جاهلي بنته بنت بكر من الهنود و بينه و بين السند و راواسان يبان من توران يعدع شط السند مسيرة خمسة عشر يوماً. و بنى مهراست بن ارجاسب في أيام درست الحكيم و جمة تول ادر في بلخ و نصب على قبة الوجمة علما اخضر فأخذ شدة الهوى العلم رماه إلى الأرض على مسيرة خمسة و عشرين فرسخا و ذلك لعلوها.

صفة جبل المذيخرة

و بلغني إنّ في أعلاه نحو عشرين فرسخا و طافتها المزارع و المياه و فيه و فيه ينبت الورس و هو معنى الزعفران و لا يسلك إلا في طريق واحد. و كان محمّد بن المفضل الداعي المعروف بشيخ لاعة، و هذه لاعة إلى جنبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة و ليست عدن ابين الساحلية، قال عمارة أبن محمّد بن عمارة إنّه دخل هذه عدن لاعة و هي أوّل موضع ظهرت فيه الدعوة العلوية باليمن، و منها منصور اليمن و منها محمّد بن المفضل الداعي. و ممن وصل إليه من دعاة الدولة الفاطمية أبو عبد الله الحسن أبن أحمد الشافعي الشيعي الكوفي صاحب الدعوة العلوية بالمغرب. و فيها قرى على محمّد بن محمّد بن علي المعلم الصليحي صبيا و هي دار دعوة باليمن. فكان محمّد هذا محمّد بن المفضل الداعي على أبن المعلم

على جبل المذيخر و خطب فيه لدعوة العلوية سنة أربع و ثلاثمائة. ثم استرجعه منه أصحاب اسعد بن يعفر أصحاب صنعاء.

صفة جبل شبام

و هو منيع جدا و فيه قرى و مزارع و جامع كبير و هو معلمة نفيسة و يرفع منه العقيق و الجزع و هي حجارة مغشاة فإذا عمل لهم و جوهرها. و ممن امتنع به من عمال أبي الجيش اسحق بن زياد سليمان بن طرف صاحب عثر و هو من ملوك تهامة، و اعماله مسيرة عشرة أيام في عرض يومين و هو من الشرجة إلى حلى، و مبلغ ارتفاعه في العام خمس مائة ألف دينار عثرية. و كان مع امتناعه عن الوصول إلى أبي الجيش اسحق بن زياد يخطب له و يضرب السكة على اسمه و يحمل إليه مبلغ من المال في كل عام و هدايا لا يعلم مبلغها و إما الذي سلم لابن زياد من اليمن حين طعن في السن فله من الشرجة إلى عدن طولا و له من غلافقة إلى صنعاء عرضا. و رأيت مبلغ ارتفاع أعمال بن زياد بعد تقاصرها في سنة ست هوستين و ثلاثمائة ألف ألف دينار عثرية خارجا عن المراكب الهندية و الأعواد المختلفة و المسك و الكافور و الصندل و الصيني و خارجا عن ضراب العنبر على سواحل بياب المندب و عدن و ابين و الشحر خارجا عن مغاص اللؤلؤ و عن ضرائبه على جزيرة دهلك و من بعضها منها ألف رأس منها خمس مائة و صيف و خمس مائة وصيف نوبية. و كانت ملوك الحبشة من وراء البحر تهاديه و تستدعي مواصلته. و مات أبو الجيش هذا سنة إحدى و سبعين و ثلاثمائة عن طفل اسمه عبد الله إبراهيم و قيل زياد تولت كفالته أخته هند بنت أبي الجيش و عبده أستاذ حبشي يدعى رشيد. و كان من عبيد رشيد هذا وصيف من أولاد النوبة يدعى حسين أبن سلامة و هي أمه و بها كان يعرف و نشأ حسين هذا حاذقا عفيفا، فلما مولاه رشيد توزر لولد أبي الجيش و لأخته هند و كانت دولتهم قد تضعضعت أطرافها و تغلبة ولاة الحصون و الجبال على ما في أيديهم منها. فأقام الحسين أبن سلامة يحارب أهل الجبال حتى دانوا و دان سليمان بن طرف أبن الحرامي و استوسقت له مملكة أبن زياد الأولى.

صفة صنعاء

صفة شرب أهل صنعاء من غيل البرمكي و قد تقدم ذكره موافق لمن شربه. و اهويتها بارة تشبه اهوية خرسان موافق لجميع البضائع لم يضر شيئا و خاصة الزعفران تبقى فيها ما شاء الله. و يوجد بها من جميع الأثمار و التفاح و المشمش و الأجاص و السفرجل و العنب و التين و الكمثرى و الورد و النرجس و

الياسمين و سائر المشمومات و الرياحين و البقول.
حدّثني قيصر مولى جمال الدين و الدولة جوهر إنّه يباع بها الفجل مشقق أربع، قلت: و لم؟ قال: لأنّه وجد امرأة تستعمله فلم بشرح حالها والي المدينة فأمر إنّ لا يباع الفجل إلا مشقق و أسسوها سنة. و يجمد بها الماء، حدثني سليمان بن منصور قال: إنّ الماء يجمد على الورا و الكرابي و لم يبان من أبدانهم سوى رءوسهم، فحينئذ يأتي درين و هو الثعلب علي الجليد يقطع رءوس الطيور. قال أبن المجاور: و هذا شيء لان كل بدن فيه الروح لم يجمد عليه شيء لان حرارة الغريزة تغلب البرودة و لم يجمد الماء إلا على شيء مات لان طبع الحياة حار لين و طبع الموت بارد يابس، فإذا كان الأمر على ذلك لم يستقم قوله و لا يستعين فعل درين. و أهلها من نسل العجم خرجوا من الحبوس و القيود في دولة يزدجرد بن شهريار بن بهرام و يقال كسرى بن قباد مع سيف بن ذي يزن لاستفتاح اليمن من الحبوش، و حكايتهم مشهورة مذكورة في كتاب مسطور. و ليس بجميع اليمن مدينة اكبر و لا اكثر موافقة و أهلاً من صنعاء، و هو بلد في حدّ الاستواء سواء و هو من الاعتدال في الهوى بحيث لا يترك الإنسان من مكان واحد طول عمره صيف و شتاء، و تتقارب ساعات الشتاء و الصيف. و كان لها بالأعظم خرب.

فصل خرج أهل اليمن في أيام سعد الخزاعي و هو من جملة التبابعة لاستفتاح المغرب فلما استفتحوها طابت لهم سكناها، و من جملتها مدينة صنهاجة. و لّما كسر النبي " الأصنام من الكعبة سرقت بنو مقبل لمناة ادخلوه الهند و تفرقوا بأعمال البلد سكنوها. و تنصرت بنو جفنة في أيام أمير المؤمنين عمر أبن الخطاب رضي الله عنه لأجل لطمة دخل بعضهم إلى القسطنطينية و إلى بلاد الادعوان و هم مناجمين أهل المغرب. و فيهم قال أبو تمام، و لّما دعا اسحق بن إبراهيم عليه السلام لولده يعقوب بالنبوة اغتاظ العبص دخل حرز الافرنج مع جماعة من بني إسرائيل توطنوها فولد الإفرنج منهم. و بنو عجل أخرجهم ربيعة و الأصح المرقعة اسكنوها خراسان. و صار ملك خوزستان على الرعية انتقلوا إلى أعمال الكر سكنوها. و خرج جيش عرب من بني تميم في أيام عمر بن عبد العزيز بن مروان استفحلوا السند فلما طابت لهم سكنوها فظهر منهم الكوكر و الحمت و السه و حاجر. و خرج جيش من إنطاكية في أيام عبد الملك بن مروان إلى المغرب فلما طابت لهم سكنوها ظهر منهم الملثمين، و يقال انهم من نسل مظلوم بن الصحصاح بن جندب الكلابي في الترجمة و هم من أخيار و كبار خوارزم أخذهم السلطان محمود بن سبكتكين نفاهم إلى أرض الهند فلما طابت لهم سكنوها. و لّما خرجت الاباضية على علي بن أبي طالب بأرض اليمن من أعمال العراق ولوا الأدبار و لا زال السيف ورائهم إلى إنّ عبرهم البحر سكنوا إقليم عمان. و أهل طرابلس المغرب و تحولوا في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى باري و

تولية. و بنو كنانة اخرجوا الإفرنج من عسقلان و سكنوها فلما تخربت تفرقوا في أكناف البلاد. و بنو حية خرجوا من الشام في أيام دولة الإمام أبي عبد الله جعفر المنصور و سكنوا المغرب. و لّما غزا بخت نصر بني إسرائيل الشام سكنوا اليهود نهر السبت مما يلي ظهر الحجاز. و لّما قويت صلة السلطان معز الدنيا و الدين أبو المظفر محمد بن سالم على الخوارزمية نزل من نيسابور ألف رجل مكتفين الأيدي مكشفين الرؤوس حفاة مشنقين في حبال المنجنيقات شتت شملهم و مزق جمعهم في أقاصي إقليم الهند. و لّما قويت شوكة السلطان علاء الدين أبو الفتح محمد بن تكش على الخطأ و التتار ساق منهم من أراد و أسكنهم أعمال كرمسل. و لّما قويت شوكت الترك على السلطان علاء الدين محمد نقلوا المسلمين من خراسان إلى بغداد و أوراق الشجر و القصران إلى أن عبرهم سيحون. شعر:

خليلي نومي عن جفوني مسهد و قل اصطباري بعدهم و التجلدُ

فقلبي عن الأحباب لا يقبل العزا و جفني قريح بالدمع مسهدُ

و إني حزين كلما مر ذكرهم بنو لكم بعضي و بعضي مفردُ

لئن جمعت بيني الليالي و بينكم و عاد زمان الوصل بالوصل مسعدُ

أصوم لوجه الله دهري تطوعا و ألصق وجهي بالتراب و أسجدُ

و بعض أهل صنعاء و جميع أهل المشرق على مذهب الزيدية و هو مذهب الأمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و ينسلخ من الزيدية المخترعة و المطرقة و هم الذين يقال لهم الصالحية و الجارودية لبسهم الخام لبرودة البلاد و لبس شبابهم الفتوحى و الله اعلم.

ذكر تفصيل الفتوحّى

جاءت عجوز بابي سعيد بن الحسين بن أحمد بن بهرام الحباهي و الأصح على أبن فضل إلى خياط يعلمه الخياطة، فكان الصبي يأخذ الثوب المفصل من أستاذه الخياط يخيطه في موضع لا يراه أستاذه، فلما طال ذلك سأله الخياط على انفراده و غيبته. قال له عليّ بالفضل: إني لآخذ الثوب منك فأصعد على أعلى ذروة نقم أخيط هناك و أفكر و أشرف إذا ملكت صنعاء من أي باب من الأبواب أدخلها. فلما سمع الخياط لفظ علي بن فضل قال له: قم نسكن جبل نقم فسكناه و صار كل من يقتل أو يهرب من دين أو مظلمة صعد إليهم آمن فلا زالوا على حالهم في مكانهم إلى أن التأم إليهم و انضاف إليهم خلق و عصوا في الجبل، و صارت سرية القوم تصابح صنعاء و تماسي . فلما أستقوى و ضعف حال ولاة صنعاء تملكها

فتولاها. فإذا هو على مذهب القرامطة و كان مولع بحب النساء يفصل لهم الفتوحى و كان يوقف النساء حلقة دائرة و يدخل هو في كم إحداهن و يتفرج على نهودها و أعكانها و أركانها و يمسك قماشها و يخرج من كمها إلى كم صاحبتها، و لا يزال إلى أن يدور على الجميع و لم تنكشف إحداهن إلى كل عندها ما عند صاحبتها و كل بروحها مشغولة. و يسمى الفتوحى لاستفتاح صنعاء و يقال إنّه فتح الخياط و كان يلبسوه نساء بغداد إلى أواخر دولة الإمام أبي محمّد الحسن المستضيء بنور الله أمير المؤمنين، و نسخت في أيام دولة أبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين، و لبس نساء جميع العرب و جميع التركمان و الكرد و الباذج و نساء أهل سيستان إلى الآن منه. و لهذا يقال للصنعاني يا أبا حسان ، حدثني يحيى بن عبد الله الخياط قال: زرع اسعد الصنعاني في أرض له شعيرا فلما بلغ الحصاد قال للحصاد: ألا و كل من أراد حصاد حنطة! فالتام معه خلق، فلما وصلوا الزرع و إذا به شعير. قال: فنادى بعض الحاصدين بعضهم: يا أبا حسان! يعنون صاحب الزرع لأن كنية اسعد أبو حسان أي كذب أبو حسان، فمن الحين و الوقت سنة أثنين و عشرين و ستمائة و يقال بالعجمية كندم نما جو فروش أي يظهر عين الغلال و حنطة و يبيع شعير، و هذا عيب عظيم. و لهذا يقال صنعاء محاصرة، حدثني سليمان بن منصور قال: إذا وقع في لحية إنسان من العرب يعني زيد شيء من فتات الخبز أو قشر أو شيء لا يليق به قول عمرو لزيد: صنعاء محاصرة! فيمسك زيد لحيته يهزها ليقع ذلك الشيء منه و يقول: حاشا صنعاء تحاصر و هذه اللحا باقية! و هي إشارة بين القوم كما قال:

و ما زلت اطوي مهمها بعد مهمه على حسرة حتى وقعت على صنعا

كما يقال في الشام: حلب محاصرة.

عجائب ذمار

لم يوجد فيها حية و لا عقرب و إذا دخل إنسان بحية إلى ذمار فعند دخوله الباب تموت الحية. و يقال إذا اخذ من تراب ذمار و شذر في سلة الحواء موت جميع حياته و هذا اعجب شيء يكون. و يقال إنّ أرضها كبريتية لا يقيم فيها من المؤذيات شيء إلا هلك و منها يجلب الكبريت إلى سائر أعمال اليمن. و يكون طول آبارهم ثلاثة اذرع.

صفة جبل لاشي

و هو جبل الشب. و مشارق ذمار بمسافة فرسخين جبل يسمى لشي و جميع حجره و مدره و يمينه و شماله و شأمه و بمنه قطعة واحدة لحب، و في صيد منه أي ضرس منه كهف و في الكهف بحر ماء حار

يغلي و كل مريض و يمرض من أهل البلاد يأخذ منه فدى كل على قدره يعرى به على باب الغار يترل و بعد ذلك يسبح في الماء و ما يخرج منه إلا و هو متعاف. و فوق منه مدينة مدور من جبالها يستخرج و تسمى المعدن و المقر، و مغارة صنعاء جبل اللوز و سرير ملك مدينة نعمة و من ورائها منامة و هي مدينة ذات طول و عرض. و جميع هذا الجبل يحمل اللوز لا غير.

صفة نكاح أهل هذه الأعمال

إذا خطب زيد بنت عمرو و انعم له بذلك يقول زيد لعمرو: أريد أشاهد جمال كريمتك، فيقول له عمرو: اقدم إلى السوق الفلاني فأنها تتوعد به شاهدها في بيعها و شرائها و جمالها. فيتقدم زيد إلى السوق الذي دله عمرو عليه فيقعد على قارعة الطريق. فتقبل خطيبته و على ظهرها كارة و على قدر شيلها تحط في السوق فتبيع ما معها و تشتري حوائجها. و ترفع كارتها على ظهرها. و يرجع خطيبها ورآها تقطع الجبال و الأودية و الشعاب و السهل و الجبل و اللين و الوعر، و هذا كله و لم تحط كارة من ظهرها و لم تسترح. فإذا أعجب الرجل حالها و جمالها و شيلها و بيعها و شراها و قوة صبرها على شيل الثقيل فعند ذلك يملك بها و يدخل عليها و تبقى على شغلها ذلك إلى الممات. و هذا زي القوم في البدو و البادية: و ألبسهم الخلم لبرودة البلاد. و يقال إنّ رجلا قال: اشتهيت على الله عز و جل مياه صنعاء في عدن و أحطاب عدن في صنعاء و كلاهما ملكي. و لم يعرفوا أهلها شعلا لسراج، حدثني محمّد بن منصور بن محمّد الواسطي قال: يطلع في أعمال تعز و صنعاء قضبان تسمى شوحط إذا أشعل رأس القضيب أشتعل شبه الشمع، و لم يشتعل في سائر الأعمال طول الدهر إلى الشوحط لا غير عوض عن السراج و الفتل. مأكولهم الحنطة و الحلبة و اللحم، و الشراب لا يقطعوه لا صيف و لا شتاء لا ضعيف و لا قوي. سفرهم إلى عدن و شرائهم العطب و العطر و الهندوان . و غاية اشتغال القوم في معرفة الجواهر و علم الكيمياء و علم النجوم و النحو و المنطق و الفلسفة و الهيئة و الهندسة و حساب الضرب و الجمل، و قوم يدعون الحكمة و فصل الخطاب. و بناؤهم بالحجر القديم يحفرون الأساسات القديمة و يستخرجون منه ألواح حجر طول اللوح أربعة اذرع في عرض مثله تكسر تلك الحجارة و تعمل و يبنى بها، و بناؤهم على تقاطيع بغداد في التفريض و التذهيب.

صفة وادي الظهر

حدثني عبد الله بن مسلم الزبيدي الوكيل قال: في أعمال صنعاء واد يسمى وادي الظهر ففي بعض السنين مطر غيث طحطاح و رحراح فسالت منه الأودية و رويت منه البلاد و سقي منه العباد، و سال أواخره إلى الوادي فمن حدة جريانه غسل الأرض من التراب و الحصى فظهر في بطن الوادي صخرة كبيرة عليها مكتوب:

أنا الذي قد أفنى ثمودا و عادا ثم أفنى جبلا

فمن يعمل قبيحا أو جميلا به يلقاه مكتوبا سجلا

فبقيت الصخرة في بطن الوادي يقرأها زيد و عمرو و يعتبر منه قيصر و جعفر عدة شهور. و بعد انقضاء هذه المدة جاء سيل أعظم من الأول طم الصخرة بالحصى و التراب و رجع إلى ما كان و لم يعرف أين كان إلى الآن.

من صنعاء إلى المحالب راجعاً

من صنعاء إلى حصن ثلاث فراسخ، بناه مشايخ بني معجن. حدثني منصور بن مقرب بن علي الدمشقي قال: إن تبع بني حصونا سبعة فمن جملتها كوكبان و حب و جبأ و بكور و صحم و عزان و ثلا. و إلى عزان فرسخ و نصف بناه الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة الحسيني. و إلى مسك أربع فراسخ. و إلى حجة فرسخين، و إما إقليم حجة فطويل عريض و من جملتها مائتين و ثمانين حصنا و تسمى المقطوعة و الجاهل و الإعرابي و قرن عشار و الشرفة و القطيع و جبل عمرو و الظفين و الرهبة و العيار. حدثني سليمان بن منصور قال: إنّ جميع ما تقدم ذكره حصون مانعة أعطاها الملك المسعود أبو المظفر يوسف بن محمّد بن أبي بكر مع ثلثين ألف دينار حتى سلموا إليه حصن بكور سنة ست عشرة و ستمائة. و إلى الذنائب خمسة فراسخ . و بكرى بهذه العمال الشقة الشقدف التي تلي الجبل بدرهم واحد و التي تلي الوادي بدينار. قلت: و لم؟ قال: لأن الآساد في هذه الأماكن كثيرة يكمن الأسد على سقيف جبل مشرف على المحجة فلم يحس الإنسان إلا و الأسد قد اختطفه مكابرة و العين ترى العين، و الذي مما يلي الوادي مخلص من خوف الأسد فانه قاعد على تل السلامة. و يقال إنّ اسود هذه البلاد متأسدة أي سحرة يقلبون صورهم على صورة الأسود. حدّثني علي بن معالي الدلال قال: إنّ اسود هذه البلاد قط لم تفترس حمارا و لا بقرة و لا ضأن و لم تقصد إلا أبن أدم، فإذا قصد الإنسان شجرة نزل الأسد تحتها و يبقى مدة ثلاثة أيام أربعة أيام و ينتظر الإنسان متى يتعب و ينزل فيأكله و ترى الإنسان يقول للأسد:

بالله عليك إلا ما عفوت عني! و هو يريد نزوله و يضرب بيديه الأرض و الشخص يحلفه بمعبوده إلى يعدو عليه. قلت: فما السبب في تأسد القوم فان الثواب في الظلم للعشيرة؟ قال: يتعلم السحر من بعضهم البعض و يتأسد الإنسان و يجتهد في إذاء الخلق بأوحش الصورة و الخلق، و انهم طول حياتهم بينها حكاية طويلة عريضة. و قد قال النبي " : كاد الفقر أن يكون كفرا. و إلى المحالب خمسة فراسخ .

من صنعاء إلى مأرب

حدّثني سلامة بن محمّد بن الحجاج المحجي قال: من صنعاء إلى مسور أربع فراسخ ، أرض بني باهش. و إلى وادي جنات أربع فراسخ . و إلى المأزمين أربع فراسخ .

ذكر هد سد المأزمين

حدّثني محمّد بن سلامة بن حجاج قال: سدت أهل شداد و عاد منفذ جبلين بالحجر و الرصاص و صعدوا في ارتفاعه إلى أن حاذى الحائط ذروة الجبلين، فصارت السيول تفلت فيه و الماء يستجمع إلى أن رجع بحر مسدود و كانوا يسقون من أراضيهم و إنعامهم، و يقال انهم كانوا يسقون منه إلى قرب الشام بساتين ذات أعناب و نخل و زرع و قرى متصلة بعضها ببعض، و بقي الإقليم عامر إلى أن أخربه الله، و كان الموجب ما ذكره الرازي إنّه خرجت قافلة من الشؤم و إذا بفأر قفز من الأرض ركب ظهر جمل من بعض الأجمال التي في القافلة، و لا زال الفأر ينتقل من جمل إلى جمل و يعبر منزلا بعد منزل إلى إنّ وصل مدينة مأرب قفز الفأر من الجمل و دخل السد و صار يعمل فيه عمله. و يقال أن النعمان خرج يوما في طلب الصيد فحصل في طرد الصيد فوجد الفأر بأنياب حديد يحفر السد. فلما رجع إلى أبيه المنذر قص عليه حكاية الفأر و صفة أنيابه إنّها من حديد يحفر السد. فقال المنذر: صح يا بني ما وجدناه في الكتب أن ما يخرب سد مأرب إلا فأر أنيابه من حديد، و أريد منك إذا دخلنا يوم الأحد إلى الدير و الكنائس و الناس فيه مجتمعون قم إليّ و شاكاني في أمر من الأمور و طول لسانك عليّ فإذا رأيت الأمر قد طال قم إليّ ألطمني براحة كفك على خدي. قال النعمان: و كيف يمكن ذلك ؟ قال: يا بني افعل ما أمرتك به لأن لي فيه رأي و لك فيه مصلحة. ففعل الولد ما أمره به والده، فلما لطم الشيخ غضب الشيخ من الحين سمي الملطوم فقام الشيخ بين الجميع و قال: يا وجوه العرب ما بقي لي معكم سكن. قالوا له الجميع: و لم؟ قال: كيف أحرفني صبي و كسر حشمتي بينكم و حرمتي! و من ساعته نادى على السد فتآلبت و ألتأمت قبائل العرب في شراه، قالوا: بكم؟ قال: تغمدوا سيفي هذا! و غرس ذؤابة سيفه على الأرض و

صارت العرب تنقل الذهب و الفضة و المصاغ إليه و لا زالوا على حالهم يصبون الذهب إلى غمد سيفه بالذهب. فأخذ الشيخ المال و صعد الجبل و سكن مقابل السد، و الجبل يسمى حقا، هو و أهله فيه ينظرون خراب السد. و لّما تمكن الفأر من السد و خرقه أخربه و ضرب السيل. حدّثني سلامة بن محمّد بن حجاج قال: لّما دفع السد أخذ الماء في جملة ما اخذ ألف صبي أمرد على ألف حصان أبلق غير البيض و الشقر و الدهم و الخضر . كما قال:

تهدم سد المأزمين و قد مضى زمان و هو ينقاد حيث يقاد

و إلى مأرب أربع فراسخ ، و تسمى الحصنين . و من هذه البلدة نقلت الجن عرش بلقيس إلى أرض فارس في زمن سليمان بن داود عليهما السلام، كما قال الله عز و جل :"أ هكذا عرشكِ؟ قالت كأنه هو". فقال:

مولاتنا و ولية آل الذي طالت كما طالت علا بلقيس

وقد قال الأديب الصابر في مدح السلطان اتسز بن ألب ارسلان حاجب السنجري: و بن صور كه مابدهي كسدي كارم دل نسابه و الآن نسرى.

فلما إندق السد أخذ مأرب في جملة ما أخذ فلما زال شر الماء و ضروه دارت الخلق عل موضعين سليمين منه صورين سمى أحدهما درب الأعلى و الثاني درب الأسفل و في الأعلى شارع يقال له شارع الفضول، كل من تلاكم و تعريد و ضرب لا يؤخذ له و لا يؤخذ منه حق، فإن كان خارجا عن الشارع وجب على كل حقه في الأخذ و الرد. قال: و حدثني رجل مغربي قال: و كان حسام الدين على لؤلؤ في صنعاء والي يقال له والي الفضول. كان من كان يتعلق عليه بحجة فكان يأخذ من كل واحد دينار. و هو على هذا الوضع و الترتيب: و يقال إنّ مدينة مأرب بناها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، و يقال عابر و هو هود عليه السلام. و يقال إنّما سمى سد مأرب إلا أن قوم عاد لّما سلط الله عليهم الريح العقيم و كان يقف على السد كل يوم كذا و كذا من رجل ليردوا من أصحابهم البلاء، و كانت الريح تضرب بعضهم على بعض كما قال الله عز و جل: "ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم". فبنوا السد ليرد عنهم قوة الماء، فلما عذب تلك الأمة اجتمع السيول فيه و كثرت المياه فبقي جرياً للماء فبنى عليه قرى و عمارات و زراعات إلى حدود الشام و كان يسقى منه جميع ذلك.

فصل

ولد لحصيص بن حصن ولد في مأرب أمسى علمه في حضرموت مسيرة ثمانية أيام لأن كل ناظور زرع كان يخبز صاحبه إما الخبز بحضرموت و ذلك من عمارة البلاد و كثرة العباد. بأعمال حضرموت العواهل جبل يسمى المعدن و هو معدن الفضة و جبل يسمى سرواح معدن الذهب و ترابه اصفر يشبه الزرنيخ لم أهل زماننا هذا عمله. و يقال إنّ قوم عاد كانوا يستخرجون الذهب و الفضة من هذين المعدنين و هم هذه الأعمال. ما بين إقليم العواهل و وادي بيحان جبل ملح لم يكتل عرب مذحج و البدو و البلاد إلا منه، و يقال بل يكتال منه عرب نجد و ما حولها من البدوان. و يوجد بهذه الأراضي النعام و الفهود و الظباء و الأيائل كثيرة. و جميع بناء القوم بالحجر الرخام المنحوت المنجور و كان ينقل في قديم العصر من قديم العصر من جبل يام و هو مقارب براشق مسيرة أربع فراسخ حصن أبيض.

من مأرب إلى الجوف

من مأرب إلى ورسان أربع فراسخ، بئر صغير من بناء قوم عاد. و إلى براقش أربع فراسخ، من أعمال الجوف. و إلى معين فرسخ. و إلى هرم فرسخ و فيه قال:

ما بين معين و هرم سبعون بئرا لابن نتم

مطوية بالساج من جوف القدم ما برحت لحم حاب لحم

غلبت عليها هذيل و عقيل و جشم

و إلى الجوف الأعلى أربع فراسخ، أرض بني دعام و به من القرى العادية معمور درب الظالم و السوق و دار عصبة و وحسان و سعموم و صيهد و القاع يزرع به الحنطة و الكمون، و كل هذه القرى عامرة بأهلها. و لا يزال القتال بينهم دائماً و مشانخ البلاد يدعون أموالهم بأرواحهم و الضعفاء يزرعون و يحصدون. و التي هي خالية من السكان السوداء و حراضة و درب بني محرم و العاصة. و في الجوف السوداء و البيضاء و معين و هرم و سرال و براقش و درب أقصى و مقعد الفيل و الجار و بردا و حمضة و حمض و الهجيرة و الله اعلم.

صفة هذه الأعمال

مساكن شداد و عاد و التبابعة و الجبابرة، بناؤهم بالحجر و الرخام و الرصاص و شيء منها نقر في الجبال كما قال الله عز و جل: " و تنحتون من الجبال بيوتا آمنين". و يقال إنّه كان يلين لهم الحجر في العام

شهر زمان و الأصح عشرة أيام ففي هذه المدة كانوا يعلمون منه ما أرادوا، فلما كفروا بنعمة الله عز و جل خسف بهم و تفرق شملهم و تشتتوا في أقاصي الربع المسكون و أدنى البحر المعمور شرقا و غربا و شمالاً و جنوبا. كما قال أبو نواس الحسن بن هانئ المعروف بالمذحجي في ذلك:

في فتية كالسيوف هزهم — شرخ شباب وزانهم أدب
لمّا أراب الزمان فاقتسموا — أيدي سبأ في البلاد فأنشعبوا
لم يخلف الدهر مثلهم أبداً — على هناتٍ لشأنهم عجب
لمّا تيقنت إنّ روحهم — ليس لها ما حييت منقلب
أبليت صبرا لم يبله أحد — و أقسمتني مأرب شعب

فرجعت الدور قبور و المساكن مساكن فاردمت بعضها على بعض. و تقلعت النخيل و الأشجار و طلع بدله العشر و الأراك و سكنت البدوان بيوتها الشعر و صارت الإبل ترعى بين عامر الخراب و تشرب ظباؤها من الندا، و السراب لبئس الشراب، و ساءت مرتفقاً كما قال بعضهم في المعنى:

يا صاحبي قفا المطي قليلا — يشفي العليل من الديار غليلا
هذهي طلولهم اطعن صبابتي — و تركن قلبي من عراي طلولا
و لئن خلت منهم مرابعهم فقد — غادرن قلبي بالغرام أهيلا
لو أن عبسهم غداة رحيلهم — حملن وجدي ما أطقن رحيلا
إنّ الظعائن يوم جزع مفحش — أبقين لي جزاع بها و عويلا
من كل رثم لا عديل لحسنها — رحلت فكانوا للفؤاد عليلا
كالبدر وجها و الغزال سوالفا — و الرمل ردفا و القناة ذبولا

و لآخر يقول:

يا قلب هل منك إن سليت سلوان — أم أنت في غمرات الحب ولهان
و لله ما طاب لي عيش أسر به — حتى يعود أصحابي كما كانوا
هيهات بانوا فلا و الله ما طمعت — نفسي بقربكم من بعد ما بانوا

يا لهف نفسي على عيش نعمت به — أيام لي فيه أوطار و أوطان
أقسمت ما سر قلبي بعد فرقتهم — خلق و لا لاح للإنسان إنسان

يسمى هذا الإقليم إقليم العواهل و هو بالطول من نجران إلى بيجان و بالعرض من روضة نسر إلى حضر موت.

من مأرب إلى صنعاء راجعاً

من مأرب إلى بئر موهل فرسخين، و إلى حربين فرسخين. و إلى طبال العاشر فرسخين. و إلى الرحبة فرسخين. و إلى صنعاء فرسخين.

من صنعاء إلى صعدة

على الطريق القديم. قال أبن المجاور: و كان هذا الطريق يسلك في أيام الجاهلية فلما ظهر الإسلام بطا. من صنعاء إلى مؤمل ثلاث فراسخ ، سرير ملك أعمال الخشب و هو من مساكن ثمود و الأصح مساكن التبابعة، و جميع ما بنى بالحجر و الجص المدن منها و القرى طول كل لوح حجر منه عشرة أذرع زائد لا ناقص و هو الآن كله خراب بناه. و إلى ثريد ثلاثة فراسخ ، من أعمال تومين و هما واديان. و إلى رأس نقيل ثلاثة فراسخ درجه اسعد الكامل. و إلى نقيل الفقع فرسخ. و إلى المصيرع فرسخ ، و فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صرع الكفار. و أنشد بعض العرب المصرعين يقول:

كلينا يا سباع و جرجرينا فو الله يا سباع لتفقدينا

علينا البيض و الدرق اليماني و أسيف تجر و تعذرينا

و إلى نجد قرش فرسخين و هو نقيل مدرج. و إلى العميشة ثلاث فراسخ . و إلى الدرب فرسخين و إلى صعدة فرسخين و الله اعلم.

ذكر خراب صعدة القديمة

فلما جرى على ذات النحيين ما جرى و رأى عمرو بن معدي كرب الزبيدي ما تم على المرأة حمل جمال رمل و قدم بها وقت الصبح الصادق إلى صعدة و قال لبني عمه: إذا دخلتم صعدة أسفقوا الزوامل الرمل بين دروقي الباب! ففعلوا ما أمرهم به و امتلأ دروقي الباب رملا. فعلم البدو يفأمر بغلق الباب فلما غلق الباب لم يجيء معهم الأكياس الرمل بين دروقي الباب. فحينئذ دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي إلى أرض الحجاز فتبعه رجل من البدو فلما دهمه جذب السيف و ضرب الصخرة التي تقدم ذكرها عرفت بضربة عمرو فلما نظر الرجل الضربة رجع عنه. و تم على قوة إلى أن خرج إلى الحجاز و أسلم على يد

النبي " و يقال على يد بعض الخلفاء و خرج من فتح العجم مع سعد بن أبي وقاص و قتل بأعمال نهاوند من إقليم العراق. فلما تم على أهل صعدة ما تم تراجعت الخلق من كل فج عميق فعمر كل مترله و مسكنه و سكن فيه، فلأجل ذلك هي خمسة دروب. و يقال إنّ صعدة القديمة كانت في الأبتداء عند حصن تلمص مع خراب صعدة و أعمالها بناها الهادي يحيى بن الحسين.

بناء صعدة، بناء الشرف

بنى في دولة الإمام أبي موسى محمّد الأمين بالله أمير المؤمنين. و يقالبنى قديم بناء الجاهلية و الأصح إنّه بنى في أيام بناء صعدة صنعاء و لا شك إنّها بناء سام بن نوح عليه السلام. و إما صعدة هذه فإنها لّما خربت صعدة القديمة و تم على أهلها ما تم جاء يحيى الهادي بن الحسين أراد بناء مسجد في هذه الأرض فجاء إليه تاجر فقال: وكلني على بنائه! فوكله و بنى التاجر المسجد، فلما فرغ بناءه قال له الهادي: أ حسبت حساب الخرج؟ قال التاجر: معاذ الله أن أخذ على بناء بيت الله أجرة و ثمن! و سكن الهادي يحيى بن الحسين المسجد بمقامه فسكنت معه الخلق فكثرت الأمم فبنوا مدينة و أسواق و دور و أملاك فلما رأوا ذلك أداروا عليه أربعة دروب: الدرب العتيق، و درب القاضي، و درب القر بني في أيام سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، و درب القاضي أبن زيدان. و يحوي هذه الأربعة الدروب درب واحد و هو السور، و ركب على السور باب الدرب العتيق و باب علي بن قاسم و باب درب المعز و باب درب القاضي أبن زيدان و باب حوت و باب درب الإمام. و إما درب الإمام فهو حصن بناه أبو محمّد بن عبد الله بن حمزة ما بين الشمال و المشرق منفردا بذاته لم يخالطه شيء قريب من البلد لم يسكنه إلا الأمام و عترته. و صورته على هذا المنوال في الصفحة الثانية بعد هذه .

و إما البلدة فانه عامر كثير الخلق و الخير ذات معاش، شربهم من الأنهار و الأعين و زرعهم الحنطة و الشعير، ذات أشجار و أنهار. و لبسهم الحرير و القطن لأن البلاد ظاهرها حار بالمرة و باطنها حار لبن. و هم قوم أخيار يدعون الحكمة و معرفة الجواهر و العلوم العلوية و هم على مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين أبن علي بن أبي طالب جميعا و هم شوكة القوم في المذهب.

فصل

حدّثني علي بن محسن الجبلي قال: إنّ بني العباس لم تهب أحدا إلى الزيدية . قلت: و كيف ذاك؟ قال: لأن السنة و الجماعة من حزب الأئمة بني العباس و تقول الشيعة و الإمامية: لا الإمام إلا من ضم العصا

و أورق العصا، و هم مع ذلك ينتظرون خروج الإمام المنتظر محمّد بن الحسن، فهم الآن يفرقون من الفريقين. و إما شوكة البلاد فهم الزيدية لأن عندهم كل إنسان عفيف متدين شريف من آل الحسن بن علي بن أبي طالب يكون فيه خمس خصال فهو عندهم إمام واجب الطاعة فكل من قام على هذه الصفة قامت الزيدية معه و قاتلوا بين يديه. و وقع أحمد بن عبد الله بن حمزة بخزانة ساج في نواحي صعدة و ظهر لهم في جملة ما ظهر أربعمائة زردية داوودية غير السلاح و العدد و وقعوا بمطلب ذهب و لكن ما صح لهم منه شيء لأن عليه طلسم لم يمكنهم الدخول إليه سنة أربع و عشرين و ستمائة .

من صعدة إلى ذهبان

من صعدة إلى الحوانيت أربع فراسخ ، بناه اسعد الكامل في وادي سجع بنى هذه الحوانيت سكنة لّما عزم أن يعمر نقل حرف العراق. و إلى خطم البكرات فرسخين. و يقال إنّما عرف هذا المنزل بهذا الاسم إلا لان عفريتا من الجن قال لرميم بن جابر الشاعر: أنشدني بيتا و أنشدك مثله حتى ينصر من يغلب صاحبه على شرط انك لا تذكر في شعرك الديك. قال: نعم. فما زال هذا يقول بيتا و هذا ينشد صاحبه مثله حتى عجز رميم بن جابر فقال:

و ديك أحمر سليماني ما يلقى بحافته جنى و لا حيث يسمع

فلما سمع الجني ذلك طار في الهوى و نزل أخذ صيدج بكرة رميم بن جابر فصيحها قطع. فلما رأى رميم ذلك حزن على بكرته و صار يبكي و ينقش صورتها في الأحجار فما في هذه الأمكنة حجر إلا و فيه صورة الناقة، فعرف الموضع بخيم الركاب، و فيه يقول:

فما في الصبايا مثل ميا صبية و لا في المطايا نضوة مثل صيدح

و قال أيضاً:

و اصبح في شق المشورة قاعدا و صيدح ترعى بين عيس قناعس

و إلى القديم فرسخين، و هو موضع قوم كما قال:

أمسى قومي بلحي و غادرني كريم و عاد سن أيام أرى القديم

و هذا يام بن أصنع و سكنهم بوادي الخانق و الحقة. و إلى ملتقى الأودية فرسخ. و إلى غسل جلاجل فرسخين. و إلى المحلف فرسخين موضع قوم. و إلى البصرة فرسخ. و إلى وادي نقوص فرسخين. و إلى الجبل الأسود فرسخ. و إلى السراوات فرسخين. و إلى رفيدة فرسخين. و إلى طريب فرسخين. و إلى ذهبان فرسخين. و تسمى هذه الأعمال بيشة العباس بن مالك بن عمرو بن وائل يرجع إلى نزار.

من صعدة إلى نجران

من صعدة إلى زهران ثلاثة فراسخ و هو لابن ملك لآل عبد الله بن حمزة لأنّه اشترى أرضها من أربابها بيع ة شراء و كان لقوم يقال لهم الأقواش رأس الركب. و إلى الحد ثلاثة فراسخ . و إلى الركب ثلاثة فراسخ، وادٍ عظيم يجري على الصفا و إلى الخانق ثلاثة فراسخ ، و ماء جاري أوله يجري من الركب. و إلى كوكبان فرسخين، و منه يخرج إلى نجد، و وضع هذا الحصن ما بين نجد و جبال اليمن فهو حصن مانع سرير ملك نجران. و إلى الحقة ربع فرسخ. مدينة الأصل نجران و عليها المعول في البيع و الشراء، و ينقسم أهلها على ثلاث ملل: ثلث يهود و ثلث نصارى و ثلث مسلمين، فالمسلمين الذين بها ينقسمون على ثلاثة مذاهب: ثلث شافعية و ثلث زيدية و ثلث مالكية. و هي المدينة التي كانت لأصحاب الأخدود و هي التي قال الله عز و جل فيهم: "قُتِلَ أصحابُ الأخدودِ الناِر ذاتِ الوقودِ إذ هم عليها قعودٌ" و إلى قابل ربع فرسخ. و إلى حبونا أربع فراسخ . و إلى قرقرة أربع فراسخ و الله العلم.

صفة مدينة قرقر

حدّثني الرازي إنّ قرقر كانت مدينة عامرة بها ثلاثمائة و ستين محلة فيها ثلاثمائة فارس خربت لاختلاف الأمم.

فصل

وجد زيد البدوي عمرو القرقري قاطنا في فلاة نجد مع البدوان فقال زيد لعمرو: ما لي أراك في جنوب نجد؟ بعد أن كنت في أكناف قرقر بألف غزور غدوت الآن أراك رد الشرد فأنشد عمرو القرقري يقول:

أحب دخول بين أدوار قرقر و يمنعني دين علي ثقيل

و أو كان ديني ينقضي لقضيته و لكن دين القرقري قتيل

و كان يقوم تحت قرقر سوق تسمى العمدين و ما عرف هذا السوق بهذا الاسم إلا إنّ مشايخ العرب كانت تقيم بهذه السوق عامود ذهب و عامود فضة يعرف السوق بهما، و رجع الآن سوقا للعمل بين أرض قفر تزرع به و تحرث، فراح الجسم و بقى الاسم. ولاها قوم يقال لهم بنو عبد المان و هم قوم شداد بن عاد اللين القياد ذو الجياد. و فيه أنشد بعض العرب يقول:

و لولا بنو عبد المدان و خيلها لحلك يا نجران بعض القبائل

و قال آخر:

ألست تعلم إنّ قلبي يحبك أيها البرق اليماني

لإن أقتلكم قتلا دينا فلا شيخ يدب على البنان

و إن أقتل فمقدور و لست و في قومي على سرج الحصان

و إن أقتل فقد قتلت قريش و قد قتلت بنو عبد المدان

و القوم لا يطيعون لملك الغز و لا لسلاطين العرب، و آخر من تولى من بني عبد المدان أخوان يقال لأحدهما القاضي و للثاني القاضي. و في عهدهم دخلت عليهم يد الأمير محمّد بن عبد الله بن حمزة معهم حتى صار يصل إليهم نصف دخول البلاد لان الأمير محمّد بن عبد الله و أخاه أحمد ولدي عبد الله بن حمزة تزوجا بأخوات القاضي و القاضي أبني صعيب بن عدنان أبن عبد المدان سنة ثلاث و عشرون و ستمائة.

صفة بئر الصفر

أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يحفر بئرا في بعض أعمالها ذات غمق و سعة و طول و عرض و أن يطوى بالصفر المصبوغ منه شبه الآجر و يسبك فيما بينه الرصاص، فبنى البئر على ما تقدم ذكره و هو باق على حاله. ويقال ما بناه إلا رجل من و جوه العرب في زمن الجاهلية فاندثر و استتر مع طول المدى، فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعاد بناءه فبقي على ما تقدم ذكره. و البئر من جملة العجائب.

صفة نجران تهامة

من حرض إلى قرار ثلاثة فراسخ . و إلى نجران فرسخين، و هي قرية مختصرة و يسكن أهلوها في أغصاص بعكس بعض و هم في التغصص يتجرعون الغصص و يقرون القصص. و إلى الحاوة ثلاثة فراسخ . و إلى حدب أربع فراسخ . فان قال قائل: كيف يفرق بين السمين؟ قلنا: هذه قرية مختصرة تحت تهامة اليمن خربة و الثانية إقليم طويل عريض عامر تحت من شمال نجد اليمن و سرير ملكها، فهذا غلام و ذاك سلطان و هذا كرة و هذاك ميدان. و يسمى إقليم نجران وادي سوحان. قال أبن المجاور: دل على إنّ هذا الأقاليم بناه العجم لن دار بهمن بن اسفنديار في أعمال المدائن قصبة تسمى دار ريحان و لا شك إنّه هو

الذي بنى هذا الوادي و يسمى على الاسم المقدم ذكره في أعمال المدائن سوحان. و فيه أنشد رميم بن جابر:

شبهتها قوس شريان مجزعة مما يلذ بها الرامي فيحيها

شبهتها مهرة عذراً محجلة عند الملوك ليوم الروع ساريها

شبهتها جونة مال النسيم بها الطل من فوقها و النهر يسقيها

و وادي العلائم كما قال بعضهم: و بالنجران وادي الخسف و وادي العلام. قال أبن مجاور: و ما اشتق اسم الخسف إلا من الخصب و أراد بذلك وادي الرفاء و يهيب بها ريح الطرف مدة أثنى عشر ليلة فيهلك الزرع و الكروم، و فيه بعض الأعراب يقول:

و قد سلمت نجران في الطرف لم يزل ببحران منها قبة و عروش

و بعضهم ينشد لرميم بن جابر:

و ليلة من ليالي الطرف مظلمة سودا جمادية قد بت أسرابها

فصل

قال أبو بكر: مما بحران مأخوذة إلا من قولهم بحرت الناقة إذا شققت أذنيها و البحيرة مشقوقة الأذنين. قوله تعالى: ما جعل الله من بحيرة و لا سائبة، و هي الناقة التي وهبت عشرة بطون فلم تركب و لا يجز لها وبر،و لا وصيلة و الوصيلة الشاة إذا وهبت ستة بطون عناقين و ولدت في السابع عناقاً و جديا فيقال وصلت أخاها يحلبون لبنها للرجال دون النساء، و لا حام، فهو الفحل من الإبل إذا ولدُه ولدَه فلا يركب و لا يجز له وبر و لا يمنع من مرعى و الله اعلم.

القول في زوال ملك آل حمزة

و حصولها لبني الهادي

فصل

و يسمى الفحل عند العرب العر و رهانه إنّه إذا أوجعه موضع أو ثار عليه هواء أو داء يحتاج الكي يؤخذ بعير غيره يكوى فوق الريح و يكون العر واقفه تحت الريح يصل روائح حرق الكي إلى العر فحينئذ يبرأ من دائه و يصح، و كما قال النابغة:

و حمدتني ذنب أمرء و تركته كذى العر يكوى غيره و هو راتع

و لِمَ لا يكون لحليب الإبل زبد؟ حدثتني فاطمة بنت علي بن مسعود قالت: سألت امرأة مويلية من أهل اليمن عن هذه قالت: إنّ الأوائل كانوا يستخرجون الزبد من ألبان الإبل ثم قالوا: نتركه. قال لأن امرأة خاصمت ولدها فتعاطى الولد إلى الخذف فخذف الصبي حجرا إلى صوب أمه و كان في يد الأم كبة زبد من حليب النوق فرجمت بها ولدها فوقعت كبة الزبد و هي جامدة كالحجر على مقتل الصبي فمات، فلما جرى هذا الأمر نادت مشايخ العرب في قبائلها على ترك مخض لبن النوق بالمرة، فقالوا: نتركه إلى الآن. و قال حكيم: إذا دهن زيد رأسه من دهن الإبل لم يقلعه شيء، و لم يتنظف الشعر إلا إذا حلق الشعر لأنّه غليظ بالمرة.

ذكر الطريق إلى الرضراض

كان من نجران إلى البصرة طريق الرضراض و كان المسافة فيما بين هاتين المدينتين سبعة أيام. و قد بني على حدّ كل فرسخ منه ميل بالآجر و الجص من بناء عمرو بن معدي كرب الزبيدي، و الأصح من بناء النعمان بن المنذر لّما خرج من أرض اليمن طالب العراق، و الأصح إنّه بناء سيف بن ذي يزن لّما خرج إلى ناحية العراق و استنجد بكسرى بن قباذ بن يزدجرد بن هرمز ملك من ملوك الفرس، و الأصح إنّما بنته عرب جاهلية لّما سكنوا أرض نجد لأنهم كانوا في تلك الديار شبه السوس في الأرض و الناموس الحفر.و إما المناهل التي كانت في المنازل قديمة الحفر. و بنوا البنيان قصور من باب صنعاء إلى العراق واحد في حد الآخر. فإذا كان خوف في اليمن أو فرح حسن أشعل على أعلى ذروة كل قصر و كان يبصروه في ذروة قصر في نواس تفيل عجيب فكان يبصروه في حصن قرن الجند و منه كان يدخل نجد. و قد بنى في نجد قصر و لعان و في الصعيد من أعمال صعدة و كان يشغل في ولعان و كان يبصره في قصر فوق الخبت و منه كان يدخل نجد. و قد بنى قصر في قرب آخر من أعمال العراق فكان إذا اصبح الصباح يصبح الخبر عند أهل البلاد بما نجز من خير و شر و نفع و ضر، كما قال:

يبلغ الصارخ العراق بيوم و في مدى ليلة تأتي المغير

ذكر انقطاع طريق الرضراض

حدثني محمد بن سلامة بن محمد بن حجاج قال: ركبت امرأة لبعض البدوان و يقال بنت عمرو بن معدي كرب ركبت أتانا على نحي سمن أي ظرفين. فبينما هي غادية إلى الفلا صادفها عابر طريق و سالك سبيل فراودها عن نفسها فأبت إنّ تعطيه، فقال لها: إنّ كان لا بد فاسقيني سمناً! فقالت له: أهلاً و سهلاً اشرب! و نزلت بالظرفين فحلت رأس أحدهما فشرب الرجل منه شيئاً و قال: ليس هذا سمناً طيبا. ففتحت له الثاني فشرب حاجته و قال: لها امسكي! فأمسكت الظريفين. فحينئذ قام و كشف وراءها و جامعها و المرأة خائفة إنّ تخلي السمن يتبدد، و لا زالا على حالهما إلى إنّ فرغ منها. فشدت رأس النحبين أي الظرفين و أركبها أتانها و مضى و مضت وراء شغلها و تم الرحل على ذلك. فعلم أبوها و يقال أخوها عمرو بن معدي كرب الخبر فجاء و سدد الآبار و هدم الأميال و نقض القصور ليقطع سلوك الطريق، فلما طم الآبار سقى الرمل فظهر ما بقي منه و انقطعت الطريق. و عرفت بذات النجبين يعني المرأة و الظرفين و الله اعلم و احكم. و هو رمل شبه دقيق السميذ دون أعمال التنعيم مما يلي ظهر اليمن لم يقدر أحد يسلكه لرفعه، مسيرة هذا الرمل شهر كامل و يقال أيام. و هو الذي يسمى رمل عالج و هو الرمل الذي هو على شفا طريق الرضراض قطعه بعد أن منعه. و يقال إنّما دخل سيف بن ذي يزن إلى العراق و ورد إلى اليمن بعساكر الفرس إلا على حده، و كانت المسافة فيما بين الإقليمين سبعة أيام و يقال عشرة على ما تقدم ذكره. و يقال برواية أخرى إنّ عمرو أبن معدي كرب كان وراء الفلاة مع الظعن لّما سدد الآبار سقا السافي طم ما بقي من الباقي و جاء في خلق عظيم ملك صعدة بعد إنّ أخربها، و قد تقد ذكر خرابها. فلما خربت المدينة بنت العامة موضع الخراب بعينه، و يقال لب قريب منه، و الأصح إنّه بني في وسط الخراب و قالوا: نترك الأطراف! و يقال إنّما غزى القوم إلا بدوي من ذات الأكيك و ذات الحرمل، وفيه يقول عنترة:

طال الثوى على رسوم المنزل بين الأكيك و بين ذات الحرمل

فلما ضاق على البدوي الأرض اسفى الأرض في ديارهم خرج إلى الحجاز و فتل على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. و يقال إنّما ينتقل الإنسان من مكان لأربع خصال: لرزق يستوفيه أو موت ليقضيه أو لسعادة تأتيه أو لشقاوة تستوليه. حدثني هشام بن مسعود النجراني في دار الإمارة قال: إنّه كان هذا الطريق ينفذ إلى الكوفة، أو قال: إلى البصرة، و كان أهل اليمن يسافرون إليه بالحمير و عليهم الأدم إلى إحدى هاتين المدينتين في العام مرتين. قلت: و على أي الأمكنة كان مسلكهم؟ قال:

على اليمامة و الحساء و البصرة. قلت: و متى كان عهدكم بعمرانه؟ قال: سنة عشرين و خمس مائة و قال:

لمّا رأيت سلوى غير متجه و إنّ غرب شفاري عاد مفلولا

دخلت بالرغم مني تحت طاعتكم ليقضي الله أمراً كان مفعولا

و قال آخر:

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما إلى هذا السبيل

تمسك إنّ ظفرت بود حرّ فان الحر في الدنيا قليل

صفة إقليم نجد

نجد أرض عالية ذات آكام لطاف حرة صافية الجو معتدل موافق لمن سكنها و دخلها. و بنوا فيها الأوائل أربعين قصراً مجتمعة و الأصح متقاربة تسمى في العراق قصور نجد، و تسمى عند أهل البلاد السكيت و يقال معاصم، بنى بالحجر و الجص ذات إكام و مكنة للربيع بن زهير و عمرو بن معدي كرب و عنتر بن عمرو بن شداد. قال الراوي: كنت ادور مع البدوان في فلاة نجد فنجد بين شجر الأراك آبار طويت بالحجر و الجص و قد أدخل في جملة البناء أخشاب الساج، و كنا نجد الكرم حاملاً بالعنب ألوان مختلفة و نخلاً حاملاً بالخلال و شجر التين و الخوخ و الأجاص و من جميع الفواكه. و لا شك إنّ هذا الإقليم كان عامرا و فيه بساتين عمرت على تلك الآبار و جميع ذلك موجود في أرض نجد على ما ذكرنا ما دنا منها و ما قرب و الله عز و جل احكم.

صفة ماء الهباءة

و الأصل فيه على ما ذكره الراوي إنّ الهباءة هو غدير طويل عريض عميق ليس فيه قرار لأحد من شدة جريان السيل يترل من جبال عظيمة عالية. شامخة. و فيه يقول القائل:

يا جبال الشام يا شمخ الذرى أقواطي بلاك الله بالمحل

و يجري منه إلى وادي إلى الأرض فمن حدة جريانه مع طول المدى حفر الأرض إلى البيوت و كثرت عليه السيول و أملي ماء فرجع بحيرة ما ينقص منه الماء، و لو غرف منه أهل البادية و سقى و استسقى منه الأموال و النعم لّما نقص منه الماء و لا بان منه مقدار إصبع. و فيه قتل قيس بن زهير بن جذيمة أبن

أبي سفيان أولاد عمه لأنّه وصل إليهم فوجدهم يسبحون فركب السيف عليهم و قال: إنّ ماء الهباءة أورثني الذل و رحت ظالما أو مظلوما. و قال:

شفيت النفس من حمل بن بدر و سيفي من حذيفة قد شفاني

فان أكو قد شفيت بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني

و بها قتل عنتر بن ربيعة بن زبيبة أربعين فارساً من وجوه العرب. و هذا الماء مجتمع القبائل و الفتن و بهذه الأماكن مسكن عنتر بن زبيبة و قيس بن زهير و عمرو أبن معدي كرب و غيرهم من كبار العرب و رؤساءها. قال الراوي: و نجد في الفلاة نجد حيث لا عمارة و لا سكن قبور بنيت بالآجر و الجص ألوف مؤلفة لم يعلم أهل زماننا لمن تلك القبور. و عن محمّد بن أبي حامد قال: حدثني أبو بكر الشاعر إنّه قرأ على قبر:

الموت أخرجني من ديار مملكتي فالتراب مضطجعي من بعد تتريفي

لله عبد رأى قبري فأحزنه و هاب من دهره ريب التصاريف

هذي مصير ذوى الدنيا و إنّ جمعوا فيها و غرهم ريب التساويف

أستغفر الله من عمدي و من خطأي و أسأل الله عفواً يوم توقيفي

و من جملة القصور حجر عبد الله قصر بني على أكمة عالية بالحجر و الجص و بالآجر و الجص و بعد بالآجر و الجص، و بعده قصر عنتر بني بالحجر و الجص و الآجر و الجص بناء و ثيقاً محكماً، و بعده بئر العاصمية.

صفة بئر العاصمية

بنيت على أربعة و عشرين عمودا ستة أعمدة مقابل سنة و هي مربعة و طوى ما بعده بالحجر و الرخام طول كل حجر منه عشرون ذراعاً بالجص مدرج يترل إليه بدرج، و من يوم بنيت إلى هذه الغاية ما نزفت و لا وجد لها قرار. و هو بناء عجيب لب أعمال سلات. و بعده مدينة الهجرة خرب البلد و بقي في أوسطه القصر عامر سكان بأهله و قد حفر في أوسطه بئر يروي منه العرب إبلها و ظعنها. و مشرق العاصمية قصر الصبية. و النخل مستدار حول القصور ليسكن بل لذخر متاعهم من السمن و الأقط كل ما يصل إليهم سيله. و هو على هذا الوضع و الله اعلم.

ذكر أودية نجد

الحساء و اليمامة و تحت منه الأكيك و ذات الحرمل، و هذه الأماكن أودية مشرفة و العواهل و العويهل نهن و سهل و جاش و عشرون الرمل ما بين هجران و الهجيرة و وضع ما بين الهجيرة و مكة. فإذا كان فضل الغيث و أورى ظعنه و كل يطلب أرضه و فلاته بروايا المحلة. و فيه يقول:

لولا شفاها ذا طرز زمانها و حمل الروايا كان من جاء يفرس

و قال آخر:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر و الأقدام قتال

و هذه العشرة و الأودية إذا مطرت جرت في فلات نجد و يصل أواخرهم إلى البحر المالح.

ذكر الكرم

قال حكيم: الكرم هو دينار عشرون قيراطا منه للعرب و أربعة قراريط منه في سائر الأمم و العالم. و البخل هو دينار و عشرون قيراطا منه في الروم و يقال في الهنود و الأصح في المغاربة و أربعة قراريط منه في سائر العالم. و يقال أوّل من أطعم الكسرة إبراهيم الخليل عليه السلام فهي سنته. و يقال ثلاثة هم أصحاب الأعراف: أبو طالب لتربيته النبي " و انوشروان لعدله و حاتم لكرمه. و يقال إنّ بعض العرب شرع في طعم الكسرة و أراد أن يعادل حاتما في زمانه فجاء إليه ضعيف يطلب منه فأعطاه ما سأل فرجع السائل إليه ثانية و ثالثة و رابعة و خامسة. فقال المدعي: يا أخي كف فما أنت إلا قليل الوفاء كثير الجفاء هذه لك خامس مر أو سادس مرة. فقال السائل: إنّ حتما بنى قصرا ز فتح به أربعمائة طاقة و الله إني كنت ادخل في كل يوم من كل طاقة أربعمائة مرة بلا عاقة و كنت أكون في الأول شبه الساقة. كما قال:

أجاد جميل مرة بعد مرة و ما الجود إلا عادة لجميل

فلما سمع المدعي كلام السائل قال بترك ما كان قد أسس من بنائه المجصص. و كان حاتم طيء إذا قدم الزاد قدم الضيوف و فضل منه شيء لم يرده إلى منزله بل يخليه على حاله. كما قال:

رحانا و خلفنا على الأرض زادنا و للطير من زاد الكرام نصيب

و إما عرب الفلاة فلا يتغدى أحدهم إلا قرب الظهر و لا يتعشى إلاّ قرب نصف الليل و ما يؤخرون الغداء و العشاء إلاّ لأجل الضيف الذي يقدم عليهم. فإذا وصلت قافلة إلى حلة عرب يخرج أهل الحلة إلى القافلة يمسك كل واحد منهم ثلاثة أربعة انفس من أهل القافلة و كذلك من يكون في البيت قليل النهضة

ينادي بأعلى صوته: إلي يا وجوه العرب بارك الله فيكم و يشير بيده إلى الإنسان. فإذا حضر عندهم رجل عزيز القدر ينحر عليه رأس إبل و إنّ كان عابر سبيل يذبح عليه شاة و إن كانون جماعة و تكون الضيافة لرجل واحد من بين القوم يقدم صاحب الدور قدام الزور و الآلية و يعلم من حضر إنّ الدعوة لذلك الرجل الواحد و الباقون طفيله و المستورين يأخذ صاحب الدار رغيف يكسره ثلث أربع كسرة يرميه قدام إنسان يكون الدعوة لذلك الشخص. و يسلق اللحم بالماء و يثرد الخبز و يقلب عليه السمن الكثير فيشرب اللحم بالمرق و يفرق جميع اللحم على الثريد و هذا طبيخ العرب خاصة يسمونها العربية.

فصل

نزل جماعة شعراء على رجل من الأعراب في برية قفر فقام الأعرابي يجزر على القوم بعيرا كان عنده فأضافهم تلك الليلة. فلما انبسط القوم من الحديث قال الشعراء للأعرابي: من أي البلاد أنت و كم أنت في رجل و كم معك من المال؟ فقال لهم الأعرابي: أنا رجل غريب نازل هذه الأرض و ما لي من العشيرة إلاّ امرأة عجوز و ما لي من المال سوى الجمل نحرته عليكم. كما قال:

الجود طبعي و لكن ليس لي مال و كيف يصنع من بالقوت يحتال
فهناك خطئ إلى أيام ميسرتي دينا على ولي في الغيب آمال

حكاية

عن أبي عمرو الدمشقي قال: خرجنا مع أبي عبد الله بن الجلال إلى مكة لم نجد ما نأكل فرفعنا إلى حي في البرية و إذا في الحي أعرابية عندها شاة فقلنا لها بكم هذه الشاة؟ فقالت: بخمسين درهما. قلنا لها: احسني! قالت: خمسة دراهم. قلنا لها: تنهرين. قالت: لا و الله و لكن سألتموني الإحسان و لو امكنني لّما أخذت شيئا. قال أبو عبد الله بن الجلال: ايش معكم؟ قالوا: ستمائة درهم. قال: أعطوها و اتركوا الشاة لها! فما سافرنا سفرة أطيب منها و الله اعلم.

ذكر ذمام العرب

إذا مسك عربي لصا أو ربيطا أو من يكون له عليه دم فإن أكل الربيط في بيت صاحبه تمرا أو لحما قتله بعد يومين و ليلتين و قيل بعد ثلاثة أيام و يقال بعد سبعة أيام. و إنّ أكل خبزا قتله بعد يومين و ليلة و قيل يومين و ليلتين و يقال بعد سبعة أيام. و إن شرب ماء في بيته بعد يوم واحد و يقال بعد ساعة

واحدة. و إن شرب حليبا احرم عليه دمه بعد ثلثة أيام بلياليها. و يقال إنّ السلام يكون في ذمامة إلى أن يغيب كل من صاحبه فان سلم عليه صاحبه بطل حقه و أمن من جميع ما يكره. قيل: و لم ذا؟ قال: لان اللحم يبقى بمعدة الإنسان يومان و ليلتين و يبقى الخبز يومان و ليلة و يبقى الماء يوما واحدا. و السلام ما يغيب عن النظر فما تقتضي المروة أن تقتل إنسان و خبزك في أمعاءه.

فصل

هجا دعبل بن علي الخزاعي بن عبيد الله الخزاعي فلقيه المطلب في طريق فقال له: سر معي إلى منزلي! فذهب به. فلما دخل قال: و الله لأقتلنك شر قتلة. فقال له دعبل: لا تقتلني و أنا جائع أشبعني و افعل ما شئت ستجدني إنّ شاء الله من الصابرين. قال له: ما احسن ما طلبت النجاة! إنّ أطعمتك و جبت الحرمة و الأمان و إنّ لم أطعمك بخلت أي بخل. فقال دعبل: و الله لا ذكرتك بسوء أبداً. فأطلقه و أحسن جائزته. و إذا عض الذي عليه الدم ذيل امرأة أو طفل يحرم ذنب المذنب على صاحبه. فإن هرب الذي عليه الدم إلى بيت إنسان استجار به فأن عفي عنه صاحب البيت الذي جرم بينهم و حكى إنّ قوماً استجاروا بحجر بن مهلهل فأجارهم من الهوى و بني لهم سورا من الحجر و الجص و نصب على السور سرادقات من الأدم و لم يخلي الهوى يهب عليهم.

فصل

نزل سقاء بئراً بطريق مكة يبرح منه الماء في دلاء لقلته فرحل الحاج على غفلة بقى السقاء مكانه ثلاثة أيام بلياليها، فبعد انقضاء هذه الأيام قدم رجل من وجوه العرب فأدلى دلوه فنظر الأعرابي السقاء في قرار البئر فاستقى و سقى حصانه و شرب و استخرج السقاء من البئر و أردفه وراءه و سار به غير بعيد إلى إنّ وصل خبت قفر ليس به مما خلق الله عز و جل من المخلوقات سوى فرد حي أي بيت شعر له، و في الحي امرأة واحدة و هي زوجته فقامت المرأة غسلت يد السقاء و رجله بماء حار و أدفأته. و نام السقاء و استراح و استيقظ وجد طبيخا حاراً فتعشى و شبع و نام صاحب البيت و زوجته إلى الصباح. فخرج صاحب البيت اسرج و ألجم و ركب حصانه و غدا الصيد. و بقى السقاء عند المرأة تهتم بحاله و تدور في أموره إلى إنّ تعافى و صح مما به، فلما دار الدم فيه فتح عينه. و قدم صاحب الحي عند اصفرار الشمس و احصر بين يديه الذي رزقه الله سبحانه من الصيد طبخا أو أكلاً جميعاً. و بقى السقاء على حاله مدة ثلاثة أيام على الرسم و العادة و في الرابع شبع و تعافى و استراح، فمد عينه إلى المرأة فوجدها صورة

عجيبة فطالت يده مع قصر رجله في مثل هذا المكان و راودها عن نفسها مراراً فنهته فلم ينته فقام معها بالكلية و قامت معه بالمنية. فلما أبصرت العفيفة عين الحقيقة قامت إليه و أدارت كتافه و شدته في جوار كلب كان عندها.

ففيهن من تسوى ثمانين بكرة و فيهن من تسوى عقال بعير
و فيهن من لا بيض الله وجهها إذا قعدت بين النساء بزير

فلما رجع زوجها نظر الحال غير الحال فقام إليه و حله و قدم إليه ما حضر. و بقي يراودها عن نفسها ثلاثة أيام متواليات و تفعل بن الدست. قال أبن المجاور: و لا شك إنّ هذه المرأة كان طالعها بالسنبلة كما ذكره أبو الريحان محمّد بن أحمد البيروني في كتاب التفهيم في علم التنجيم: إما الحمل و الثور و الأسد و السنبلة و الجدي و الحوت ذوات شبق و حرص على النكاح و في الميزان و القوس شيء من ذلك، و إما في أمور النساء فالثور و الأسد و العقرب و الدلو دال على عفتهن و حصانتهن و الحمل و السرطان و الميزان دال على فسادهن و الجوزاء و السنبلة و الحوت على توسط ذلك فيهن السنبلة اعف. فلما عر الحد عن الحد قال البدوي للسقاء: إلى أين تريد أوصلك؟ قال: إلى الكوفة. فشد على حصانه و نفسه و ركب و أردف السقاء وراءه و سار به يومين و ليلة إلى أن اشرف على نجد الكوفة. فلما نزل البدوي السقاء عن حصانه ودع كل صاحبه، فحينئذ قال البدوي: بالله عليك إلاّ ما كتمت حالك لي و حدثت بحالك معي اعد الله جزاك خيرا.

كما قال:

لا نضيع فعل الجميل بضعه إن اصطنعت لذي خطا و ذنوب
و الشوك لو تسقيه ماء الورد ما ويحمل الخرنوب

و قال آخر: ليس الكريم الذي إن زل صاحبه=بث الذي كان من أسراره علما

إنّ الكريم الذي تبقى مودته و يحفظ السر إن صافي و إن جرما

و قال آخر: لا تجلسن مع السفيه فانه=بفساده لصلاح أمرك يذهب

و لقد ظفرت ببيت شعر قاله بعض من الأعراب و هو مهذب
ما ينفع الجرباء قرب صحيحة منها و لكن الصحيحة تجرب

و لماذا يقال: جراد نجدي لا يأكل الحشائش و يشم أطيب الأهوية و يشرب أطيب المياه و يترقى في أطيب الأمكنة و يرجع دواء كل داء؟ و يقال: إنّه يظهر في نجد من أعمال تسمى الدهناء و الموضع هو مشرق البحر، و قال آخر: بل هو يخرج من البحر بإذن الله عز و جل قال أبن المجاور: و هو قريب من

اليمن و السلوى يترل على شجر الزيتون بجبال الروم و غيرها. و السلوى هو طير يجيء إلى دمياط على وجه الأرض، و قد تقدم ذكره، و لم يعلم من أين يأتي، و كذلك الجراد يأتي من علم الله عز و جل. فإذا غرس الجراد في الأرض و أقفر يسمى العرجل فإذا بت و دب عل وجه الأرض يسمى الدباء فإذا طار يسمى الجراد. و قال رجل من المفرسين: إنّه كتب على جناحه اسم الله الأعظم فلذلك يقدر على الطيران و يتسلط على أكل الزرع و غيره لأجل جند الله عز و جل سلطه على بلاده و عباده.

فصل

نزل الجراد في قرب قبيلة زيد و نزل جراد قرب قبيلة عمرو. فقام أهل قبيلة زيد قالوا لأهل قبيلة عمرو: ها نحن نصيد جراداً احتمى بكم. فلما سمعت قبيلة عمرو ذلك قالت: لا سمع و لا طاعة و لا تمكنكم من صيد جوارنا. فقام القتال بين الفريقين و لا زالوا على القتال إلى أن قتلوا هاتين القبيلتين. و انشد عمرو يقول:

و منا من أجار جراد نجد و حرمه على المتصيدينا

فصل

مرض زيد مرضاً شديداً إلى أن تعبت الأطباء من علاجه لقلة ملاقاة أدويته. فلما اشرف على الهلاك قال الطبيب لقرابته: أطعموه ما اشتهى و أراد فأنه من الهالكين! و صار المريض يأكل ما اشتهى و أراد إلى بعض الأيام فدار في خاطره الجراد فاشترى و أمعن في الأكل منه، فلما اكثر منه تعافى من مرضه. و شاهده الطبيب فقال: بالله عليك اخبرني بما تناولت من المعاجين أو شربت من الأشربة و ما غداؤك من المآكل فقال: الجراد. فقال الطبيب: صدقت لان الجراد يكون قد قعد على حشائش يأكل منها، و لم تصل منفعتها إلى فهم مخلوق إلى الآن و وافق خاصية تلك الحشائش لذاتك برئت و كان الجراد واسطة لعافيتك، و الله إني نظرت في جميع كتب الطب على أن اعرف لدائك دواء فما صح لي من ذلك فقلت بترك الحمية لك و الله اعلم.

ذكر زواج أهل نجد

حدثني سليمان بن المنصور قال: إنّ جميع أعمال الجبال و جميع أهل البوادي و البدو و تهامة و نجد يزجرون بنائهم و لم يورثون البنت شيئاً بل إذا كانت البنت باكراً تجهز و تزوج من مال أبيها، و إنّ

كانت البنت ذات عيال فقد استراحت عواذلي من عتابي، و كل امرأة يقل أهلها و عشيرها يقل خطابها. فإذا عجزت عن مقاساة نعمها و مواليها تركب هودج عالي و تساق نعمها إلى سوق في وعدة و يقوم لها مناد ينادي عليها: ألا من يطلب عروساً و ذودا؟ فان كانت راجعاً ينادي عليها: ألا و من يطلب بحبح و دوبٍ، و البحبح هي امرأة ثيب و الدواب مالها و نعمها من و أمانات. فكل من يرغب فيها و في مالها تزوج بها فإذا أبوها أو أخوها أو أبن عمها أو بعض قرابتها يقول للرجل: تزوج بها يا وجه العرب، و إذا قل رغبتك فيها فأنت وكيلها في زواجها زوجها من شئت!! و انشد بعضهم:

عليك بصعبات القياد و لا تقع برجلك في مدووسة قد أذلت

إنّ أكرمتها قالت: قد أكرمت من قبل ذا و إنّ هنتها قالت: بل النعلي زلت

و قال آخر:

يا مبشري بابا و يا زوج راجع أبشرتك الخسران من يوم راجع

و إذا دخلت المرأة على بعلها تجيء كل امرأتين من جيرانها يهنئانها بإتمام سرورها و تأتي معها بجراب ملآن دقيق سميد أو سويق أو زبيب. و حينئذ يحصل للمرأة نحو مائة ظرف ملآن تنفقها مدة أيام و اشهر، و إذا كان لأحد النسوة الذين حضروا العرس عرس ردت لهم المرأة الجراب الملآن مثل ما كان، مثل ما كان، و هذه عوائدهم. و تغزل النساء هذه الديار القطن كما يغزل الوبر بالقانون غليظ مرة، و ينسج منه شبه سياسات شبه الأكسية الصوف يسمونها الصوف يسمونها ثياب الهجيرة لبس العبيد و الإماء و الضعيف. و يقال إنّما يوجد في هذه البلد ستون حائكا و دحاح. و ليس يعرف القوم إيمان إلاّ إنّ زيدا يخط خطاً دائرا على وجه الأرض و يقول لعمرو المنكر عليه: أدخله! فإذا دخله يقول له: ارفع رأسك إلى الله! فإذا رفع رأسه نحو السماء قال زيد: كفيت بالله ربا اقصد يا إنسان طريقك بارك الله فيك! و هذه أيمان القوم. و ينقسم أموال هذه البلاد على فريقين: الضان و بعض الإبل و الخيل، فأما الإبل و الضأن يستقنوهم قوم يقال لهم الشاورية و بعض الإبل و الخيل يستقنوهم الدواشر . و لم يعرفوا غير هذا المال شيئا آخر يعني مثل المعز و البقر و الثيرة و الحمير و البغال. و الآن يترل البدوان حول القصور بالبيوت الشعر و الخيل و الإبل و الغنم و هم أهل جود و عطا و كرم يأكلوهم لحم الإبل و مشروبهم الحليب و ركوبهم الخيل و بيعهم و شراؤهم الخيل و الإبل و لبسهم الخام. و هم أهل قوة و فصاحة و يديرون الفلاة و راء الأموال و النعم لا يودون قطعة و لا يعرفون خراجا س. قال أبن المجاور: و كل بدوي لا يأوى تحت سقف و لا يؤدي قطعة فهو من أولاد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام ليس فيه خلاف

و لا شك و الله اعلم.

و أما نجد و حدودها فما كان من حدّ اليمامة إلى قرب المدينة راجعا على بادية البصرة حتى يمتد على البحرين إلى البحر فهو حدّ نجد

ومن صعدة إلى صنعاء راجعا على الطريق اجديد

قال أبن المجاور: حدثني الحسن بن علي بن محمّد التولي الصعدي قال: لّما فتح الله عز و جل بالإسلام سلكوا هذه الطريق. من صعدة إلى الخيام ثلاثة فراسخ و تسمى الدروب. و إلى العين فرسخ. و إلى العمسة أربعة فراسخ . و في هذه الحدود مدينة تسمى خيران و يقال وادي خيران، و هذه مدينة وضعت في لحف جبل و من علها إنّه كان بها ستمائة شارع و كان يخرج من كل شارع ستمائة فارس و كان قد بني لهذه المدينة سد شبه المأزمين بمأرب و قد تقدم ذكره. فلما خرب السد خربت المدينة و الآن هي ملك أحمد و محمّد أبني عبد الله بن حمزة و اشتروا أراضيها بذهب كثير و هي ذات زرع و ضرع ، و يقال إنّ من طيبة أهلها كانت تسمى خيران في أيام الجاهلية . و إلى حوت خمسة فراسخ . و إلى جحضم أربعة فراسخ .و إلى صنعاء فرسخين.

ذكر الرؤيا

قال أبن المجاور: رأيت في المنام كأني في مدينة عامرة و كان عمارتها بالحجر المنقوش طول كل حجر منها مقدار خمسة أذرع و لكل حجر لون، و هي ذات جامع و مساجد و خانات و ربط و مساجد و مدارس وع أسواق و دكاكين و حوانيت ، نزهة بين جبلين عاليين كثيرة المياه و الأنهار و الأشجار و البساتين. و كان قد طبق إحدى جبلي الوادي الآخر القائم على حرفه و قد كحل السوق بالجص من لحفه إلى ذروته، فلو سار على وجه أي سد الجبل نملة لناظره من على بعد المسافة. و كأني قلت لأحدهم: ما تسمى هذه البلد، قال: حجب. قلت: و ما المعنى في هذا الاسم؟ قال: إنّها احتجبت عن الناظرين. قلت: فمن أي الأعمال تحسب؟ قال: من أعمال صنعاء اليمن. و ذلك ليلة الجمعة سادس رمضان سنة أربع و عشرين و ستمائة.

من تعز إلى زبيد راجعا

من تعز إلى عدينة ربع فرسخ، قرية في لحف الحصن. و فيها قال الشاعر:

قد كنت لألأ برق من عدينة ناديت: ما بال أحبابٍ لنا بعدوا؟

و إلى الدمينة ربع فرسخ و بها يعمل الخزف. و إلى وادي حذرار ربع فرسخ. و إلى بئر ماهوت ربع فرسخ، و يسمى الأجناش و بنى بها نور الدين عمر بن علي بن رسول مسجدا على ثلاث قباب سنة ثلاث و عشرين و ستمائة. و إلى بئر الصدع فرسخ. و إلى وادي النخل فرسخ. و إلى وادي الحناء فرسخ، و جميع غرسه و زرعه الحناء، و هو كثير القردة. و إلى السالمين فرسخ. و إلى عقدة مجعر فرسخ. و إلى الكدحة فرسخ. و إلى حديلة فرسخ، و تسمى سراديب النيل. و إلى الدريعاء نصف فرسخ و الله عز و جل اعلم.

صفة طير الدلنقوق

طير أبلق يشابه لافر عرير إنّ الذي في أرض العراق بمنقار طويل يأوي هذه الجبال، و صفته إذا غرد رقص . حدّثني الجمال قال: ما يكثر تغريده و ترقيصه إلى في فصل الغيوث و المطارات و الشتاء و هذا أعجب شيء رآه المصنف. و في اليمن أيضاً طير يسمى جولب أكبر من القسم و أجنحته حمر و له منقارين يقول أحدهم في تغريده: سيدي أجب ستي! و يقول الآخر في تغريده: دقوا قفا السودان! و يوجد في هذه الجبال طير يهدر شبه هدير الجمل الهائج . و يأتي إلى زبيد عند طلوع كل شمس طيور تشبه الطيطوية و ذلك في فصل الشتاء تسمى الحوامات حمل في جمل تدور حول البلد أربع دورات و ترجع لم يعلم أحد من أين يأتون و لا أين يمسون و لا يكورون ، و هم من جملة العجائب. و يطلع في هذه الجبال ريحان بري في أرض تهامة حيق و يسمونه في زبيد النحالة الدرافساير و كان هذا الموضع رأس حدّ أعمال الحبشة لّما كانوا ولاة زبيد. و إلى الساسة فرسخ. و إلى المخيشيب فرسخ، آخر أعمال الجبال. و إلى الفويرين فرسخ. و إلى حصب الدين نصف فرسخ. و كانا قريتين عظيمتين عامرتين و من جملة عظمتهما إنّه كان يركب منهما أربعمائة فارس، فسلط الله عليهم دابة يسمونها أهل اليمن الحرباء لدغتهم فماتوا الجميع و يسميه أهل خراسان آفتاب برست ويسمى في زاولستان سكند، كما قال أبن المجاور فيه:

جه كردى ايا روزكار نزند كه ببوستهكردى برنك شلند

كهي زرد زوى و كهى سبز كشت كهى دست يار و كهى باي بند

و يسميها أهل نهاوند ركثرله و يسميه أهل الحجاز أم جبل لأنه يكون لأحدهم لسان طوله اكثر من مائة ذراع و يسميه أهل أبين الفخاخ و تسميه العرب العرباء الحرباء. كما قال كعب بن زهير:

و يوما يظل به الحرباء مصطخما كأن ضاجيه بالنار مملول

و إلى السلامة نصف فرسخ، فإذا كان في البلاد خوف غزوهم أهل شمير لان القرية في لحفه. والى حبس نصف فرسخ، بناها الأمير جياش بن نجاح و هو جد ملوك زبيد الذين تولوا ملك زبيد و التهائم، فلما تولى الملك بنى حيس و انفذ إلى أهله و قرابته: انتقلوا من أعمال الحبشة و اسكنوا حيس، و يقال إنّ ليس فيها من العرب بل كل من بها من نسل السودان. و بها يضرب أهل اليمن المثل، يقول زيد لعمرو: و الله ما تضير إلاّ تيس. فيقول له عمرو: و لم؟ فيقول: كما أعطاني حب و اخذ حيس. و كان الموجب على ما ذكره يحيى بن علي بن عبد الرحمن الزراد إنّ عصابا فوره معاني في حب حصن حب، فحينئذ أعطى سيف الدين نقر له حيس و أخذ منه حبا فبقى مثلا بين عوام زبيد. و كذلك أعطى بعض ملوك الموصل قلعة سنجار. و إلى الدوامل فرسخ. و إلى السرداب فرسخ. و إلى القرتب نصف فرسخ.

من زبيد إلى الحجة

من زبيد إلى القحمة ثلاث فراسخ. و إلى الدكراء فرسخين. و إلى طرف العنيمة ثلاث فراسخ. و إلى العمد ثلاثة فراسخ على لسان وادي لعسان . و إلى اسحر ثلاثة فراسخ . و إلى حراز المستحرز ثلاثة فراسخ .

بناء حصن مسار

و لّما كان في سنة تسع و عشرين و أربعمائة بنى الصليحي في رأس مسار و هو أعلى ذروة في جبال حراز، و كان معه سبعون قد بايعهم بمكة في الموسم سنة ستة و عشرين و أربعمائة على الموت و القيام بالدعوة، و منهم إلاّ من هو مع قومه و عشائره في منعة و عدد كثير، و لم يكن برأس الجبل بناء بل كان قلة قاسية منيعة. فلما ملكها لم ينتصف النهار الذي تملكها في ليلته إلى و قد أحاط به عشرون ألف ضارب سيف فحاصروه و شتموه و قالوا له إما نزلت و إما قتلناك أنت و من معك بالجوع . فقال لهم: ما فعلت ذلك إلى خوفا عليكم أن يملك هذا الجبل علينا و عليكم فان تركتموني أحرسه لكم و إلا نزلت إليكم. فانصرفوا عنه و لم تمض له ستة أشهر حتى بناه و حصنه و أتقنه . و بقي الصليحي في مسار و أمره يستعلى من سنة تسع و عشرين و أربعمائة. و كان يخاف نجاحا صاحب تهامة و يلاطفه و يستكين لأمره، و لم يزل الصليحي يعمل على نجاح حتى قتله بالسم مع جارية جميلة أهداها إليه و كانت وفاة نجاح بالكدراء في عام اثنين و خمسين و أربعمائة. و في عام ثلاث و خمسين كتب الصليحي إلى الأمام المستنصر بالله يشاوره في إظهار الدعوة فعاد الجواب إليه بالأذن. ففي ذلك طوى البلاد طيا و فتح

الحصون و التهائم، و لم تخرج سنة خمس و خمسين و لم يبق عليه من اليمن سهلا و لا عرا ولا برا و لا بحرا إلاّ فتحه و ذلك أمر لم يعهد مثله في الجاهلية و الإسلام! قال: و بيان من زبيد حصن مسار يمين القبلة و يسار المشرق على أعلى ذروة الجبل شبه أكمة عالية مشرفه على التهائم. و في سنة خمس و عشرين و ستمائة ملكه الشريف عماد الدين يحيى بن حمزة و هو الآن في قبضته و تصرفه. و إلى الجبلين ثلاثة فراسخ . و إلى سوق القباب ثلاثة فراسخ في أوسط وادي سارع. حدّثني سليمان بن منصور قال: إنّ أهلها كتبوا على باب مسجدهم: من أمسى في مسجدنا هذا فلا يراعى منا عشاء.

فصل

حدث يوسف بن يحيى عن أبيه عن غسان عن أبي عبيدة بن جهيم بن خلف قال: أتينا اليمامة و نزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمرا و أرسل غلامه بفلس و سكرجة يشتري له زيتا، فلما جاءه بالزيت قال: خنتني من فلس واحد. قال: كيف أخونك؟ قال: أخذت الفلس لنفسك و أستوهبت زيتا فأنت ابخل الناس. و قال فيه:

و ليس لمروان على الغرش غيرة و لكن مروانا يغار على الفلس

و إلى طرف نظار ثلاثة فراسخ . و إلى ربض أربعة فراسخ . و إلى لاعة أربعة فراسخ . و إلى المخالفة فرسخين. و إلى حجة أربعة فراسخ . حدّثني يحيى بن علي بن عبد الرحمن الزراد قال: إنّ في الجبال خيال لا يزال البرق يضرب أطرافها إلى أن رجع ضرس قائم بنى على حصن مانع مثل الدملوة و حب و التعكر و بكور، و ما يضرب البرق على حصن عامر إلاّ هدمه و أخرب حضنه و دحضه إلى أن خلاه مع الأرض مستويا. فإذا جاز على جبل من هذه الجبال قوم من أعراب الأعمال يقول زيد لعمر: هذا حصن نصر بن جعفر و هذا منزل خالد بن الوليد، خرب من كذا و كذا سنة. و لم يكسر جبال اليمن و يدحضها إلى دوام البرق و هذا أعجب شيء يكون.

من زبيد إلى غلافقة

من زبيد إلى القرشية فرسخ، و منها ظهر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه و هو من جلة الصحابة و أحد الحكمين الذين حكمهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

فصل

أهل الزريبة و العنبرة و الهرمة و القرشية، لم تظهر بهذه القرى بنت إلاّ إذا عقد نكاحها و قطع مهرها و سلم دفعها و بعد ذلك تظهر البنت بطبل و زمر على رؤوس الأشهاد بالمهامين و الضيافات و الطرح و التسليم. فسؤل عن فعلهم، قالوا: نخاف نظهر طفلة فإذا كبرت رأت نبتها و خدها و قدها و نهدها مع أعكامها مليحا يعجبها حسنها فتحتاج إلى أن تخرج عن الطريق إلى غير الطريق، بل نخليها على حالها فإذا رأت فلقها طويلة و هي مع وصحه رهكة كريهة الرائحة وحشة المنظر تخمد نارها و يقل طلابها لأجل ما معها من طول الغفلة فإذا مهرها ظهرت فأدخلت على بعلها هين لين. و يقال إنّ جميع بلاد الشامية عن زبيد على هذا السنن و الغرض بطول و بعرض. و إلى خبت نفحان فرسخين ، من حدود المحالب و ليس في تلك الأراضي أكثر توهجا منه. و إلى غلافقة فرسخين.

بناء غلافقة

كان ما بين غلافقة و المكينة بلد تسمى الزبر، و ما أشتق اسم الزبر إلاّ من الزبور أي زبور داود عليه السلام ، و يقال من زبرة الحديد، طمها الساقي فرجعت تلول رمل. قال أبن المجاور: و وجدت في المكان قبرا على ساحل البحر و قد حمل الرمل حجرا و قد غاص عظام الميت في الحجر الأصم و الله عز و جل اعلم .

فصل

إذا دار على التراب ألف عام رجع التراب رملا فإذا دار على الرمل ألف عام رجع الرمل حجرا و إذا دار على الحجر ألف عام رجع الحجر ترابا، فعلى هذا الوجه لا شك إنّ للقبر ثلاثة آلاف عام لأنه تقلب ثلاث قلبات قلب بالتراب و قلب بالرمل و قلب بالحجر. فلما خربت الزبر بنت امرأة تسمى بنت إسرائيل و لا شك إنّها بنت يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام غلافقة فخربت بمرور الزمان عليها و دور الأفلاك عليها فبقيت رسوم وأطلال إلى أن جدد العمارة إخوان من الفرس و الأصح من سيراف يقال لهم أولاد أبن القشيري و يقال إنّ القوم من الذين خرجوا من جدة لأنه كان قد جرى بينهم و بين الأمير القشيري شكر بن أبي الفتوح سنة خمسة و تسعين و أربعمائة ، و قد تقدم ذكره بأعمال جدة على التمام و الكمال. فلما توطن القوم بها بنوا منارة حسنة فلما طال الدهر تشعث و نقل أساطينه الساج إلى مسجد الأشاعر بزبيد بنى به، و يقال إنّ هذا الجامع بناه القائد حسين أبن سلامة، و بنوا الدور الملاح و المساجد الساج من حجر الكاشور و هو حجر يستخرج من قعر البحر.

فصل

حدّثني يوسف بن أحمد بن يعيش قال: لّما صاموا أهل غلافقة شهر رمضان قال زيد الكبير من أولاد القشيري: شاهد الله على أحد من الرعية باع أو يبيع على أخي عمرو حطبا. و أنفذ إلى أشياع أخيه عمرو و إلى أتباعه و قال لهم: و الله ما يأتي أحد منكم بحطب إلى بيت عمرو إلاّ افعل به كيت و كيت و احرم أن يدخل بالحطب إلى بيت عمرو. فلما كان ليلة العيد أمر عمرو أهله أن يطبخوا و يشووا قالوا: بماذا نطبخ و أخوك زيد قد حرم علينا دخول الحطب؟ فحينئذ اخرج خيوش بلها بالسمن و أشعلها تحت القدور. فلما كان يوم العيد و صلت الناس صلاة العيد قام عمرو و سبق أخاه زيد و قال: بسم الله يا صاحبي إلى داري بارك الله فيكم! فدخلت الناس داره إلى أطعمة و اشربه و اشوية خلاف العادة. فقام زيد و قال لعمرو: يا أخي من أين لك الحطب؟ قال عمرو: فلما منعت الحطب من قلة خيرك فأوقدت الخيوش المنقوعة بالسمن الكثير. فعند ذلك تعب أخوه زيد من علو همته و أكل جميع ما في غلافقة من داره و لم يقبل إلاّ على طعام عمرو، فتعجب زيد من فعله و علو همته و قال: يا أبا محمّد قدمك في الموضع المحال، أورق العود في كفك و هو فاضل، و البخل إذا ما سمعك انتزح راحل، و أنت كالبحر و كفك للعطا ساحل. و انشدني زكري بن سكيلا بن عبد الله البحتري يمدح جياش أبن نجاح:

المشتري حلل الثناء بما حوت كفا و الحامي لها أن تشترى

و الموقد النارين نارا للوغى لا تنطفي أبداً و نارا للقرى

فصل

سئل إبليس: من احب الناس إليك؟ قال: عابد بخيل. قيل فمن ابغض الناس إليك؟ قال: فاسق سخي. قيل و كيف ذاك؟ قال: لأني أرجو أن لا يقبل الله عبادة البخيل و اعلم إنّه لا يتم له شيء من الخير مع البخل و لا آمن أن يطلع الله على العبد الفاسق فيرى بعض سخائه فينجيه و يرحمه به.

فصل

و كان لأبي دلف القسم بن عيسى العجلي جار و كان عليه نعمه فسلبها فآل أمره إلى بيع داره فساوموه فيها. فقال: بألف و خمسمائة دينار! فقيل يا هذا إنّما تساوي دارك ألف دينار. فقال: و جواري من أبي دلف بخمسمائة دينار! فبلغ أبا دلف ذلك فأحضره و أمر له بألف دينار فقال: تعذرنا في ذلك و لا تتحول عن جوارنا. فهو الذي يقول فيه على بن جبلة الضرير في هذا المعنى:

إنّما الدنيا أبو دلف بين باديه و محتضره

فإذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

و سكنا المكان جميعا إلى أن انقضوا رحمهم الله تعالى. قال:

أفّ للدنيا الدنية خبشة فعلا و نية

و العيش كله هم و عقباه منية

ذكر بئر الرحبانية

حدّثني ريحان مولى علي بن مسعود بن علي قال: أوّل من ابتدأ في حفر البئر رباح أي فرد و حفر بيده الأرض إلى أن نبع ماء عذب حول عقل الساب يصح غمقها نحو أربعة اذرع لا غير. فلما رأت الفرس صورته بالحجر و الجص. و هو عن البلد نحو شوط خفيف بين نخل باسقات شامخات فبقي مستقى أهل غلافقة، و من يصل من المراكب الصادرة و الواردة على مائها فلم يقل منه شيء. فعرفت البئر بالرحبانية يعني الفرد الذي ابتدأ في حفره، و يقال بل كان الرباح اسم رجل و لم يكن فرداً. و هذه البلدة فرضة الكارم إذا وصلوا من ديار منصر، و يجلب منها الحشيش الأخضر للخضر و الزنابيل و السمك العربي و غيره و ضيراك و رعيد و المراوح و الفار و القرش و البياض و العربي و المخنف و الفرا و السفية و الطويلة. و يكون لها فرج على هيئة فروج النساء و لم تشترى من الصياد حتى يحلف إنّه لم يطأها، و يباع لحمها بالميزان لأجل الدواء. و السفية ذات صدف و الصبايا و المرح. و جميع هذه الأسماك ترفع إلى زبيد و يسمونه الملتح. و ضمان سوق السمك بزبيد كل يوم ثلثة عشرة دنانير ملكية و الله سبحانه و تعالى اعلم.

جزيرة فرسان

ما بين دهلك و حلى أبن يعقوب، و بها مدينتان عامرتان إحداهما سور و الثانية جدة بناها الفرس و الأصح بناها مالك بن زهير أهلها صلاح أتقياء. و يجري بين الفريقي نهر كبير عريض صافي عذب خفيف صحيح أوّله عين و يقال ماء تراب. و قنبت على شاطئ النهر شجر و خضر و حشائش ألوان مختلفة و يزرع فيها من جميع الحبوب و الخضراوات. و عندهم من سائر الدواب الأهلية مثل البقر و الماعز و الضأن و الإبل و الدواب، و يوجد عندهم من سائر الأسماك و دواب البحر. و قد خص الله سبحانه و

تعالى أهل هذه الجزيرة إذا طلعت الشمس مقدار قامة يدوى الجو و حينئذ يخرج كل من في القرية إلى ظاهر القرية يصطفوا على شاطئ البحر، و يترل على القوم بعد ساعة طير شبه الخرق و يقال شبه السمان مائة ألف طير، فإذا حصل في شاطئ البحر لم يقدر أحدهم على الطيران فيأكل كلٌ كافيته و على قدر حاله تذبيحا و تطبيخا. و لم يوجد في سوى اللحم و الشحم شيء آخر و يكون عيش القوم طول الدهر به و لم يمل أحد من أكله مع مداومته لأنّه لحم خفيف طيب مرئ. قات: و ما يسمى؟ قال: السلوى. و هو الذي قال الله عز و جل: و أنزلنا عليهم المن و السلوى. فقلت للراوي: كم يكون دور الجزيرة؟ قال: مسيرة يوم كامل لرجل طراد. حدّثني بدر مولى بشر الصوفي بذلك.

ذكر جزيرة الغنم

و ذلك في بر السودان ما بين عيذاب إلى بحره جزيرة تسمى جزيرة الغنم مائة ألف رأس غنم بها و اكثر من ذلك و جميعها وحشية. و كان الموجب لذلك ما ذكره ريحان مولى علي المجاور قال: إنّه قدم مركب في بعض مدن الودان شحنته غنم و كباش و أرسلوا بهذه الجزيرة فزخر الريح عليهم. فلما طال الشوط في المقام عليهم اخرجوا الغنم في الجزيرة لترعى مع طول المقام فطاب للقوم الريح على غفلة فركبوا الكباش المراكب و نسوا تسع ثمان رؤوس منها في الجزيرة فلم يمكن القوم أن يدورون عليهم لضيق أخلاق الربان فشال القوم شراعهم و ساروا بالسلامة. و بقية الغنيمات في الجزيرة فتناكحوا و تناسلوا مع طول الأيام فكثروا و استقطعوا الجزيرة فعرفت الجزيرة بهم و صاروا الآن إذا أرسى بهم مركب لم يقدروا إنّ يصطادوا من تلك الأغنام شيء إلاّ بعد جهد عظيم مع القوس و النشاب و قد لا يحصل لهم شيء لأنّهم قد صاروا وحشيين يسقوا الغزال و هم ملء تلك الجزيرة إلى الآن و الله اعلم بالصواب.

ذكر جزيرة الناموس

و كذلك جزيرة الناموس. حدّثني ريحان مولى علي بن مسعود بن علي قال: إنّما بين جزيرة دهلك و عقيق جزيرة ملؤها نامس لم يسلكها و لم يسكنها أحد من خلق الله من كثرة النامس الذي بها و الله اعلم.

من زبيد إلى الاهواب

من زبيد إلى المسلب فرسخ، و يقال إنّما سمية المسلب لان نساءها يسلبون العقول من حسنهم و جمالهم و ظرافتهم. كما قال:

سقى الله ربات الحصيب و ربعها فما الحسن إلاّ حوته ربوعها

قال أبن المجاور: و الله الرحم الرحيم ما رأيت في جميع اليمن سهلها و جبالها وجها حسنا يعتمد عليه النظر و لا فيهم ظرافة و لا لطافة و لا ملاحة و لا حلاوة إلاّ اسم بلا جسم، ما ترى إلاّ عجائز سؤ خبيثات الأبدان قليلات الأدب ذوات آراب و سخين اللسان قذرين الأكل. كما قال الظهري:

بباده ديت ميالاى كان همه خونيست كه قطره جكيدس ازدل انكور

بوقت صبح شود همجو روز معلومت كه باكه باخته ذر شب ديخور

فلما أوقف صلاح الدين يوسف بن أيوب في أعمال مصر ما أوقف و قد تقدم ذكره في أعمال جدة أوقف توران شاه يوسف بن أيوب و الأصح طغتكين بن أيوب المعز وادي الجريب و الحرب و المسلب و بقى يرفع دخلها إلى مكة إلى أن خبل وقفها الملك مسعود بن محمّد بن أبي بكر سنة خمس عشر و ستمائة و بقى يرفع دخل هذه القرى إلى الديوان. و أيضاً كان أوقف طغتكين بن أيوب عل المدينة أم الدجاج مع جمل من الأراضي كلها القاضي علي بن الحسين بن وهيب لّما تغلب الأمير قاسم بن المهنا بن جماز صاحب المدينة على مكة سنة اثنتين و عشرين و ستمائة، و بقى يرفع دخلها إلى الديوان. و رد الملك المسعود يوسف لأم الدجاج على الأمير شيحة سنة خمس و عشرين و ستمائة، و صار يصل دخلها إلى المدينة كما كانت. و إلى الأهواب فرسخين بين نخل شامخات.

بناء الأهواب

بنى الأهواب أبو القسم الرامشت بن شيرويه بن الحسين بن جعفر الفارسي سنة اثنتين و ثلثين و خمس مائة مدينة حسنة لّما تقدم من الهند يريد الحج، ذات أسواق و جامع و دكاكين و نقل الأخشاب الساج إليها من الهند. فلما انقضت دولة الحبشة و تولى علي بن المهدي خرب جامع الأهواب و نقل أخشابه إلى المشهد الذي بناه في زبيد سنة خمس و خمسين و خمسمائة و هي فرضة المراكب الواصلة من عدن. و ما أشتق بطن الأهواب إلاّ من الأهوال لأنّه على آخر بطن السحاري موضع هول لكونه كشفا. و قال بعض الزيالع الذين أتوا الأمانات لجبريل بن زيد بن فارس: حط عني عشور عشر سنين حتى اعمر لك مرسى الأهواب! فقال له: كيف تفعل فيه؟ قال: اشحن مراكب حجر و تراب ارميه معارض المرسى بالطول ليرد قوة الموج و المياه و الريح. فلما هان على جبريل ذلك و قال: إنّ أربع مدن في بر السودان

مقابل أربع مدن في بر العرب: عيذاب مقابل جدة، و الأصح أن عيذاب مقابل الجار و هو مرسى ينبع، و دهلك مقابل السرين و زليع مقابل العارة و عوان مقابل الأهواب.

من عدن إلى شبام

من عدن إلى الرعارع أربع فراسخ، و على رأس البئر غرابين لا يزال من مكانهما ابد الدهور، من أعمال لحج و فيه يقول علي أبن زياد المازني:

خلت الرعاع من بني مسعود فعهدهم فيها كغير عهود

جلت بها آل الزريع و إنّما حلت اسود في مكان اسود

و إلى ابين أربع فراسخ، قرى جماعة بناء أهل الحجاز، و يقال بناء بني عامر من أرض الحجاز، سكنوا الديار و بنوا القرى و حرثوا و زرعوا و تأهلوا فيها و بقيت في أيدي القوم إلى آخر الدولة الحبشية. و من جملة الأعمال خنقرة و الطرية و جبنون و المحلل و السلامة و مسجد الرباء. و بهذه النواحي قبر صالح النبي " و رجل ولي صالح. و جميع نساء أهل هذه الأعمال سحرة.

صفة العفو

إذا أرادت المرأة أن تتعلم السحر التام الذي لا قبله و لا بعده تأخذ أبن آدم تصليه إلى أن يذوب و يصير ودكا و يبرد فإذا برد شربته جميعه و تحبل منه و تضع بعد سبعة شهور بشرا وحشيا يشبه القط سوى في الطول و العرض يسمى العفو. و يقال إنّه يكون عليه آلة في قدر آلة العفو الكبير. فلا تزال الساحرة تدور به و تربيه إلى أن يكبر و يشتد و يقوى، فإذا بلغ الإدراك جامع العفو أمه فإذا جامعها فلو ركبت المرأة جرة بلسب بها الجرة عنها و لم يشاهد العفو إلاّ أمه و هي زوجته و لم ينظره أحد غيرها. قال أبن المجاور: و ما سمى العفو إلاّ إنّه يحملها ايرا لا تطيق عليه و يقال لم يتعلم سحرا و لم تعلم له. و يقال بل العفو مثل هذا الشيء كما قال:

العفو إن هب معرب و حملا سمال على يدي

و أصبح البرد بالمسا و صاح أبي بلاح

و أصل نساء هذه الأعمال من هذا الفن: تمشي إحداها إلى المعبر و ترجع في ليلة واحدة. حدّثني محمّد بن زنكل بن الحسن بن عميد كرمان الكرماني الساكن في مسجد الرباط: و هم الذين يصيرون الإنسان

حمارا و ثورا كيف ما أرادوا و أشتهوا. و إلى دار زينة تسع فراسخ، جبل مشرف على البحر يسكنه الجحافل فخذ من فخوذ العرب و ما عرف الجبل بهذا الاسم إلاّ إنّه إذا وصل إليه المراكب من سائر الأقاليم تزين بها لأنها اقرب المسافة إلى عدن. سرير ملك هذه الأعمال مدينة تسمى دثينة. و إلى بيحان سبع فراسخ، واد طويل عريض فيه قرى و نخل و قد تقدم ذكرهم و نسبهم إلى معاملة بلقيس في الجزء الأول. و إلى وادي جريب أربع فراسخ. و إلى عازب ستة فراسخ خربت على ماء واحد. قال أبن المجاور: و قد خرب الفأر ثلثة أعمال من جملتهم قرية محاسن بناء أبي بكر بن منصور بن العطار الحراني من أعمال الصرصر في دولة الإمام أبي محمّد الحسن المستضيئ بنور الله أمير المؤمنين. و تسلط الفأر على دبالى و هو أربعون قرية و الأصح أربعمائة قرية من أعمال بغداد حفر الفأر أراضيهما و زادت الدجلة و دخل الماء في الأسراب فلما زاد الماء اخذ القرى و الأراضي معه بمرة واحدة. و سد مأرب قد تقدم ذكره. و إلى عبير اثني عشر فراسخا، مسكن عبير أبن سام بن نوح عليه السلام. و يقال إنّ السرج كانت تشغل من سبأ إلى عبير، قيل و كانت عامرة آمنة ساكنة فالآن صارت براري و خبوت و مهالك. و إلى الشام تسع فراسخ.

بناء شبام

لّما تزوج سليمان بن داود عليهما السلام بلقيس اشترى أختها نعم نوق و ابل و أسكنت المال و النعم في مكان الأرض فكانت الإبل إذا رمت الخلة تندت الأراضي من ابوالها و كانت تأمر الرعاة أن يفرشوا على الندواة التراب ليرد الضرر عن النعم، و لا زالوا على حالهم إلى أن صار تل عالي شامخ في الهوى فأرادت عليه سورا و سكنته و ركبت على السور ثلاثة أبواب: باب زبيد كانت النعم تدخل منه و تخرج منه و الآن عمرها على المهدي حصنا مكينا سكنها، و يقال لّما بنا علي بن المهدي هذا الحصن سما زبيد على مدينة الحصيب من اليمن، و باب الإبل الإبل تخرج منه إلى المراعي، و باب مسلة الأعوام الحلق و يسمى باب ردفين. فلما تمت بناءه سمته ذا مناخ و عذبة و شبام. و يقال إنّ اسم المرأة شبام فعرف البناء بها و الله اعلم. و كم هي مدينة. إحداها مدينة شبام ضمرمر خراب وضعت و بنيت في أصل حصن ضمرمر و لم يبق من جميع الربع سوى الجامع عامر. و شبام كوكبان عامر في الجبال. و شبام حضرموت و هي هذه.

صفة الدور

فلما سكنت نعم المدينة بنت في أوساطها قصراً يسمى الدوار ذات طول و سعة و ارتفاع. قالت الفلاسفة الأولى: لا بد أن يتغلب البدو على ثلاثة في آخر العهد بدوار لا ينام السيف و يكون قد يخلوا من الفريقين أخذوا قصر الدوار عامر على حاله. و يقال إنّما بنت نعم لشبام إلاّ على الظلم لأنها اغتصبت لأراضي الخلق فلما تمت بناءها تغلب عليها عثمان، و يقال عثمان أخذها منها. و لا زال ملوكها يتغلبون على إلى آخر من تغلب عمرو بن مهدي أخذها بالسيف و جدد عمارة الحصن و احكمها غاية الأحكام و جعلها سرير ملكه بعد إنّ بني لها أسواراً و خنادق و أبواب. فلما جاء أمر الله لم ينفع عمله شيئاً كما أنشد عبد النبي بن علي بن المهدي يقول حين تولى أرض الخصيب:

اخثنا بخيل عند بابها سهامها و لم تأل أن جالت بباب الشبارق

أدرنا على درب الحصيب بخندقٍ و لن يدفع أمر الله حفر الخنادق

و قيل و ملكت العرب جميع حضرموت سنة إحدى و عشرين و ستمائة. و كانت و لاينه أربع سنين و خلف في حملة ما خلف مائة بهار فضة نقد غير الآلة و العدد و الخيل و البضائع. و دوخ ابنه ناصر الدين بن مالك بعض حضرموت سنة أربع و عشرين و ستمائة و هو إلى الآن مالكها و الله اعلم.

صفة شبام

سرير ملك حضرموت. و هذا الإقليم هو مسكن حضرموت بن قحطان بن عيبر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. و بئر برهوت و هو بئر تستجمع فيه أرواح أهل النار نعوذ بالله منها، و من يهدي الله فلا مضل له: "و من يهدي الله فهو المهتدي و من يظلل فلن يجد له ولياً مرشداً"، و لا تزال النار تخرج منه طول الدهر. و كتب والدي محمّد بن مسعود أبن علي بن أحمد بن مجاور البغدادي النيسابوري لجعفر بن عبد الملك بن عبد الله بن يونس الخزرجي الجرجاني يهدده و يهيبه فقال: أنا رجل برهوت و أنا سلم جهنم. و ليس علم الكون فساد اخشن ناسا من أهلها و لا أكثر من شرهم و اقل من خيرهم كثيرين الذم لبعضهم بعضا قليلين الذمة على من يستجير بهم كثير الدم من المقتولين: زيد يشتم عمراً و عمرو يكلا زيدا و نصر يستبيح مال عمرو و جعفر يلاكم خالداً و وليد يعربد على جاره و ذا ينبش من هذا و ذلك ينهش من هذا أدبار مداير انحاس مناحيس مفاليس. كما قال أبو نواس رحمه الله:

قالوا ذكرت ديار الحي من أسد لا در درك قل لي من بنو أسد

و من تميم و من قيس و أسرتها ليس الأعراب عند الله من أحد

و قال أيضاً:

دع الأطلال تنسيها الجنوب و تبلى جد عهدتها الخطوب

و خل لراكب الوجناء أرضا تجر بها النجيبة و النجيب

بلاد نبتها عشر و طلح و أكثر صيدها ضبع و ذئب

فلا تأخذ على الأعراب لهوا و لا عيشا فعيشهم جديب

دع الألبان يشربها رجال رقيق العيش بينهم غريب

و أطيب منه صافية شمولا يطوف بكأسها ساق أديب

و لهذا سمي إقليم حضرموت الوادي المفتون، و سماه الله عز و جل الأحقاف كما قال الله عز و جل في قصة النبي هود عليه السلام : "إذ أنذرَ قومهُ بالأحقافِ" و الأحقاف هذه البلاد ة الأراضي بعينها. مأكولهم العيد و هو سمك صغار مع السكب و اللبن يشابه الخردل في اللون. و لبس رجالهم الأزرق مكشوفين الرؤوس حفاة و لبس نسائهم الفتوحي، و يصبغ الثوب بالزاج و يرجع اللون لا أخضر و لا أزرق إلاّ لون عجيب. و تضفر النساء رؤوسهم في أوسط رؤوسهم ترجع تشبه الهدهد يسمونه الطرطر و سحاب و كاب فداري أتطاعين الضفائر سأبين عسا سل القدور ذات المكدر. و أسامي رجالهم بالكنى فمنهم أبا لالكة و أبا هالكة و أبا مداس و أبا فارس و أبا رأس و أبا عري و أبا حصى و أبا خرى و أبا عوف و أبا بول و أبا فقوق و أبا دقوق و أبا حل و أبا حبل و أبا فيل و أبا مل و أبا ريق و أبا بريق و أبا خيف و أبا دليف و أبا كتيف. و منهم جري على ألسنتهم يكنونه به و لم يأنفوا من تلك الأسامي. و كذلك الدياكلة و أهل الموصل و بعض العرب و أهل نهاوند و بعض اليمن و أهل عسفان.

فصل

قدم في أيام سيف الإسلام طغتكن بن أيوب مراكب الشحر و حضرموت إلى عدن، و صارت مشايخ الفرضة تسأل أحدهم عن اسمه فيقول: أبا حجر أبا خرى أبا كوة أبا قسوة أبا شعرة. فأبى المشايخ أن يكتبوا أسمائهم في الدفاتر و تخلص كل قماش هو في الفرضة إلاّ متاع الحضارم بقى في الفرضة يداس تحت أرجل الخلق. فلما طال الشوط و أرجع السوط ناد الصوت إلى سيف الإسلام أحضر المشايخ عن تأخير التخلص و التملص و التجعمص من الحضارم. قال المشليخ: إنّا لسنا نوقع أسماء القوم في دفاتر السلطان. قال: و لم؟ قال: لأن أسمائهم دونة. قال سيف الإسلام: إذا كرهتم أن تكتبون أسمائهم فكيف آخذ منهم العشور؟ فأطلق شأنهم و خلى سبيلهم.

فصل

قيل لرجل من الحاكة: قد رزقت ولدا فأختر له كنية. فقال: كنوه عبد رب السموات السبع و رب العرش العظيم. فقال الرجل: أبن من؟ قال: أبن عبد الكريم الذي يمسك السماء أن تقع إلى الأرض إلاّ بإذنه. فقال: مرحبا يا نصف القرآن العظيم. و أعجب من ذلك إنّ رجلا من العجم مسكنه أذربيجان سمى ابنه عبد من الأرض قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه. حدّثني منصور بن المقرب بن علي الدمشقي قال: إنّ أصل أهلها عبيد و موالي فلذلك فيهم حماقة و كبر خارج، و ليس في جميع الربع المسكون أشح منهم نفسا و لا اقل همة. و قد تفرقوا في سواحل البحر جميعا و تشتتوا في أقاصي الأرض و أدناها يمين و يسار كما قال:

كسى را در غريبي دل شكيباست كه در خانه نباشد كار أو راست

صفة قرن أبا إبراهيم

هو عين تجري في أعمال دوعان إذا جاز الوادي رجل من آل حمير جرى العين، و يقال بل يمطر في اليوم مطرة يروي نته الحميري لا غير دون غيره. حدّثني علي بن محمّد بن السباعي قال: إنّه حتى موكل على هذا الوادي فإذا جاز عليه رجل من آل حمير أطلق الماء و الوادي حتى يرتوي منه الرجل الحميري أو جماعة ، فإذا مد خولاني يده إلى الماء غار الماء في الرمل. و كذلك لأهل خولان عين ثانية تسمى عمل لم يشرب منها إلاّ الرجل الخولاني و لم يشرب منه حميري على ما تقدم نعته و صفته و هذا أعجب شيء يكون. قالت حمير: لنا التقدم!قالت خولان: لكم التقدم في آخر الحرابة و لنا التقدم في لقاء الأعادي.

فصل

حدّثني عبد الله بن محمّد بن يحيى الحائك قال: ينقسم غزل نساء اليمن على وجهين منه الفرسي و منه الحميري. قلت: و كيف ذلك ؟ قال: الحميري الذي يخرج الإصبع الوسطى على الإبهام في الغزل، و الفارسي الذي يدخل الإبهام على الإصبع الوسطى من فوق الغزل.

من شبام إلى ظفار

من شبام إلى تريم سبعة فراسخ ، و في أوسط الجبل ضرس جبل ثابت صاعد في الجو شبه منارة و قد بنى عليه حصن يسمى المشرق. فأنشأ يقول:

أقبل من أعشقه غدوة من جانب الغرب على أشهب
فقلت سبحانك يا ذا العلا أشرقت الشمس من المغرب

فصل

قعد الأمير فهد بن عبد الله بن راشد على منظرة هذا الحصن مشرف فإذا هو يرى رجلين غاديين على غير طريق فأنفذ قوما وراءهم فأحضروهما بين يديه فإذا هم قوم عرب. فقال لهما: من أين جئتما؟ قالا: من بصرة العراق. قال: و كم لكما عنها؟ قالوا: ثلاثة أو سبعة أيام. فقال: قولا لي كيف قصتكم! قالوا: إنا قوم بدو نسكن العراق و البصرة إذ رأى شيخ خلفنا رجلين راكبين هجينين غاديين في الفلاة. فقال لنا الشيخ: أقفوا لنا خبر هذين الراكبين! فقمت أنا و صاحبي هذا تبعنا أثرهما إلى أن غلس الليل فلما أظلم ضاع منا الأثر، فتممنا على حالنا في صعود آكام و نزول أودية و رمل و حصى.فلما طال الشوط أردنا الرجوع إلى أهلنا فلم نعلم الطريق فلا زلنا نسير إلى أن أشرفنا على هذه المدينة. و ما هذا الإقليم؟ قال: هذه ترم من أعمال حضرموت أريحوا بارك الله فيكم! فالبلد مستدار حول الحصن و بنى بها ملك في تريم جامع فلما تم بناءه قال للمهندس: تقدر على أن تبني خيرا من هذا البناء؟ قال نعم. ففي الحال ضرب عنقه خوفا أن يبني في موضع ثان خيرا من الأول.

و من محاسن سيرة القائد حسين أبن سلامة إنشاء الجوامع الكبار و المنارات الطوال من حضرموت إلى مكة حرسها الله عز و جل طول المسافة فمن ذلك ما رأيته عام و مستهلك و منها ما رواه الناس رواية جامعة . فأولها جامع شبام و تريم مدينتان من حضرموت فاتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن. و إلى قبر النبي هود عليه السلام ثمانية فراسخ، طوله سبعون ذراعا. و في هذه النواحي قبر ذي نيال عليه السلام أبن هود طوله أربعين ذراعا.حدّثني علي بن محمّد بن أحمد السباعي قال: إنّ قبر ذي نيال بن هود عليهما السلام في قرية هارون بناه هود عليه السلام من أعمال دوعان. قال أبن المجاور: و يمكن إنّه كان لهود النبي عليه السلام ولدان ذكرين أحدهما رونيا و الثاني ذا نيال. و قبر أبن ذي القرنين طوله خمسة و ثلاثون ذراعا، و قبر العزيز عليه السلام طوله ثمانية و عشرون ذراعا. قال أبن المجاور: و ما ضن القوم كانوا بهذا الطول و لكن طولوا قبورهم. و إلى مضى خمسة فراسخ . و إلى خليج عشرة فراسخ. و إلى ظهور عشرة فراسخ . و إلى مهرفق سبعة فراسخ . و إلى كدنوب خمسة فراسخ . ذات نخيل. و إلى مأرب عشرين فرسخا، و هي ذات نخيل و هي نصف الطريق.

حدّثني رجل من أهلها في دار الإمارة بمكة سنة إحدى و عشرين و ستمائة قال: إنّ هذه الأراضي و الجبال و الشعاب مواضع كانت مساكن قوم شداد بن عاد في فصل الربيع يتنزهون بهذه الأمكنة و قد بنوا على رؤوس الجبال و في بطون الأودية دكاك و مصاطب من الحجر و الجص و كانوا يقيمون بها أيام الربيع و يتفرجون. و قال آخر إنّما بنيت هذه الدكاك و المصاطب في هذه المواضع إلاّ لمّا سلط الله عليهم الذر و هو النمل، فكان القوم يجدون لذلك ألما شديدا. و حينئذ هجروا البلاد و خرجوا بأهلهم و سكنوا الجبال و الشعاب و الأودية و بنوا الدكاك متفرقة في بطون الأودية و رؤوس الجبال. فلما كثر عليهم الذر أشعلوا النيران حول الدكاك لئلا يصعد إليهم الذر، كما قال الله تعالى"فأرسلنا عليهمُ الطوفانَ و الجرادَ و القملَ و الضفادعَ و الدم" تمام الآية. و إلى الآن الدكاك على حولها مع طول الزمان و مواضع النيران على حالها.

رسوم الدار باقية على خراب و يجول بأكتافها كل لاهج
من سين ست ذي إعساري ومن حناء ذا مخارج
رحلوا الأحباب و خلفوني بليل شبه شاة عند ذابح
أمسى الزمان بدار قوم إذا رحلوا الأحباب عنها مصباح

و قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في المعنى:

نسائلها أي المواطن حلت و أي ديار أوطانتها و أنت
و ما ذا عليها لو أشارت فودعت إلينا بأطراف البنان و أومت
و ما كان إلاّ أن توليتها النوى فولى عزاء القلب لمّا تولت
و أما عيون العاشقين فأسخنت و أما عيون الشامتين فقرت
و لمّا دعاني البين و ليت إذ دعا و لمّا دعاها قد أطاعت و لبت
فلم أر مثلي كان أوعى لذمة و لا مثلها لم ترع عهدي و ذمتي

و حدّ الدكاك من أعمال حضرموت إلى آخر معاملة عمان مع التهائم و نجدها. إلى جيروت أربعة فراسخ . و إلى التهودى أربعة فراسخ . و إلى الشعب سبعة فراسخ ، معدن شجر البان. و إلى حلوف خمسة فراسخ . و إلى الغيل ثمانية فراسخ . و إلى، ثلاثة أعين يخرجوا من شعب جبل و يسمى جبل الأسفل و هي عقبة. و إلى ظفار أربعة فراسخ . و كل هذه المواضع ثرار و شعاب ذات مياه ليس عليها عمارة إلاّ بعض السيء و الله اعلم و احكم.

ذكر خراب ظفار

خرب أحمد بن عبد الله بن مزروع الحيوضي ظفار سنة ثمان عشرة و ستمائة خوفا من الملك المسعود أبي المظفر يوسف بن محمّد بن أبي بكر بن أيوب و بنى المنصورة و سماها القاهرة و سكنت سنة عشرين و ستمائة و الاسم المعروفة به ظفار و هي على ساحل البحر. و قد أدير عليها سور من الحجر و الجص و يقال من اللبن و الجص و رتب عليه أربعة أبواب: باب البحر ينفذ إلى البحر و يسمى باب الساحل، و بابين مما يلي البر و هما على الاسم لأبواب ظفار المهدمة أحدهما مشرق يسمى باب حقة ينفذ إلى عين فرض، و الثاني مما يلي المغرب و يسمى باب الحرجاء ينفذ إلى الحرجاء و الحرجاء مدينة لطيفة و ضعت على ساحل البحر بالقرب من البلد. و ما بنى المنصورة إلاّ لإحكام البلاد خوفا على العباد. فلما بنى المنصورة و لم يأبه إليه الملك و لا عاتبه فيما صنع، و كان أمر الله قدرا مقدورا.

ذكر مدن هدمت خوف الأعادي و لم يصلها العدو

خرب ناصر الدين أبو الفتح قباجة السلطان في أعمال السند قلعة كلور و سبب رأس حدّ بلاده خوفاً من السلطان الأعظم علاء الدين أبي الفتح محمّد أبن تكش سنة اثنتي عشر و ستمائة. و خرب أيضاً الملك ناصر الدين أبو الفتح قباجة في أعمال السند اهراوت و ستائر و كتكفي و طلبه و علما اوروهام راوبر سرور ونزواره و كربون و هدروت و شاهكا وراح بيوم و مكبوب خوفا من اليلطان جلال الدين منك بتي بن محمد بن تكش سنة اثنتين و عشرين و ستمائة. و خرب صلاح الدين يوسف بن أيوب في أعمال الساحل عسقلان و غزة و الدارون والرسين و قلعة الأفضل و العباسية خوفاً من الافرنج سنة سبعين و خمس مائة. خرب السلطان علاء الدنيا و الدين أبو الفتح محمّد بن تكش قلعة مرورود و رسوم و في أعمال السند بدووب وحاما و هابهور و مكيو منك راور فصرا أيوب و كوب و باحكة و بنوني و بكورح خوفا من املاكها الأمكنة سنة أربع و ستين و خمس مائة، و أبقى المدن و هدم الحصون لان في هذه البلاد كل قرية بها حصن مانع بناء الهنود من سالف الدهر. و هدم الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب في أعمال الشام الكرك و الشوبك و القدس و ايلة و الاذيقية و هو مأتين و ستين و سقى من نون خوفا من الافرنج سنة أربع و عشرين و ستمائة. و خرب الملك المعزي الذي تغلب على ملك السلطان سنجر من خرسان مرو و سرخس و نيسابور و من العراق الري و همذان و من كرمان حريب و بم كاري و في زاولستان حور خوفا من السلطان علاء الدين حسين ابك الغوري سنة أربعين و خمس

مائة. و خرب الخان الحسين بن علي الخلجي الديبول خوفا من ناصر الدين قباجة سنة تسع عشرة و ستمائة. و خرب الهمن مسر بن دوده قلعة السلام خوفا من الخلج سنة عشرين و ستمائة. و خرب ححبل خان النمر حني جميع العجم خوفا من المسلمين سنة عشر و ستمائة. و خرب أحمد بن محمّد بن عبد الله الحبوضي ظفار خوفاً من الملك المسعود يوسف لن محمّد سنة ثمان عشرة و ستمائة.

صفة الطريق القديمة

كان من بغداد إلى ظفار و مرابط الطريق آمن يسلكه البدو في العالم مرتين يجلبون الخيل و يأخذون عوضهم العطر و البر و يرجعون إلى العراق. فلما تغلب أحمد بن محمّد بن علي هؤلاء فتحوا في الملك و وقع الخلف في البلاد و انقطعت الطرق و اندثرت. فلما ملك أحمد بن محمد بن عبد الله بن مزروع الحبوضي الملك و استقام فيها أمنت العباد و عمرت البلاد انقطعت الطرق خرج البدو على رءوسهم في الطريق القديمة و صاروا على الطريق المستقيم بالخيل إلى ظفار فباعوا و اشتروا. فلما أرادوا الرجوع قال لهم أحمد بن محمّد: و كيف علمتم الطريق؟ قال أحدهم: إني سافرت مع أبي و أنا طفل على هذا الطريق مرة واحدة فسرت الآن فيها بقياس التعفل بمعرفة تامة و كتاب الله السلامة حتى بلغنا المقصد. قال لهم فمن أين تخرجون؟ قالوا: من مشهد الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما فإذا وصلنا إلى المنزل الفلاني افترق عنده الطريق طريقان يأخذ أحدهما إلى الحساء و القطيف و الثاني يجيء إلى مرباط و ظفار. فقال لهم؟ شاهد الله على البدوي سلك هذه الطريق ثانية لا يلومن إلاّ نفسه. قالوا: و لم؟ قال: نخاف إنّ يندرس الطريق لكثرة سلاكه فتجيء خيل أمير المؤمنين عليه السلام غائرة في تلك البلاد علينا و أنا مع ذلك خربت البلاد و بنيت المنصورة لأقطع الشر عني. فدخلت البدوان من بلد ظفار و لم يرجعوا إليها و منها انقطع الطريق سنة ست عشرة و ستمائة.

صفة الرياح الثلاث

ريح عاصف قاصف ذات شدة و صلابة، فإذا هب الهوى سد الغبار جميع الطاقات في الدور و أوراق الجدران. و يقال إذا هبت هذه الأهوية فمن شدة هبوبها تدحرج الحجارة من أعلى ذروة الجبل إلى إنّ توصله البحر و بين الجبل و البحر يوم طراد. و الأصل فيه إنّ الله سبحانه و تعالى اهلك قوم عاد بهذه الريح و هي الريح العقيم. و الاسم فيه ثلاث مشتق من بلاء. و حدثني ربان في عدن قال: إنّه من جملة الرياح الازيب يعني الجنوب و حدود هبوبه من رأس فرتك إلى مرباط. كما قال الشاعر الغزنوي:

تا بدان جايت فرود آرد كه باشد اندرو ناوك اندازانش قهرو خنجر آهنجان بلا

زهره مردان جو بر زنكار باشي ناردان كرده كردان جوبر شنكرف مالى لوبيا

صفة المنصورة

هوائها طيب و جوها موافق و ماؤها من خليج عذب فرات. يطلع بها الفواكه من كل فن: من فواكه الهند الفوفل و النارجيل، و من فواكه الساحلية قصب السكر و الموز، و من فواكه العراق الرمان و العنب و من النخل جمل، و من ديار مصر الليمون و الاترنج و النارنج و من السند النبق، و من الحجاز و الدوم و هو المقل. و جميع سكانها حضارم انتقلوا من بلادهم و سكنوا بها. و مأكولهم السمك و الذرة و الكنب، و مطعوم دوابهام السمك اليابس و هو العيد. و لم يزبلوا أراضيهم إلاّ بالسمك، و يقال إنّما يقعدون الهريسة إلاّ بلحم السمك لا غير. و نساؤهم سحرة يمشون من ظفار إلى الجاوة الميل في ليلة واحدة لنهم في قرب جزيرة سقطرى، و المسافة فيما بينهما يومين و ليلة في البحر. و أهل الجزيرة يودون القطعة لابن الحبوضي.

ذكر جزيرة سقطرى

يقال: إنّ في قديم الزمان كان جميع هذه الأمكنة بحر لا غير، و كانت سقطرى ما بين البحر و البر فلما فتح الله الفم من مقابل الجبل غرق البحر إلى باب المندب ما بين عدن و زبيد و وقف الماء عنده، فلما فتح باب المندب و قف أواخر بحر قلزم. و جبل سقطرى صار الآن جزيرة في لجج البحر يصح دور الجزيرة أربعون فرسخا و نيفا و ليس في جميع هذه البحار الحمامي قال: يصح دورها ثمانون فرسخا و نيف و ليس في جميع هذه البحار اكبر منها جزيرة و لا أطيب منها و هي ذات نخل و بساتين و زروع ذرة و حنطة، و بها إبل و بقر و ضأن ألوف مؤلفة. و فيها مياه سائحة على وجه الأرض و هو عذب فرات، و هو خليج كبير ينبع أوله من الجبال طويل عريض و يغلب ما فضل منه البحر ذات أسماك. و يطلع منه شجر الصبر السقطري و دم الأخوين، و يوجد في سواحلها العنبر الكثير. و سكانها قوم نصارى سحرة، و من جملة سحرهم إنّ سيف الإسلام جهز إلى الجزيرة و الأصح سيف الدين سنقر مولى إسماعيل بن طغتكن خمس شواني ليأخذوا الجزيرة فلما قربوا القوم من الجزيرة انطمست الجزيرة عن أعين القوم و صاروا صاعدين محدرين طالعين و نازلين ليلا و نهارا أياما و ليالي فلم يجدوا للجزيرة حس و لا و قعوا للجزيرة على خبر فردوا راجعين. و يقال إنّ الروم الملاعين يكتب في كتبها عن الجزيرة يعني سقطرى: الجزيرة المحروسة بأرض العرب.

ذكر السبعة الطيور

قد ذكر مؤلف كتاب الرهمانج إنّه إذا شاهد مسافر في هذا البحر سبعة طيور في لجج البحر يعلم إنّه مقابل جزيرة سقطرى و كل من جاز و يجوز هذا البحر و قطع جزيرة سقطرى يرى السبع طيور ليلا و نهارا و صباحا و مساء، و من أي صوب اقبل المركب يستقبلونه الطيور و أمير المؤمنين يجدوهم أحد مستدبرين،و هذا دائم و لم يتوهم أحد لا ثمانية و لا تسعة و لا ستة طيور بل سبعة كاملة، و هذا من جملة العجائب و كم قد فكرت العلماء فيهم فلم يجد عند أحد منهم ما الحكمة فيهم و لا كيف قصتهم و نعتهم. قال أبن المجاور: سافرت من الديبول إلى عدن في مركب الناخوذا خوجة نجيب الدين محمود بن أبي القاسم البغوي شركة الشيخ عبد الغني بن أبي الفرج البغدادي آخر سنة ثمان عشرة و ستمائة و رأيت الطيور السبعة في لجة البحر، فلما أصبحنا رأينا الجزيرة. و في الجزيرة أربع مدن كبار منه السوق و فاتك و موري و ما حولها من القرى قرية ما شاء الله. و هي جزيرة و الجبل مستدير حوله وقد صعد ذروة الجبل إلى الأفق، و قد سكن الجبل قوم جبالية عصاة على أهل الوطاء. و هي ذات مزارع و عمائر و مدن و قرى لم يعرفوا بعضهم بعضا. و قد علق كل في عنقه صليب كل على قدره. و في أطراف الجزيرة سواحل كثيرة مثل بندر موسى. و رأس ما في سقطرى و غاية معاش أهل هذه السواحل مع السراق لان السراق ينزلون عندهم و يقيمون عندهم مدة ستة شهور يبيعون عليهم الكسب و يأكلون و يشربون و ينيكون نساءهم ، و هم قوم جلح قوادون و عجائزهم أقود من رجالهم و في رجالهم من أقود من اسود في رأس جمل هائج. كما قال الشاعر:

عجوز لو رميت في قعر بحر ... أتت للبر قائدة لحوت

تقود من السياسة ألف بغل ... إذا جروا بخيط العنكبوت

و هذه صفة جزيرة سقطرى و البحر و المركب على هذا الوضع و الترتيب و هذا جانب المطلع من جزيرة سقطرى، و هذه صورة تراها إذا كنت في أوسطها و جاريتها. و إما إذا تدنيت من البحر تتغير هذه الصورة و تراها على صفة أخرى.

من المنصورة إلى ريسون

ثلاثة فراسخ و تعبر جبل رأس الحمار آخر غب القمر و أما ريسمت كانت مدينة عظيمة و كان من بغداد إليها طريق مطبق مجصص بالجص و النورة و كانت القوافل صاعدة بالبر بهار أو الخف منحدرة

بالبضائع التي تدخل الهند مثل الصفر و الزنجفر و الماورد و الفضة و ما يشابه ذلك و خربت من طول المدى. و إلى دخان ثلاثة فراسخ ، و إلى حارب ثلاثة فراسخ . و إلى مراوة ثلاثة فراسخ . و إلى حلقات أربعة فراسخ و تعبر جبل فرتك أوّل مبتدأ غب القمر و هو مندخ المركب المقبلة من الهند. و إلى الحصورين ستة فراسخ . و إلى خيريج ستة فراسخ . و بهذه الأراضي سبع قرى مقلوبة و تسمى عند الفرس هوسكان أي منكورين. حدثني أحمد بن علي بن عبد الله الحمامي الواسطي قال: ما بين الشجر و احور سبع قريات سود أي سبع قرى مسودة الأرض قلب الله عز و جل بها و هي من قرى قوم عاد. و إلى الريداء سبع فراسخ. و إلى الشجر خمس فراسخ، و إلى مرسى طيب بأعمال حضرموت. و إلى الشجير أربع فراسخ. إلى المكلا فرسخ. إلى بلي ستة فراسخ. و إلى نسع خمس فراسخ. و إلى حصن الغراب أربع فراسخ حصن السموءل بن عاديا اليهودي. و إلى مجداح أربع فراسخ. و إلى الحوراء ثمان فراسخ. و إلى احور ثمان فراسخ. و إلى ابين ستة فراسخ. و إلى لحج أربعة فراسخ. و إلى عدن ثلاثة فراسخ.

من المنصورة إلى قلهات

من المنصورة إلى مرباط أربع فراسخ، بناء الفرس و يقال إنّما بني الاسم مرباط لأنها كانت مرابط الخيل التي للفرس من أهل سيراف، و آخر من تولى بها من نسل الفرس أولاد منجو، و خرب على يد أحمد بن محمّد بن عبد الله أبن مزروع الحبوضي. و إلى ارجوب فرسخين. و إلى كنكري أربعة فراسخ و إلى النوس قلاقة فراسخ و تعبر بجبال عوالي. و إلى حاسك فرسخين و إلى كنكري أربعة فراسخ محاذاة خوربان و موربان و هما جزيرتان في لحج البحر. و إلى مدركة أربعة فراسخ . و إلى المصيرة أربعة فراسخ و تعبر غبة الحشيش و أهل الجزيرة قوم يقال لهم المهرة و الله اعلم.

ذكر نسبة المهرية

حدّثني علي بن محمّد با أحمد الساعي في المفاليس حدّثني فهر بن عبد الله بن راشد و هو سلطان حضرموت قال: إنّ أصل المهرية من قرية الدبادب لم تجر فيه صلوه لان أمير المؤمنين أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعث بجيش إلى هذه الأعمال فعصت أهل هذه القرية عليهم فلما انتصروا على أهل القرية ركبوا السيف على أهلها لا زالوا يقتلون فيهم إلى أن جمد الدم فيهم قدر قامة فلم يسلم من القوم إلاّ قدر ثلاثمائة بنت بكر مخلخلات مدملجات ملبسات. فتعلقوا بجبل مقابل فلما رأوا أهل البل ذلك أمهروهم و تزوجوهم فجاء من نسلهم المهرة.و حدّثني أحمد بن علي بن عبد الله الواسطي قال: إنّ أصل المهرة من

بقية قوم عاد فلما اهلك الله تلك الأمم نجا هؤلاء القوم فسكنوا جبال ظفار و جزيرة سقطرى و جزيرة المصيرة. و هم قوم طوال حسان لهم لغة منهم و فيهم و لم يفهمها إلاّ هم، و يسمونهم السحرة و ما اشق اسم السحرة إلاّ من السحر لان فيهم الجهل و العقل و من الجنون، يأكلون نعم الله بلا حمد و لا شكر و يغبدون غيره. و هم في هذه الديار يشبهون الدواب سائرين ملأ تلك السهول شبه السيول و الجبال شبه الحبال. و فيه يقول الشاعر:

كم يوعظون و لا تغني مواعظكم فالبهم يزجرها الراعي فتنزجر

أرضكم صور الناس الذين هم ناس و لكنكم في فعلكم بقر

3لو كنتم بشرا كانت تنهنهن كم=نوائب الدهر إلاّ أنكم حمر و إلى درب جعلان ثلاثة فراسخ . و إلى صور أربعة فراسخ و إلى العاتب فرسخين و إلى قلهات فرسخين.

بناء قلهات

أوّل من سكن الساحل بقلهات الصيادين قوم ضعف يرزقون الله، فلما طال مقام القوم طاب لهم و التأم إليهم بمقامهم خلق يستأنسون بهم. فكثروا و زادوا إلى أن سكن في جملة الصيادين شيخ من مشايخ العرب و اسمه مالك أبن فهم، و كان من حرصه على عمل البلد يقف على الساحل فأي مركب يراه يقلع في البحر ينادي لأصحابه: قل هات! أي: قل لهم في دخول البلد، يعني لأهل المركب، سمى البلد قلهات. و حدّثني أحمد بن علي بن عبد الله الواسطي قال: إنّما كانت تسمى في سالف الدهر هات قل. قالت: و لم سمي بهذا الاسم؟ قال: فلما هرب القوم من وقعة النهرين نزلوا بهذا الساحل وكانوا يقولون لخدامهم: هات! يعنون به الزاد و هو زاد صحبهم من العراق، فلما قل عليهم ذلك قال أحدهم لخادمه: هات! فرد عليه الغلام: قل، سمي البلد هات قل. فلما دار الدهر دار الاسم مع دوران الزمان قلهات. و عمر المكان بمقام الشيخ مالك بعد أن أدار عليه سورا من الحجر و الجص سنة خمس عشرة و ستمائة و عدل فيها. دخلتها المراكب من كل فج و خور و سائر الجهات من كل جهة، و صارت ذات عظم و مهابة.

فصل

وجد زيد عمرا يمشي إلى داره فقال: ما لك تمشي مقلوبا؟ قال: لانقلاب الزمان نوافقه على فعله. كما قال الشاعر:

كان في الغادين لي سكن فنأى فأغتاله الزمن

خلف الغادون أي حزنا و لبئس الصاحب الحزن

و هو عاى هذا الوضع و الترتيب

ذكر جبل السعتري

جبل عن البلد مقدار فرسخ و طريقه ذات طول و عرض و سعة في ارتفاع و انحطاط و كل ما يطلع فيه السعتر من أوله إلى آخره، و على ذروة هذا الجبل نجر سفينة نوح عليه السلام . حدّثني عبد الغني بن أبي الفرج البغدادي قال: هو نجر حديد يصح مقدار بيت كبير و كان فيه إنّه لّما أرسى السفينة على هذا الجبل لان ماء الطوفان كان قد علا على جميع ما خلقه الله تعالى مقدار سبعة عشر ذراعا أمري الأنجر، تعلق الأنجر في حجر من الجبل أبى أن يصعد معهم و غمر الريح قطعت السفينة الأحربة و بقى الأنجر و الأحربة موضعه يزار. و هو موضع فاضل و الله اعلم و احكم.

ذكر الإباضية

أصل القوم من ولد الرجل الذي أقر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالإلهية. و قال " لعلي عليه السلام : يا علي يهلك فيك طائفتان محب غالي و مبغض قالي. و أول من نسب الإلهية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أبو الثديان فقال له علي بن أبي طالب: كف عن المقالة و اشتغل عن البطالة فإني آكل و اشرب و أنام و أنكح و من يقسم فيه هذه الخصال حاشى أن يعبد لأن الإله عز اسمه و جل ثناؤه متعال متره صفاته عن الذات و اللذات فكيف عما ذكرناه في الأكل و النوم! فلما أنكف أبو الثديان عما كان علية من الاعتقاد شرع هذا المذهب بين القوم و خرج طائفة منهم سكنوا أعمال البطائح و هم على هذا الاعتقاد إلى الآن و يراها صفة أخرى.

من المنصورة إلى عدن راجعا.

من المنصورة إلى ريسوت ثلاثة فراسخ و يعبر عنه بجبل رأس الحمار اخترعت و حينئذ خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فصافف القوم بالنهرين و كسرهم و ركب عليهم السيف و لا زال

يقتل فيهم إلى أن أفنى الجميع و رد البغلة إلى القنطرة فوقعت البغلة على نصف القنطرة. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : انظروا من تحت القنطرة! فإذا هم بابي الثديين. فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: جاء الحق و زهق الباطل أسلم تسلم. فقال: كيف أسلم و البغلة تعلم علم الغيب إني تحت القنطرة؟ فحينئذ جرد علي بن أبي طالب رضي الله عنه السيف و ضرب عنقه و هرب من سلم من القوم، و لا زال السيف يعمل فيهم و وراءهم من الغيب إلى أن عبرهم البحر فسكنوا بهذه الأعمال. فبدلت تلك المحبة بالبغضاء فهم من المحبين الغالي و المبغضين القالي و هم الهالكين ما بين المحبة و البغضة. كما قال:

الحب فيه مرارة و حلاوة=و الحب فيه شقاوة و نعيم

و قال آخر:

آه من لوعة التفرق آه ما أمر الهوى وما أحلاه

كتب الدمع فوق خدي سطرا رحم الله من دنا فقراه

و يسمون علي بن أبي طاب رضي الله عنه أبا تراب. و يقولون إنّه كان في الصغر مؤمن فلما كبر كفر. و ينشدون في سماعاتهم:

صلى الله و سلم على شهيد أبن ملجم

هذا الذي ضرب الشرك بالسيف حتى تثلم

و ينشدون بيتا من قول أبي سكرة:

سبوا عليا كما سبوا عتيقكم كفر بكفر و إيمان بإيمان

علم مكنون و سر مكتوم

إذا نزلوا المراكب أو كوروها لم تصعد المراكب و لا تنحدر معهم إلى أن يقولوا الجميع بصوت واحد: يالعلي! و يقولون انهم يبقون في جر المركب زمانا طويلا حتى يتعبون و يضجرون فيقول بعضهم لبعض: اذكروا ذلك الرجل! يعنون علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتقول المشايخ: كوروا مركبكم إن كنتم تكورون! و لا يزال القوم في عناء و تعب و صداع و كرب و صياح و شغب إلى أن يقولوا الجميع في صوت واحد: يالعلي! فيجري معهم المركب أهون من شربة ماء بارد إلى فم رجل عطشان فيصبي المركب و يسبح في البحر و يعوم. قال القائل:

علي طلابات و أنت وسيلتي إلى الله يا مولاي موسى بن جعفر

إذا جاءك الملهوف يطلب حاجة تيسر من مأمول كل معسر

و قال آخر:

لمّا تكاثر حسادي و أعدائي بغير جرم جعلت الله مولاء

و قد تمسكت بالميم التي في مح مد و علي عين و بالحاءين و الفاء

و قال محمود:

فوحق حروة خمسة ما مثلهم بين البشر

بال جبريل افتخر

ذكر الإباضية

فكل رجل يبغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحيض من دبره رأس كل شهر، و يقال من ذكره، كما تحيض المأة. و في أعمال صنعاء منهم قوم يسمونهم السمارة و علامتهم يعلقون كيسا من جلد ملأه رمل في ذكره كلما ابتل الرمل بدده و استعمل غيره و يسمى ذلك الكيس مطهرة. فهم الإياضية و الله اعلم.

ذكر السلقلقيات

و كل امرأة تبغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه تحيض من دبرها فهم السلقلقيات. قال أبن المجاو: و كل من هو نسل أبي الثديان من رجل أو امرأة أو من حضر وقعة النهرين فرجالهم الإباضية و النساء السلقليات لنهم معروفون بهذه العلة ة الله اعلم و احكم.

ذكر بلاد الخوارج و الإباضية

حدّثني صفار قال: إنّ جميع أهل أذربيجان كانوا فأسلم الجميع و رجعوا إلى مذهب الإمام أبي عبد الله محمّد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه . و رجعت كلوة من الشافعية إلى الخاجية و هم باقون على هذا المذهب إلى الآن. و في المغرب نفوسا مثل راره و التمساح و رأس المخبز و اتاهرت و سويقة أبن مدكول و جبال نصير و طارق، فهذه البلاد قديما على هذا المذهب. و أما الذين هم جدد فمن تولى محمّد بن الحسن بن تومرت البربري و عبد المؤمن بن علي الكوفي ملك المغرب ساقوا الخلق إلى أطراف هذا

المذهب. و بعض بأرض مصر، و بأعمال الشام دمشق و حران، و من ديار بكر بغداد، و من أرض الجزيرة بأحرفه و أخباره مع جميع سواد الموصل و جبال الأكراد و الدبابلة و جميع أصحاب الشيخ عدي. و من بغداد باب البصرة و الحربية و دار القز و السرمة و باب الأزج و الحلبة و البصلية و الحريم رجال شتى و بعض أهل واسط القصب و قرية بأعمال البحرين شذ على الراوي اسمها. و من العراقيين البصرة و همذان و من اران سلماست و من سبهان درجوي ناره و دكوك و دوليان و من خراسان هراة و اسراسير مع جميع أعمال تيم رورکربك مع جميع أعمال حوادر و إلى حدّ ما كان طول في عرض و من وادي ردمد بالطول من سيسان إلى وادي سول و به أكثر من قرية على خيط واحد. و من أعمال اليمن زبيد و أعمالها مجهر و من الجبال الشرف و هو من أعمال زبيد مقبل قلحاح و ليس هم الشرف أي الأشراف أهل الحسب و النسب و هي أعمال تسمى الشرف كما صادف الاسم الكنية و هم يؤيدون القطعة لآل الشرف من آل الحسن بن أبي طالب. و سكن جميع اليمن منه كما يقال رقى و هم حنابلة المذهب لان الحنابلة يقولون فيما بينهم: لا يكون الحنبلي حنبليا حتى يبغض عليا سويا. و من الأديان اليهود خلاف جميع الملل. و يقال إنّ أوّل من سب أبا تراب بالشام معاوية بن أبي سفيان و صارت عندهم سنة مؤكدة استمروا عليها إلى آخر دولتهم إلى ألف شعلا فسبه جميع العالم ما خلا خوارزم و قد تقدم ذكرهم.

فصل

قيل كان الوليد بن عبد الملك يذكر بالجهل فذكر يوما علي بن أبي طالب رضي الله عنه المنبر و لحن. فقال بعضهم: ما أدرى أي أمر به أعجب لحنه فيما لا يلحن أحد فيه أو نسبته علي رضوان الله عليه إلى اللصوصية. حدّثني أحمد بن علي بن غب الواسطي قال: كتب وهاب الأبنوس على فص خاتمه وحيد من الأئمة جميعا معاوية و يزيد و يوم الخميس الثاني و العشرين من رمضان سنة خمس و ستمائة و حق معاوية بن أبي سفيان كاتب و حي الله و رديف رسول الله " . و هم أوّل من سبوه على منابر الإسلام. و قال إمام الحرمين في كتاب أتلمع. معاوية مخطئ و علي مستمسك بالحق. و جميع أعمال عمان و قلهات و الفرات و حيوي و مسقط و حي عاصم و صحار و خور فكان و كمزار و جلفا و الذين هم في الجبال مسح و ثروى شمائل.

ذكر استفتاح أعمال عمان

قرأت في كتاب مسالك الممالك الثاني و يذكر فيه إنّ الغالب كان على أعمال عمان الإباضية إلى أن وقع بينهم و بين طائفة من بني سامة بن لؤى بن غالب. خرج منها محمّد بن القاسم الشامي إلى الإمام أبي العباس أحمد المعتضد بالله بن أبي أحمد محمّد بن الموفق و قيل طلحة بن المتوكل و قيل أبن الموفق محمّد بن جعفر المتوكل استنجد به فبعث معه بابي النور ففتح عمان للمعتضد بالله و أقام له الخطبة بها. فارتحلوا الإباضية إلى ناحية سرديحة سكنوها إلى زماننا هذا و لو فتحنا هذا الباب لطال الكلام و كثر و التقصير في مثل هذا اصلح و أجود و الله اعلم.

ذكر استفتاح الخوارزمية قلهات

لّما تولى خواجة رضي الدين قوام الملك أبو بكر الزوزني ملك كرمان و مكران و فارس قتل السلطان علاء الدين محمّد بن تكش ملك قلهات بالسيف، و يقال إنّ ملك بن فهم مات في أيام دولة رضي الدين قوام الملك. ففي تلك و العرضة انفذ رضي الدين قوام الملك مراكب تسلم قلهات مع جميع أعمال عمان و كان له فيها شحاني و عمال و نواب يجبون داخلها و أعشار السفراء مع ضرائب و القوانين. و كان هو يرسل بالإبر يسم من كرمان يبيعونه و يجمعون دخل البلاد و يشترون به خيل عربية ينفذومها إليه في كل واقعة خمس مائة حصان إلى ما دونه و أعلاه، فكان يركب ما كان دون منها الملك في كرمان خلف قلهات أربعة و ستين ألف منّ و يقال ثمانون ألف منّ حرير مع خمس مائة حصان. فملك قلهات من أيدي الخوارزمية مع الخيل و الإبر يسم سنة خمس عشرة و ستمائة. فملك قلهات بعد وفاته الشيخ مالك بن فهم بن مالك من أدار على قلهات سورا من الحجر و الجص سنة سبع عشرة و ستمائة.

صفة بتان العنبر

وجد أهل قلهات يوما مقابل المدينة جزيرة كبيرة فقال الشيخ مالك بن فهم: تقصوا لنا أثر الجزيرة و ما هو فغدا الصيادون و رجعوا إليه فقالوا له: بتان يصبي على وجه البحر. فقال لهم: جروه إلى البلد!فركب الصيادون الصنابيق و شدوا الأحربة في البتان و جروه و أرموه الساحل. فصارت الخلق تتفرج عليه و على عظم خلقه إلى أن جاف و خاس، فظهر في جوفه قطعة عنبر وزنها ثلاث أبهرة. فلما علمت الناس بذلك قطعوه و نهبوه و وصل العنبر إلى جميع من في البلد من قوي و ضعيف، و وصل إلى الشيخ مالك بن فهم بهار بالكبير عن ما تبين من سنة عشر و ستمائة.

فصل

البنان صادف القطعة العنبر طافية على وجه البحر فابتلعها فلما استقرت القطعة في أمعاءه ضعفت معدته عن هضمها فمات فطفا على وجه البحر فضرب به الموج و اسنده إلى الساحل بقلهات استغنى به من استغنى. حدّثني محمّد بن الجوزي قال: إني اشتريت من هذا العنبر تفاريق صح لي جمل بأدنى شيء فأخذته و سافرت به إلى خوارزم بعته على تركان خاتون علاء الدين محمّد بن تكش على سعر العشرة مثاقيل بثلاثين دينار.

صفة قلهات

قلهات بلد وضع على ساحل البحر و الجبل محيط به و يقال إنّها على وضع عدن. ماؤها طيب يجلب من منده و بها نهر سقراط معينة من الجن الجبل يجري بين نخيل و بساتين خفيف مريء عذب فرات. قال أهل اللغة: إما عمان فإنها تسمى بعمان بن نعسان بن إبراهيم الخليل عليه السلام و هو الذي بناها. قال أبن المجاور: و ما سمي هذا الإقليم إقليم عمان إلاّ إنّها تعم بالخير. مأكولهم التمر و السمك و لبسهم الأزرق مكشوفين الرؤوس.يشترون كل سبعة رجال منهم جارية و كلما دخل واحد من السبعة خلع نعليه و خلاهما على الباب فإذا جاء أحد السبعة راى النعل عاد على أثره راجعا لعلمه إنّ أحد اصحابه عند الجارية. و ليس في جميع الربع المسكون ابغض منهم للغريب. يقول زيد لعمرو: أي باق غريب بالجندل، يعني الحجر ، و انزل عليه بالروبان و زيده بالعصا! و لبس أحد أذل منهم ، إذا عاينوا السراق في البحر يقول بعضهم لبعض: أي بالمال ما نعطيه أسلم تسلم؟ فيسلمون المركب للسراق و يخرجون عرايا الاستاه. و ليس في جميع القبابين أصغر من قبان قلهات.

من قلهات إلى مسقط

من قلهات إلى طيوى ثلاثة فراسخ . و إلى مسقط ستة فراسخ . هذا الاسم الأصل فيه مسكت، و يقال لّما وصل إليه الصحابة سكت كل من كان بها فسميت مسكت و الله اعلم

صفة العنة

و في مسكت عنة و على فم العنة ناظور لا يزال قاعدا فإذا دخل العنة سرب سمك علم الناطور كم عددهم. فسئل عنه فقال: إذا شاهدت مقدم الأسماك أعلم كم يكون عدد أشياعها و أتباعها و ذلك من كثرة التجارب و الخبرة. و كانت هذه المدينة مرسى مدينة صحار و في هذه المدينة كانت ترسي المراكب

القادمة من أطراف و كانوا يصعدون بالخف و البرهار إلى صحار يبتاعون و يتشارون. ز منها كانت تصعد البضائع إلى كرمان و من كرمان إلى سجستان و كانت البضائع تتفرق في خرسان و ما وراء النهر و زاويلستان و الغور و كرميل. و إلى حي عاصم ستة فراسخ. و إلى أسرار ستّة فراسخ. و إلى صحار أربع فراسخ.

صفة صحار

حدّثني أبو المجد بن أبي محمّد الكمال بن الكمال العلوي الحسني قال: إنّ صحار كانت أثنى عشر ألف قرية مع أثنى عشر ألف قصر مع أثنى عشر ألف نهر مع أثنى عشر جامع، و كان يسكن كل ناخوذة قصر و يشرب أهله من نهر فإذا كان يوم اللجمعة يحتاز إلى الجامع في تسعة و تسعين من خدمه و أشياعه و قرابته و أعوانه. حدّثني بعضهم قال: كان بعد بنائها مائة و اثنين و تسعين قبان لوزن البضائع للطالب و المطلوب.

صفة دار الختمة

بنى ناخوذة دارا و أمر أن يكتب القرآن بالذهب فيها و الأصح في خشب الساج توازير الدار مقطع مركب في أثنى عشر كتبا فصح فيه تمام الختمة في سطر واحد من الدار و سعته فسمى الدار دار الختمة. و كان بناه القوم بالآجر و الجص و الخشب الساج فخرب الجميع و صارت الجن تسكن حول القصور. حدّثني الشيخ أبو بكر البصري المحل قال: إنّ هذه الأعمال كانت لملوك كرمان من آل سلجوق فاندرثرون و تغلبت الغزة عليهم و خليت البلاد و تسلطت العرب على هذه الأعمال و أخربوها. سافر زيد من وطنه و رجع فإذا هو يرى بحارة الحمال رجع قاضي البلدة. و قال القاضي يعني الحمال لزيد ابسط ما كان من الإبل الأوائل من الرفعة و ما نحن الآن فيه من الهبوط؟ قال زيد كيف ذلك أدام الله مجلس مولانا القاضي و ثبت قواعده؟ قال القاضي في الدور الأول ارتفعت الأوائل إلى أن كنا حمالين للقوم الحطب و الأواخر رجعت قاضي حكمهم. قال أبن المجاور إذا كانت الأوائل حتى سكنوا تلك القصور و ما نحن فيه الآن حتى قنعوا مسكني التصاريف من الخرابات. كما قال

يا باكيا بعد الأح ... بة في المنازل و الدمن
من بعد يوم فراقهم ... أعلمت ما طعن الوسن
فأجابني :لا و الذي ... قلبي إليه مرتهن

كيف السكون إلى الرقا | د و قد نأي عني السكن
و متى تقر دموع من | يغتاله صرف الزمن

و للقاضي أبي بكر الرافعي:

استغفر الله للذي ودعا | و نحن للغربة نبكي معا
سبل من أجفانه أدمعا | لمّا رآني مسبلا ادمعا
و قال لي عند فراقي له | ما اعظم البين و ما اوجعا

و للسيف الحكمي:

أحمائم الاثلاث من وادي الحما | انتن هيجتن صبا مغرما
ما للعداة و ما لكن و للبكا | جزعا و لكن لا أرى دمعهما
إنّ الحمام إذا تنغم شاقني | و يزيدني شوقا إلى ذلك اللما

و قال آخر:

تشتاقكم كل أرض تنزلون بها | كأنكم لبقاع الأرض أمطار

فلما خربت ريسوت عمرت صحار و خربة صحار بنيت البين و هرمز و خربت البين و هرمز و بنيت عدن. و إلى القعر أربعة فراسخ. و إلى الكلبة أربعة فراسخ. و إلى خور فكان أربعة فراسخ. و إلى دبا أربعة فراسخ. و إلى ليمة أربعة فراسخ. و إلى كمزار ثلاثة فراسخ. و إلى ظفار ثمان فراسخ. و إلى قيس ثمان فراسخ عن يوم و ليلة في البحر.

بناء قيس و سكنها المجوس

و كان الموجب كما ذكر سعد بن مالك بن داود بن سليمان الأنصاري انه هربت المجوس لّما تغيرت الدولة لتغلب العرب على ملك العجم سكنوا الجزيرة و بنوا مع طول مقامهم الدور العوالي الشواهق بالآجر و الجص بناء محكم. فلما دار الفلك داروا مع دوره و جوره فخلت الجزيرة منهم و رجعت حبسا للملوك ملوك فارس و سميت في عهدهم زندان إنّه. و صارت الملوك يجرون على العوائد إلى أن خربت سيراف. فحصل رجلان سيرافيان بجزيرة سكناها فأعجبهم المكان فاستولوا على الجزيرة و فيها جماعة صيادون يصطادون السمك. فتغلب السريافيان على الصيادين فأخرجاهم منها صاغرين و ملكوا الجزيرة و بنوا فيها الدور الوثيقة، و يقال انهم على أساس بناء المجوس و غرسوا فيها النخل و سكنوا فيها. حدّثني

يحيى بن علي بن عبد الرحمن الزراد قال: إنّما تكون لجزيرة قيس من يوم بنيت مائة و عشرين سنة، و كان هذا الحديث سنة أربعة و عشرين و ستمائة. و قرروا على كل مركب يجوز عليهم دينارا واحدا و فروا في العالم الثاني و في الثالث ثلاثة دراهم و هم في الصعود إلى أن تقرر الأمر على عشرة و ثبت عليه إلى الآن. فلما قويا الرجلان و استظهرا بالأمر و الملك أدعى السلطنة إحداهما و ثبت إلى الآن و لكن اسم بلا جسم. و كان يخطب له يوم الجمعة على المنبر سلطان الشرق و الغرب ملك الأرض. فقام رجل و قال: سلطان طاس و ساكس ملك لدوكران و هما موضعان طرفي الجزيرة. و يصح دور الجزيرة فرسخ و يقال ثلاثة أيام. و له في البحرين مراكب تسمى بالنوبية تضرب له في آل حس بوب. و تودي العرب الذين هم ملاك في البحرين كل عام عشرين ألفا لضرب تلك النوبة في بلادهم و سكر في بعض الليالي فقال لرجل غريب حضر معهم: قد وهبتك سفاهات. فقبل الرجل الغريب. فلما اصبح قال المالك للوزير: اكتب لفلان منشور بتسليم بوابنا له سفاهات! فقال: سمعاً و طاعة! فبعد انقضاء أيام صادف الملك الرجل الغريب فقال له: ألم تتجهز إلى سفاهات؟ فقال له الغريب: أدام الله عز الملك أريد نفقة انفق بها حتى أتوصل إلى سفاهات. فقال أعطوه خمسمائة ألف دينار! فأخذ الرجل و رجع إلى بلده.

و لماذا سميت جزيرة قيس

تراهن قيس بن زهير بن جذيمة بن أبي سفيان و هو صاحب الداحس و الغبراء مع ربيع بن ساس صاحب الخطار و الحنفاء و كان الخطار و الداحس حصانين و الغبراء و الحنفاء فرسين. فغلب الداحس الخطار و جرى بين القوم ما جرى. فخرج قيس بن زهير صاحب الداحس إلى ناحية عمان ليطفي نار الشر، فلما توطن في عمان فتح دكانا و كان عطاراً و قعد يبيع و يشتري. و إذا بأميرين من أمراء عمان تراهنا فيما بينهم و جرى بهم كلام في سباق الداحس و الخطار، فحضر الأميران إلى الشيخ العطار و سألوه عن قصة السباق و من غَلب و غُلب. فقال لهم الشيخ مالكم بسؤالي من حاجة.قالوا: بلى! قال: الداحس غَلب. فلما سمع المغلوب اغتاظ من هذا و شتم الشيخ و تفل في وجهه. فحينئذ أغلق الشيخ دكانه و جاء إلى بيته و أسرج و ألجم الداحس وركب و قال لبنته ياقوتة: اسبقيني إلى البئر للفلانية فاقعدي عندها و قدم الشيخ إلى مجمع القوم و قال: أنا قيس بن زهير و حصاني هذا هو الداحس و من لم يعرفني فليعرفني! و حمل الذي أحر و تفل في وجهه و ضرب عنقه، و ساق الداحس إلى البئر و اردف ابنته ياقوتة وراءه فتبعته الخيل إلى الساحل، فركض الحصان فلم يترل البحر فعصب عيناه و آماقه فترل البحر إلى أن توسط البحر فتعب الحصان و غرق الثلاثة جميعاً. و قال أهل جزيرة قيس: سبح الحصان إلى أن صعد بهم الجزيرة

فسكنوا وأهل جزيرة قيس منهم. فلذلك يسمون جزيرتهم بجزيرة قيس و هو قيس بن زهير بن جذيمة بن أبي سفيان لأنه أبو القوم. و يقال إنّ الجزيرة كانت فلما صعد قيس مع ياقوتة و الداحس ولوه أهل الجزيرة على أرواحهم و أموالهم و تزوج منهم اولد الجاشو وزوج ياقوتة بأكبر من في الجزيرة فأولدها الفرس، و إلى الآن في روؤس الفر حماقة العرب. حدثني رجل من أهل فارس به الجاشو من الديلم و كانوا يسكنون فلاة بفارس و أعمالها و هي ذات خيل و نعم و إبل. فلما طال السوط في القوم تعلقوا في الجبال و بنوا الحصون و سكنوها، فعرف القوم بسوكاره أي مرجين الشعور شبه الأكراد. فلما عمرت الحصون زكبوا الحصون و ازدادت العمارة. فسكن رجل منهم جزيرة قيس فطلع من نسله الجاشو و هذا هو الصحيح.

نسبة الجاشو

ثار بملك من الملوك علة البرسام و وصفت له الأطيار إنّ يفترش كل ليلة جارية نوبية بكر يزول ما به من العرض و المرض. قال أبن المجاور: و لم يكن في جميع المخلوقات أحر من فرج الجارية النوبية فمن حرارة فرج الجارية النوبية يتحلل البرسام و يترل في جملة المنى إلى الجارية النوبية فإذا قامت المرأة نفضت المنى من فرجها برئ المعلول من العلة و لم يضر الجارية شيء، و يقال إنّه يضرها. فلما سمع الملك ذلك انفذ وزيرا له إلى بر السودان فأمر أن يشتري له مائة جارية نوبية ابكاراً. فلما تجهز الوزير ترخم الآلة و تركه في حق و ناوله الملك و سافر إلى إنّ وصل بلد السودان و اشترى الجوار البكور و قدم بهم إلى الملك. فلما قدم الملك إلى أحدهم وجدها ثيبا و كذلك الثانية و الثالثة و العاشرة إلى المائة وجدهم رجع على نسق واحد . فلما دخل الوزير إلى خدمة الملك قال الملك للحاضرين: جاشك أي إنّه شك فيهم أي استفضهم. و قال: بل ما شك أي جاء من شك فيه اليقين. فلما تحقق الوزير مقالة الملك استدعى بالحق و فتح رأسه فإذا فيه الآلة. فقال له الملك: ما حملك على فعل هذا الفعل؟ قال: خفت هذا الذي بدا و قضية الذي جرى. و حينئذ نادى الملك جميع الجوار و سألهم عن حالهم فقالوا: أنا نزلنا في الجزيرة الفلانية و سبحنا في عين ماء عذب فما علمنا بأنفسنا إلاّ و كل منا معها جني يستفضها. فقال الملك: تردهم إلى جزيرتهم! فسكنوا جزيرة قيس فبنوا الدور و تناسلوا و كثر الناس. فسموا جاشك على ما جرى من لفظ الملك فدارت عليهم اللغة فسمو جاشو.

فصل

حدثني أبو القاسم بن إبراهيم بن محمّد المرابط قال: تمت حالة مثل هذه الحالة في أرض المغرب و انفذ الملك بوزير له يسمى بااي إلى أعمال السودان يشتري له جوارا. فلما دنا الملك من الجوار وجد وساعا، قال: زناتا يعني الوزير ناوانا. فعرفت القبيلة بزناتا، وهم قوم البربر زحل و خمسين ألفا ضارب بالسيف. قال أبن مجاور: و ما أظم القوم افترقوا فرقتي أحدهما سكنوا أرض المغرب فعرفوا بزناتا، الفرقة الثانية سكنوا جزيرة قيس فعرفوا بالجاشو.

صفة اللؤلؤ

أصله صدف يتربى في قعر البحر المالح فإذا نزل الغيث في فصل نيسان صعد الصدف ينفتح بعضه من بعض بعد إنّ يطفو على وجه البحر لأجل التقاط الغيث فكم ما وقع في أحدهم قطرة انظم الصدف على قطرات الغيث الذي يحصل بباطن الصدف إلى قرار البحر يربيه. كما قال:

أيلول دهري منكم لا يفارقني و حق يري آذار ثم نيسان

فصل

قال انوشوروان العادل لوزيره بزرجمه: كم يساوي تاجي هذا؟ قال: دخل مطرة في نيسان. قال: و الله عز و جل المعنى فيه؟ قال: إنّ وقع في البر فهو بر و إنّ وقع في البحر فهو در. أنشدني محمّد بن منصور الواسطي:

هو حر و إنّ ألم به ال ضر ففيه العفاف و الأنف
و الذل لا مرجى لمكرمة لان فيه المزاج مختلف
كالقطر سم إنّ حل في فم أل صل و در إنّ ضمه الصدف

حدثني محمد بن أبي سعد القاضي الرازي قال: سمعت من لفظ أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين المعروف بابن خطية بالري قال: ليس ينفتح الصدف و يستقبل الغيث إلا في البحر المحيط وراء عالم الكون و الفساد فإذا نزل الدر في الصدف سبح الصدف في قعر البحر و هو ينتقل من موضع إلى موضع إلى إنّ يستقر في مغاصه المعروف بالبحرين و كيش و المعبر و سيلان و في مواضع شتى. و ما يصاد الصدف إلا يوم يطلع النخل و يبطل يوم يقطع العذق عند انصرام النخل لأن هذا الفصل هادي الموج من قلة الموج. و كان المغاص في مباحا للناس كل يغوص لروحه و يأخذ ما قسم له من الرزق. كان اللؤلؤ من كثرته

تحلية النساء و الأطفال و المشايخ. و هو موسم كموسم الغلال في سائر العلم تحلية كل أحد إلاّ في هذا الوقت. فانه بطل جميع ذلك و صار الصيادون يصطادون و عليهم كتبة عمال و قباض يتسلمون منهم الأول من الآخر إلى الأول و لو وجد حبة في يد رجل لأخذ ما تحته و ما فوقه.

فصل

سفر جمال الدين بختيار القابض إلى الهند رجلا برأس مال مبلغه ألف مثقال. فلما توسط الرجل الطريق أخذ به السراق و سلم معه من جملة المبلغ عشرة مثاقيل ذهب. فدخل قيس فبينا هو ذات يوم في بيته قاعدا إذ دخل عليه أسودان زنوج و قالا له: تشتري منا حبة لؤلؤ؟ فقال: نعم. فحينئذ اخرج أحدهم من فيه حبة اكبر من بيضة العصفور.فلما شاهد الرجل الحبة حار و دار و لفها في فيه و بلعها. فقالوا له: هات الحبة! فقال لهم: و الله إني تركتها في فمي لأنظر صفاءها فنزلت إلى الأمعاء. فقالوا له: فما تعطينا ثمنها؟ فأخرج لهم العشرة و حلف بالله لا يملك سوى ذلك: بل خذوا منه ما شئتم و خلوا إلي ما شئتم! فعدوا ثمانية أعداد و أعطوه عددين. و سافر الرجل بالسلامة إلى إنّ وصل سفاهات فأعطى الحبة لجمال الدين بختيار القاضي و قال له: تجعلني في حل من مبلغ كان لك علي! قال له: أنت في حل و أبرأت ذمتك من مبلغ ألف مثقال. وزن كل مثقال ستّة دوانيق كل دانق أربع طياسيج و كل طيسوج أربع سعريرات. و أعطاه في يديه مائة مثقال أي يعيش فيها و يأكل فيها الخبز. فوصل خبر الحبة إلى بغداد فأنفذ الإمام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين إليه الينفذ الحبة، فلما وصلت الحبة إلى عينه الشريفة انفذ له ثمنها ستّة آلاف مثقال. و يقال إنّها قومت بأربعة و عشرين ألف دينار.

فصل

كان ملك من ملوك كشك و مات و ملك ابنه من بعده الملك. فأبصر من البضائع جمل فأطلق يده في البيع فباع و صار التجار تدخل حوفا بعد حوف يشتري كل منهم ما أراد و صلح له. فدخل الشيخ أبو طالب بن علي بن سويد و يقال عبد اللطيف ولد أبي طالب بن علي بن سويد التكريتي إلى مخازن النيل بقي منها أثنى عشر قطعة و وزن ثمنها و رفعها و سافر بها و كتب الله له السلامة إلى أن وصل تكريت. فجاء يهودس صباغ يشتري منه قطعة فأخذ قطعة ليرى العين فإذا هي قطعة ملوها لؤلؤ. فلما ابصر الشيخ أبو طالب ذلك قال لليهودي: ادفع قطعة نيل و أنت في حل منه و اكتم ما رأيت! و خرج اليهودي بما معه و قام الشيخ أبن سويد علم ولده ثقب اللؤلؤ فصار الولد يثقب كل حبة تشبه بيض الدجاج ينفذ

بعقود اللؤلؤ من تكريت إلى أعمال القسطنطينية العظمى و إلى آخر أعمال المغرب و إلى آخر الهند و الترك و هو يبيع منه إلى الآن. قال أبن المجاور: و كان السبب في تلك القطعة إنّ الملك كان يبقي اللؤلؤ فما كان من حبة غالية كبيرة مليحة تركها في الكيس إلى إنّ كثر الشيء عليه. فلما زاد خيط له كيسا و عبى اللؤلؤ المتغالية و خيشه بخيش و ركب عليه أربع عرى و جلده بجلد بقر فرع يشبه قطعة النيل و علم فيها علامة يعرفها و عبأها بين النيل. فلما حصلت في نصيب أبن سويد فيقال إنّه لم يعرف لّماله قياس و لا حدّثني من بركات تلك القطعة. كما قيل:

يفوت الغنى من لا ينام عن السرى و آخر يأتي رزقه و هو نائم

فصل جزيرة قيس

جزيرة يصح دورها ثلاثة فراسخ مصارية طول في عرض و هي ذات نخل و زرعات الرقظ نخل الملك و ما والاها سحل يحفر الإنسان الرمل بيده فينبع عليه الماء الحلو فراتا. و يقال أن فيها كاريز جاري في بستان الملك و حفرت الملوك بها أحواضا و صهاريج في أوّل العهد و بقيت تعمر إلى الآن يملأها ماء العيون و السيول. مأكولهم السمك و يعملون منه الهرائس و يؤكل مع التمر و ليس لأهلها مأكول سواء. و لم يتناولوا الطعام إلاّ باليد اليمنى لا غير و إذا كسر الإنسان بيده فهو عيب عظيم. و بناء القوم بالحجر و الجص و دورهم ذات علو و رفعة يجعل أحدهم في البناء سبعة طبقات و كل دار منها شبه حصن مانع. و لا يزال بها أشجار نقلت من البصرة و يزرع به البقول و سائر الخضراوات. و في أهلها عرق تكبر و عرق خفة و عرق جنون كما يقال: الجنون فنون. ينسبون إلى قيس بن الملوح و يقال إلى امرئ القيس و الأصح إلى قيس بن زهير، و قد تقدم ذكره. لبسهم من أعمال المهدية بالمغرب و يرجعون يرخون هدبات العمائم طوال، و هم رجال البحر و ليس لصاحبها خيل و لا عسكر إلاّ التوابح و البومات و الهامق شبه العقارب و تجري على وجه البحر، و قد عنقوا ببلدة و سكان. و لبس نسائهم السواد. و إذا تزوج رجل امرأة و أعطاها مائة دينار أعطته المرأة مائة أخرى و كتبت عليه قبالة دين حال قار بمبلغ مائتي دينار. و كم ما زاد الرجل في المهر زادت المرأة في النقد و إذا نقص من المهر بقص من النقد. و هم قوم يعزون الغرباء و لهم بهم عناية عظيمة. و تحكم نساء هذه الأعمال على رجالها و ما يفعل الرجل إلاّ ما تقول زوجته من صلاح الأمر أو فساد حال. و هذا خلاف ما قاله رسول الله " : شاوروهم و خالفوهم فان في مخالفتهم بركة.

فكانت خلفاء قيس يسلمون القطعة للسلطان الأعظم ركن الدنيا و الدين أبي الفتح ملك شاه بن محمود بن الب ارسلان فلما توفي و تولى بعده السلطان الأعظم معز الدنيا و الدين أبو الحارث سنجر بن أيوب شاه فلم يلتفت إلى الفقراء لأتساع الملك عليه و المال لديه قطع ذلك إلى أن جدد الإمام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه و كان السبب فيما ذكره إنّ تاجر مات من أهل بغداد في جزيرة قيس و خل ثلاثين ألف دينار ذهبا عينا فأخذ الملك ذلك المال. و جاء الوارث بكتاب حكمى بعد أن اثبته عند الحاكم، فلما وصل الأمر إلى الملك استكبر عن أداء المال و تغلب على الوارث. و رد الوارث بكتاب الحكم إلى بغداد و عرض حاله و ما تم له على الإمام. فأمر الإمام الأمير بادكين صاحب البصرة أن يقطع عنهم المادة فقطع و ضاق ذلك على أهل الجزيرة. فلما رأى الملك نقصان حاله قرر على نفسه الثلاثين آلاف دينار التي للمتوفي إلى ورثته ببغداد مع نصف دخل جزيرة قيس للخليفة سنة خمس عشر و ستمائة.ففي الجزيرة عامل للخليفة و عامل لصاحب كيش و كذلك في نفس الجزيرة عامل للخليفة و عامل للملك كما قال:

يا قتلي جرما بغير مودة أحذر عليك كما تدين تدان

و هذه الجزيرة حصينة طيبة نزهة و غالب سفر أهلها في البحر و شراؤهم البرهار. و ليس يخرج عندهم من الضرائب الذهب إلاّ أبو نقطة و لا يشتري أحد من هؤلاء قدور البرام و قصب القنا إلاّ الملك وحده. و إن لم يبيع هذه صاحبها على الملك أخذها عنف. يقال إنّ عنده مخازن برام و غضائر ملؤها قصب القنا. و لم يقع للمسافر وقت السفر فسح إلاّ بخط سبع عشرة علامة للنواب و الثامنة عشر علامة الملك. حدّثني جوشن بام بن أبي بكر بن سليمن الجاشو قال: إذا وقع الملك على الخط الفسح أعاد للرجل الخط يعني الفسح من خلال خشب من عمل يده و هو خلال يخل به الإنسان أسنانه عند أكل اللحم الحرام فان صح حمله غلام و لم يصح الخلال لمن يكتب الرقعة. قلت: فما المعنى في الخلال؟ قال: لا اعلم إلاّ إنّها رسوم جرت من قديم الزمان. قلت: و من ينحت هذه الاخلة؟ قال: الملك بيده.

ما الجزيرة في البر و الأصل

دفا و وادي الأحجار و عطفان و ولى و حوار و حصوين و محترفة و العقر و كلتا و صاحت و ليمن و كرار و حصب و جرعا و المجزرة و يخطب له في كنبايت و السوننات و بدرنسر و هذه البلاد بلاد واحدة و إذا وصل مركب القيسي يحرم غاية الاحترام لا غير لان الذين بها اختاروا الملك من قيس لأنّه قريب منهم. و إذا خطب للخليفة خطب من بعده لصاحب كيش لا غير و الله سبحانه و تعالى اعلم.

ذكر ما فعل صاحب قيس

و قيل صاحب كيش و ما فعل معه صاحب مكران. و انقذ الملك تاج الدين أبو المكارم بن الحسن و أبو الحسين كهرمال جزيل فاشترياه له من مسقط حصانا قيمته ألف مثقال و ركب الحصان في مركب الحصان في مركب تعدى به من بر العرب إلى بر العجم. فعلم بخبر الحصان ملك قيس فأنقذ دوانيج و بومات قطعوا عليه الطريق و أخذوا الحصان. فلما سمع تاج الدين أبو المكارم قصة الحصان اخذ مراكب السراق و ميلها على منادخ القيسي و قال لهم: كل مركب ترونه لصاحب قيس خذوه اخذ عزيز مقتدر فأخذوا من ذلك الموسم أثنى عشر مركبا موسوقا من سائر الأمتعة و الطرف و التحف و الأموال. فأنفذ صاحب كيش إلى تاج الدين بن مكران رسول يقول له: قل الحمد لله على نعمه و الله المستعان على أهل هذا الزمان كيف رجع الملوك سراقا يقطعون طرق البحار على سلاكه؟ فقال تاج الدين بن مكرمان إلى الرسول: و الله ما علمني قطع الطريق إلاّ ملككم. فقال الرسول على لسان ملكه: مثلي يقاوي مثلك. قال: ليس لك طاقة. قال: أنا أعرفك نفسي. قال: بغير الاختيار. قال: لأفدينك قدرك. قال: هذا شهوتي. قال: إني مبلغ شهوتك. قال: إن شاء الله.

و الله لاكلمته أبداً و لوانه كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

و لا صبرن على مرارة هجره كيلا تراني العذول فبشتفي

و من صح قبلك في الهوى ميثاقه حتى تصح و من في حتى تفي

و قال آخر:

من لا يزرك فلا تزره و لا كرامه

و امدد له حبل الجفا و احفر له في الأرض قامه

فإذا بري و لقيته فالعذر يهنئك السلامة

و إذا انقضت أيامه فقد استرحت من الملامة

و قال آخر:

سألبس للصبر ثوبا جديدا و افتل للهجر حبلا طويلا

لعلي بالرغم لا بالرضا أخلص قلبي قليلا قليلا

صفة القالي

هي عين قير تنبع في وسط البحار فإذا كثر القير ضربه الموج قطعة بعد قطعة وزن كل قطعة ألف من زائد و ناقص. و حدّثني جوشن بام بن أبي بكر أبن سليمان قال: إذا غاص الإنسان على يمينه القير بقربه يترل فم القربة على فم العين تملأ القربة ماء عذبا شبه الزلال. قلت: و كيف؟ قال: لان ما يخرج من العين إلاّ معه الماء الحار و الماء الذي يخرج من القير حلوا شبه العافية. قال حكيم: إنّ القير في معدنه و ما يحله و يسلسله على الموج إلاّ حرارة الماء تحله و تدفق الماء من تحته و يخرج إلى وجه الأرض و البحر، و كذلك قياس العنبر. و هو عين سيالة في بحار الخراب حيث لا عمارة فيه و لا سكن و تخرج بخرج عين القير بالنعت و الصفة و الله تعالى اعلم.

صفة البحرين

و هي جزيرة في صدر بحر فارس كما إنّ القلزم في صدر بحر الحبشة. و يقال انهم جزيرة في بحر مالح فوق بحر عذب فلأجل ذلك سمي البحرين. حدّثني جماعة من أهل البلاد قالوا: إذا غاص إنسان بين الماءين و شرب فشرب ماء عذب فتراه و أعلاه ماء مالح ملج اجاجا. و قال: ما سمى البحرين بحرين إلاّ لأجل البحر و أهلها العرب شبه البحر في كرمهم، أي بلاد تسمى البحرين بحر ماء و بحر خلق. و تسمى الجزيرة جزيرة أوال و بها ثلثنائة و ستين قرية إمامية الذهب ما خلا قرية واحدة. و مأكولهم التمر و السمك من مأذي رائحة و طعم رفن. و قال آخرون: إنّ جزيرة أوال هي أوسط مغاص البحرين و لا أصفى و لا أكثر ماوية من لؤلؤه، و هي جزيرة في صدر الغبة و بر العرب و فارس مستدار حولها. كما قال:

درست صورت تو و دريا دو جشم من أي دور مانده زدريا جكونئي

تم كتاب تأريخ المستبصر بعون الله و حسن توفيقه و وافق الفراغ من زبره نهار السبت الثامن و العشرين من شهر العقدة الحرام سنة 1002 من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة و السلام

الفهرس

ذكر أسماء مكة و صفاتها 2
ذكر زواج أهل مكة 4
فصل 5
ذكر ولاة مكة من آل الحسن بن علي بن أبي طالب 6
من مكة إلى المدينة 8
ذكر فتح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هذه الجبال 8
ذكر وادي أنظر 9
و من مكة إلى الطائف 10
بناء الطائف 10
ذكر حصن الهجوم 11
ذكر الوهط 12
ذكر سليمان بن عبد الملك 12
صفة الطائف 14
من الطائف إلى جبل بدر 15
ذكر السرو 15
ذكر جبل الملحاء 16
ذكر سيوف الصواعق 16
فصل 17
و لنرجع إلى الحديث الأول 18
ذكر نهر السبت 19
فصل 19
فصل 20
ذكر شهور اليهود 20

من الطائف إلى صعدة 21
صفة هذه الأعمال 21
و أما ذهبان 22
من الطائف إلى مكة 22
ذكر الحجاز 22
من مكة إلى جدة 23
بناء جدة 24
ذكر بعض الصهاريج 25
ذكر خراب جدة 25
ذكر فضيلة جدة 27
ذكر أخذ الجزية من المغاربة 27
فصل 28
ذكر الجار 29
فصل 29
ذكر جزر الخيل 29
صفة جدة 29
و من مكة إلى الرحالب 30
ذكر جبل كدمل 31
فصل 32
صفة زواج أهل هذه الأعمال 32
ذكر هبت الإمام أبي موسى 32
من المحالب إلى صعدة 33
من المحالب إلى زبيدة 33
و مما ذكره 34
فصل 35
ذكر الأودية التي يقطع منها الخشب 36
بناء زبيد 37

فصل 40
ذكر تمام قصة آل زياد 41
فصل 41
ذكر الجنابذ و قتل الصليحي 43
صفة دار شخار بن جعفر 44
ذكر انقطاع العرب من تهامة 45
ذكر النخل 45
ذكر شجر الكاذي 46
صفة زبيد 47
و أسامي 50
من المهجم إلى زبيد 52
ذكر المغلف و الأسيخلة 52
من زبيد إلى عدن 52
ذكر بيع النخل 52
صفة باب المندب 55
ذكر الفقرات 55
بناء المزدوية المرة 56
ذكر حشمة أهل المنذرية 56
من العارة إلى الحيلة راجعاً 57
من العارة إلى المفاليس 58
ذكر ترن 58
من العارة إلى تعز 59
من العارة إلى عدن 59
صفة جبل حريز 59
صفة وادي عبرة 60
ذكر ما كانت عدن في قديم العهد 61
صفة نفر الباب و حفر النهر 62

ذكر المدن التي كانت حبوساً للملوك 62
ذكر جبل صيرة 63
فصل 63
فصل 65
ذكر المعجلين 65
ذكر بحيرة الأعاجم 65
بناء عدن 66
فصل 66
ذكر ألقاب ملوك العجم الذين تولوا ملك عدن 67
بناء الجامع 68
ذكر أخبار آل زريع بن العباس بن المكرم ولاة عدن 69
ذكر ما شجر بينهم 69
ذكر السبب في زوال ملك علي بن أبي الغارات و حصولها للداعي سبا 70
فصل 72
ذكر بناء سور عدن 72
فصل 73
صفة عدن و ذكرها 74
ذكر الآبار العذبة 74
فصل 74
فصل 75
ذكر الآبار المالحة بعدن 75
ذكر آبار ماؤها بحر عدن 75
ذكر الآبار الحلوة بظاهر عدن 76
القول على وقاحة نساء البرابر 76
فصل 77
فصل 78
ذكر وصول المراكب إلى عدن 78

ذكر العشور 79
ذكر تخريج عشور الشواني 80
الذي لم يؤخذ عليه عشور 81
ذكر ما استجد في عدن 81
فصل 82
صفة بيع الجوار 82
ذكر البيع و العيب 83
ذكر خراب عدن 83
من عدن إلى المفاليس 84
صفة بناء الجب 85
من المفاليس إلى تعز 85
صفة الحجر الذي في النقيل 86
بناء حصن الدملوة 87
من الجوة إلى تعز 88
صفة حصن تعز 88
صفة جبل صبر 89
فصل 90
ذكر بلاد يتزل فيها الغيث كثيراً 90
ذكر المياه و الرياح 91
من تعز إلى الجند 91
بناء الجند 91
صفة جبل البقر 92
صفة أكمة سليمان 93
صفة الجامع 93
فصل 94
فصل 94
بناء ذي جبلة 95

فصل 95
بناء المخلاف و نجا 96
ذكر تغلب و نفقها و حصن التعكر 96
صفة بناء ذي جبلة 96
و نذكر عجائب إقليم اليمن و ما فيها من الغرائب 97
و نجد الحنشين 97
و حصن ثريد 98
و مثابة فيه بسعر الفضة 99
من ذي جبلة إلى صنعاء 99
بناء صنعاء 101
ذكر قصر غمدان 101
فصل 103
صفة جبل المذيخرة 103
صفة جبل شبام 104
صفة صنعاء 104
ذكر تفصيل الفتوحّى 106
عجائب ذمار 107
صفة جبل لاشي 107
صفة نكاح أهل هذه الأعمال 108
صفة وادي الظهر 108
من صنعاء إلى المحالب راجعاً 109
من صنعاء إلى مأرب 110
ذكر هد سد المأزمين 110
فصل 111
من مأرب إلى الجوف 112
صفة هذه الأعمال 112
من مأرب إلى صنعاء راجعاً 114

من صنعاء إلى صعدة 114
ذكر خراب صعدة القديمة 114
بناء صعدة، بناء الشرف 115
فصل 115
من صعدة إلى ذهبان 116
من صعدة إلى نجران 117
صفة مدينة قرقر 117
فصل 117
صفة بئر الصفر 118
صفة نجران تهامة 118
فصل 119
القول في زوال ملك آل حمزة 119
فصل 119
ذكر الطريق إلى الرضراض 120
ذكر انقطاع طريق الرضراض 120
صفة إقليم نجد 122
صفة ماء الهباءة 122
صفة بئر العاصمية 123
ذكر أودية نجد 123
ذكر الكرم 124
فصل 125
حكاية 125
ذكر ذمام العرب 125
فصل 126
فصل 126
فصل 128
فصل 128

ذكر زواج أهل نجد 128
ومن صعدة إلى صنعاء راجعا على الطريق اجديد..... 130
ذكر الرؤيا 130
من تعز إلى زبيد راجعا 130
صفة طير الدلنقوق 131
من زبيد إلى الحجة 132
بناء حصن مسار..... 132
فصل..... 133
من زبيد إلى غلافقة..... 133
فصل..... 133
بناء غلافقة..... 134
فصل..... 134
فصل..... 135
فصل..... 135
فصل..... 135
ذكر بئر الرحبانية..... 136
جزيرة فرسان..... 136
ذكر جزيرة الغنم 137
ذكر جزيرة الناموس..... 137
من زبيد إلى الاهواب..... 137
بناء الأهواب..... 138
من عدن إلى شبام 139
صفة العفو 139
بناء شبام..... 140
صفة الدور..... 140
صفة شبام..... 141
فصل..... 142

فصل 143
صفة قرن أبا إبراهيم 143
فصل 143
من شبام إلى ظفار 143
فصل 144
ذكر خراب ظفار 146
ذكر مدن هدمت خوف الأعادي و لم يصلها العدو 146
صفة الطريق القديمة 147
صفة الرياح الثلاث 147
صفة المنصورة 148
ذكر جزيرة سقطرى 148
ذكر السبعة الطيور 149
من المنصورة إلى ريسون 149
من المنصورة إلى قلهات 150
ذكر نسبة المهرية 150
بناء قلهات 151
فصل 151
ذكر جبل السعتري 152
ذكر الإباضية 152
من المنصورة إلى عدن راجعا. 152
الحب فيه مرارة و حلاوة=و الحب فيه شقاوة و نعيم 153
علم مكنون و سر مكتوم 153
ذكر الإباضية 154
ذكر السلقلقيات 154
ذكر بلاد الخوارج و الإباضية 154
فصل 155
ذكر استفتاح أعمال عمان 155

ذكر استفتاح الخوارزمية قلهات 156
صفة بتان العنبر 156
فصل 156
صفة قلهات 157
من قلهات إلى مسقط 157
صفة العنة 157
صفة صحار 158
صفة دار الختمة 158
بناء قيس و سكنها المجوس 159
و لماذا سميت جزيرة قيس 160
نسبة الجاشو 161
فصل 161
صفة اللؤلؤ 162
فصل 162
فصل 163
فصل 163
فصل جزيرة قيس 164
ما الجزيرة في البر و الأصل 165
ذكر ما فعل صاحب قيس 166
صفة القالي 166
صفة البحرين 167
الفهرس 168

To PDF: http://www.al-mostafa.com